

الدكتور نائل حنون

المدائن والمعابد

في حضارة بلاد الرافدين القديمة
دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص السومرية والآثار

الجزء الأول
المدائن وشعائرها

2102011
Don
Couteur
BOURNES
FACTURE
10 MAY 2006

م 2006

عنوان الكتاب: المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة
دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار
الجزء الأول: المدافن وشعائرها
المؤلف: الدكتور نائل حنون

الطبعة الأولى 2006 م

جميع الحقوق محفوظة لدار الخريف للنشر والتوزيع

العنوان: دمشق-قصاع

هاتف: +963-(11)-4428265

موبايل: +963-94-220685

بريد إلكتروني: al-kharifpub@hotmail.com



لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن خطي مسبق من الناشر.

All Rights Reserved

This book may not be reproduced, in whole or in part,
without written permission from the publisher.

الإهداء

إلى ذكرى عالم الآثار الراحل جيريمي بلاك
ليس ميتاً من يعمل مثل ما عملت.

نائل

To the Memory of Jeremy Black
For he who works as you worked there will be no
death.

المحتويات

- مقدمة

- الجزء الأول: المدافن وشعائرها

- الفصل الأول: "المدافن وطرق الدفن" 69-13
- مواضع الدفن 25-15
 - أنواع القبور والتواييت 45-25
 - وضع الجثة واتجاهها في القبر 49-46
 - التجهيزات الجنائزية 57-49
 - شواهد القبور 63-57
 - هوامش الفصل الأول من الجزء الأول 69-64

- الفصل الثاني: "القبور في التنقيبات الآثرية" 141-71
- الكشف عن القبور 77-75
 - التوثيق الآثاري للقبور المستكشفة 98-77
 - قبور من مدينة ميتورناة (تل السيب) 117-98
 - قبور من بابل 125-118
 - اكتشاف القبور الملكية في كَلخ (نمرود) 140-126
 - هوامش الفصل الثاني من الجزء الأول 141

-الفصل الثالث: "الموت في المراسم والشعائر والمراثي" 230-143

- المقبرة الملكية في أور 153-146
- تاريخ المقبرة الملكية وتفسير مراسمها 158-153
- موت جلجامش ومراسم دفنه 177-158
- المراسم والشعائر الجنائزية 199-178
- الحداد والمراثي 220-199
- هوامش الفصل الثالث من الجزء الأول 229-222

مقدمة

تتلخص عقائد ما بعد الموت والحياة الأخرى في حضارة بلاد الرافدين القديمة في أن الموت محتوم على البشر، وأن الخلود ميزة استأثر بها الآلهة فقط ولا يمكن لإنسان أن يحظى بها سوى اوتا-نبشة (نوح البابلي) وزوجته، بعد أن نقلهما الآلهة إلى مصافهم مكافأة لهم على دورهما في إنقاذ حياة البشر والكائنات الحية الأخرى من الهلاك في الطوفان. وبحسب تلك العقائد يكون حدوث الموت بانفصال الروح عن الجسد لتنزل إلى العالم السفلي (عالم الأرواح تحت الأرض)، في حين يُودع الجسد في القبر ليلى. ولم يكن خلود الروح يعتمد على المحافظة على الجسد، مثلما كان معتقداً به في حضارة بلاد النيل القديمة على سبيل المثال، وإنما يقتصر المغزى من دفن جسد المتوفى على ضمان نزول روحه إلى العالم السفلي وعدم بقائها هائمة غاضبة في عالم الأحياء. فكان المعتقد في بلاد الرافدين القديمة أن الروح تحرم من النزول إلى العالم السفلي والاستقرار فيه إن حرم جثمان صاحبها من الدفن أو من إقامة الشعائر الجنائزية.

في ظل تلك العقائد كان الاهتمام كبيراً بعملية الدفن وترتيب القبور. ولكن ذلك الاهتمام لم يكن يصل إلى العمل على حفظ جسد المتوفى، إذ لم يكن ذلك جزءاً من تلك العقائد القديمة. فبموجب تلك العقائد كان ينظر إلى الجسد على أنه الجزء الذي تنتهي وظيفته بموت الإنسان، وآخر دور له أن يكون منطلقاً للروح في بداية رحلتها نزولاً إلى العالم السفلي. ولذلك كان متوقعاً مسبقاً تعرض الجثمان للبلل في القبر بعد أن يضمّن نزول الروح إلى عالمها الأخير. ولكن عملية الدفن بحد ذاتها وموضع القبر وشكله ووضع الجثمان في داخله، وما يودع معه من أثاث جنائزي، كل ذلك يقدم مشهداً يصور الجوانب الأساسية لعقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة. ويكتمل هذا المشهد بالمراسم والشعائر الخاصة بالموت والدفن والمراثي التي تحكي عن وقع أثر الموت على الأحياء.

ومن أجل تقديم موضوع "المدافن وشعائرها" بجوانبه المختلفة فقد أعد هذا الكتاب

المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة ليتألف من جزئين، يشتمل الجزء الأول "المدافن وشعائرها" على ثلاثة فصول خُصص الأول منها لدراسة "المدافن وطرق الدفن" وشرح دلالاتها على الموضوع. وتكتمل مادة الفصل الأول بما يقدمه الفصل الثاني وعنوانه "القبور في التقييات الآثارية"، ويتضمن عرضاً مصوراً لقبور مكتشفة في مواقع مختلفة ومن عصور مختلفة لتوضيح الممارسات والشعائر التي حددتها معتقدات الموت وما بعده وكيفية تعامل الآثاريين مع هذا الجانب واستخلاص الدليل منه. أما الفصل الثالث فيتناول "الموت في المراسم والشعائر والمراثي" لشرح مفهوم الموت ووقعه عند الأحياء والأثر الاجتماعي الذي يتركه حدوثه.

ويشتمل الجزء الثاني "المعابد وزقوراتها" على ثلاثة فصول أيضاً. يتناول الفصل الأول، وعنوانه "المعابد"، أبنية المعابد التي تم اكتشافها في مواقع المدن القديمة في بلاد الرافدين وأنواعها ووظائفها. ويتضمن الفصل الثاني، "الزقورات"، بحثاً مفصلاً عن ظهور هذا النوع من العمارة الدينية وتطورها عبر العصور القديمة حتى اتخاذها شكل البرج المدرج. وفي هذا البحث محاولة جديدة لتفسير وظيفة الزقورة في حضارة بلاد الرافدين القديمة. وأخيراً يأتي الفصل الثالث الذي يتضمن قائمة بأسماء المعابد في المدن القديمة ومعاني هذه الأسماء.

لقد كانت عملية إعداد هذا الكتاب وإصداره رحلة طويلة تكللت بإخراج الكتاب ووصوله إلى يد القارئ الكريم بهذا الشكل. وطوال ذلك كان معي من لا ينسى فضلهم في إنجاح هذا المشروع العلمي وإنجازه، وأقصد بهم الإخوة الأعزاء في دار الخريف للنشر والتوزيع.

وختاماً كلمة محبة وتقدير لصديقي العزيز الأستاذ عصام عبد الرحيم ولأصدقائي الأعزاء في سورية على دعمهم وتشجيعهم المتواصل لعملتي في إنجاز المشروع العلمي الذي يمثل هذا الكتاب حلقة منه.

أ.د. نائل حنون

آب/2005

الجزء الأول

المدافن وشعائرها

الجزء الأول الفصل الأول

المدافن وطرق الدفن

يعالج هذا الفصل ستة مواضيع رئيسة متعلقة بالمدفان وطرق الدفن، وهي: مواضيع الدفن، أنواع القبور والتوابيت، وضع الجثة واتجاهها في القبر، الأثاث الجنائزي، وشواهد القبور.

مواضع الدفن

عرفت المجتمعات البشرية، منذ تكونها، طرقاً عديدة للتخلص من جثث الأموات في ظل المعتقدات التي اعتنقتها. وتراوحت هذه الطرق من حفظ الجثة في حرز خفي بعد ضمان إبقائها على شكلها، باستعمال التحنيط مثلاً، إلى الإللاف الكامل لها عن طريق تعرضها للضواري والجوارح أو حرقها. ولكن الطريقة الأكثر شيوعاً، عبر مراحل التاريخ البشري، كانت الدفن بأشكاله المختلفة. وكانت هذه الطريقة تكاد أن تكون الوحيدة التي استعملت في ظل معتقدات بلاد الرافدين. ومن هنا فقد كشفت التنقيبات الأثرية التي جرت في مواقع هذه الحضارة عن العديد من المدافن والأضرحة والقبور. وبسبب أساليب الدفن التي كانت متبعة في تلك المواقع وما تضمنته القبور من محتويات فقد أصبح للمدفن القديمة أهمية خاصة في عمل المنقبين وفي دراسة الأبعاد الدينية والاجتماعية وحتى الاقتصادية والسياسية لهذه الحضارة.

لقد مورس دفن الأموات في بلاد الرافدين القديمة في أربعة مواضع يؤدي كل منها إلى تحقيق الغرض المبتغى من عملية الدفن، أي ضمان نزول روح المتوفى إلى العالم السفلي (عالم الأرواح) وحفظ بقايا الجثة بعيداً عن الأيدي العابثة لضمان سكينة الروح واستقرارها في ذلك العالم. وتلك المواضع الأربعة هي:

أولاً- تحت أرضيات المساكن:

يمثل الدفن تحت أرضيات المساكن أقدم ما أتبع في دفن الأموات في تاريخ بلاد الرافدين. فقد كشفت التنقيبات الأثرية في كهف شانيدار في شمالي العراق عن تسعة هياكل عظمية لسبعة من البالغين وطفلين من نوع إنسان النياندرتال، وذلك في الطبقة (د) من الكهف التي تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط، قبل حوالي ستين ألف سنة. واعتقد المنقب الذي اكتشفها وهو رالف سولكي، في بادئ الأمر أن أولئك النياندرتاليين ماتوا نتيجة لانهايار الصخور من سقف الكهف. ولكن سولكي وجد نفسه لاحقاً أمام اكتشاف آخر مهم لأكداس من الحجارة مرتبة فوق بعض الهياكل التي عثر بقرها على بعض الأدوات والعظام الحيوانية، وكذلك بعض الفحم الحاصل من حرق الخشب⁽¹⁾. وكان أحد الهياكل (الرقم 4) بوضعية التكوير داخل دائرة من الأحجار⁽²⁾. وكان من المدهش اكتشاف أن صاحب هذا الهيكل قد دُفنت معه الورود، وهو ما أثبت بتحليل العينات المأخوذة من تراب القبر⁽³⁾.

ومورس الدفن تحت مساكن الأحياء في العصر الحجري الحديث. فقد كانت العادة الغالبة في موقع جرمو، قرب مدينة جمجمال في شمال العراق، أن يُلحد الميت في قبر يحفر تحت أرضيات بيوت السكنى⁽⁴⁾. وهذا ما مورس أيضاً من قبل سكان الطبقة الأولى في تل الصوان⁽⁵⁾ قرب مدينة سامراء الحالية في وسط العراق. وفي تل حسونه، إلى الجنوب من مدينة الموصل في شمال العراق، اكتشفت هياكل الأطفال تحت أرضيات البيوت⁽⁶⁾ أيضاً، وأتتبع الطريقة نفسها في موقع العبيد في جنوب بلاد الرافدين⁽⁷⁾. ومورس الدفن تحت أرضيات البيوت في تل قاليج آغا، في مدينة أربيل شمال العراق أيضاً وذلك في الطبقات التي يعود تاريخها إلى دور أوروك⁽⁸⁾ (منتصف الألف الرابع قبل الميلاد). وكشفت التنقيبات الأثرية في موقع مدينة نمر القديمة، في جنوب بلاد الرافدين، عن ممارسة دفن الأموات تحت أرضيات

المساكن ابتداءً من عصر فجر السلالات على أقل تقدير⁽⁹⁾. وفي مدينة كيش القديمة، تلؤل الثغرة حاليًا على بعد حوالي عشرين كيلو مترًا إلى الشرق من بابل، كانت جثث الموتى تدفن تحت أرضيات غرف المنازل منذ عصر فجر السلالات الأول⁽¹⁰⁾ (محدود 2800 ق.م) سواء كانت الغرف نفسها التي يقيم فيها الأحياء أو غرف مشيدة خصيصاً للدفن. وكان موضع القبور في هذه الغرف عند الزوايا في الغالب حيث تكون جدرانها ضلعين من أضلاع القبر يقابلها ضلعان يُبنيان بطبقة واحدة من اللبن⁽¹¹⁾. أما في منطقة ديابى فقد كشفت التنقيبات التي أجريت في خفاجة، موقع مدينة توتب القديمة، عن كون القبور العائدة إلى عصر فجر السلالات عبارة عن حفر بسيطة موجودة تحت أرضيات البيوت التي استمر السكن فيها بعد القيام بعمليات الدفن⁽¹²⁾.

وفي مدينة أور اكتشف ليونارد وولي عددًا من الأقبية المعقودة بالآجر تحت أرضيات بيوت يعود بعضها إلى عصر سلالة أور الثالثة والبعض الآخر إلى العصر البابلي الوسيط⁽¹³⁾. وفي زمن معاصر تقريباً لسلالة أور الثالثة كان الدفن في مدينة آشور القديمة- قلعة الشرفاء على نهر دجلة إلى الشمال من مصب الزاب الأسفل- يتم تحت أرضيات البيوت إما في حفر بسيطة أو في أقبية عائلية مشيدة بالآجر⁽¹⁴⁾. ومن العصر البابلي القديم (النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد) اكتشفت قبور تحت أرضيات البيوت، ولكنها كانت قليلة وفقيرة في محتوياتها مما جعل المنقبين يفترضون أنها قبور خدم أو عبيد وليست للأحرار من سكان المدينة الذين كانوا يُدفنون آنذاك، بحسب ما يفترض المنقبون، في مقابر خاصة داخل المدينة أو خارجها⁽¹⁵⁾. ولكن التنقيبات الأثرية التي تمت في مواقع يعود تاريخها إلى العصر البابلي القديم، ومنها التنقيبات التي قام بها المؤلف في تل السيب، موقع مدينة ميتورناة القديمة في حوض حميرين في منطقة ديابى⁽¹⁶⁾، أثبتت أن الدفن تحت أرضيات

البيوت كان شائعاً في ذلك العصر للسكان على اختلاف مكانتهم الاجتماعية. وفضلاً على ما اكتشف في موقع مدينة كيش من غرف مخصصة للدفن من عصر فجر السلالات الأول، كشفت تنقيبات ليونارد وولي في موقع مدينة أور القديمة، في جنوب بلاد الرافدين، عن وجود غرف مخصصة للدفن في بيوت عصر سلالة أور الثالثة⁽¹⁷⁾. فقد كان في كل منزل تقريباً من ذلك العصر، باستثناء منازل الفقراء، جزء خاص لدفن الموتى بشكل "مصلّى عائلي" (Family Chapel)، بحسب ما يسميه وولي. ويكون هذا الجزء وراء البيت ويلي غرفة الضيوف مباشرة، ويُشيد بشكل غرفة طويلة ضيقة تختلف عن باقي غرف المنزل في كونها من طابق واحد فقط، في حين أن المنزل مُكوّن عموماً من طابقين، ويُدخل إليها عبر باب موجود في إحدى نهايتيها. ولم تكن تلك الغرف مسقوفة، ولكن كانت توجد في كل منها سقيفة تغطي حوالي ثلث المساحة الكلية للغرفة. وموضع السقيفة يكون محاذياً للجدار المقابل للمنزل، وتحتها توجد مائدة للنذور ومحرق للبخور. أما قبو الدفن فقد كان يحفر بعمق قدم أو قدمين تحت أرضية الغرفة المرصوفة بالآجر، وذلك في الجزء المكشوف من الغرفة. وعندما كان هذا القبو يمتلئ بالعظام تُنقل منه لتُدفن في قبور صغيرة بجواره. ويأتي الدليل على ذلك من العظام التي وجدت في أحد الأقبية وتعود لعدة هياكل عظيمة. وحين كانت أرضية الغرفة تمتلئ بالقبور الصغيرة يبدأ سكان المنزل بدفن الموتى تحت أرضيات غرف المنزل الأخرى، حيث وجدت عدة قبور في الغرف الأخرى في عدد من المنازل على الرغم من احتواء كل منها على غرفة الدفن الخاصة. ويورد المنقب افتراضاً عن احتمال أن تكون تلك القبور لخدم أو عبيد لم يُرغب بدفنهم في المصلّى الخاص بالعائلة⁽¹⁸⁾. ويذهب ليونارد وولي إلى أن عدم العثور على مثل هذه المصلّيات في بيوت تعود إلى العصور الأخرى في أور يعود سببه إلى التوقف عن بنائها بعد مدة قصيرة من انتهاء العصر البابلي القديم⁽¹⁹⁾.

لقد وردت الإشارات إلى القبر الموجود في داخل البيوت في النصوص السومرية بصيغة "كي-ماخ" (KI.MAH)، وهو مصطلح سومري يعني حرفياً "الموضع العظيم" وكان يطلق على العالم السفلي أيضاً. واقتبس هذا المصطلح في اللغة الأكديّة بصيغة "كِمَحُّ" (Kimahhu). ويوضح أحد النصوص الأكديّة اختلاف وظيفة البيت عن وظيفة القبر الموجود فيه بالجملة الآتية: "البيت للراحة والقسر للاضطجاع"⁽²⁰⁾. وكانت ملكية القبر تنتقل مع ملكية البيت إلى المالك الجديد فيما إذا بيع البيت، وهذا ما يُستدلُّ عليه من النصوص المسمارية التي تتضمن عقوداً يبيع البيوت وشرائها. إذ كانت تلك العقود تتضمن أحياناً جملة تشير إلى احتواء البيت المباع أو المشتري على قبر في داخله⁽²¹⁾.

وإذا ما أراد المرء أن يستنتج دافعاً وراء ممارسة الدفن في بيوت الأحياء، وهو ما لم تتطرق إليه النصوص المسمارية، فلعله يمكن القول أن هذه الممارسة امتداد لما جبل عليه منذ أقدم عصور وعيه من عدم فهم الموت باعتباره نهاية للإنسان، وأنها تعبر عن الاستمرار في اعتبار المتوفى عضواً في العائلة لا ينبغي أن يتعد عنها حتى بعد وفاته. فضلاً على أن وجود القبر داخل بيت عائلة المتوفى يمثل السبيل الأفضل للمحافظة عليه من التخريب والعبث وبالتالي إزعاج روح صاحبه في العالم السفلي. أي أن الاتجاه إلى دفن الأموات تحت أرضيات بيوت الأحياء يُمثّل تعبيراً عن عواطف الأحياء إزاء المتوفى طالما لم يكن يناقض العقيدة الدينية التي كان الدفن بموجبها، أينما يكون موضعه، وسيلة لإنزال الروح إلى عالمها الموجود تحت الأرض.

ثانياً- الدفن في القصور الملكية:

كان الدفن في القصور الملكية امتيازاً خاصاً بالموتى من الملوك أو أعضاء الأسر المالكة أو الأتباع المقربين الذين يُتقرر لهم، بعد موتهم، الدفن في القصور الملكية تكريماً لهم وتثميناً لجهودهم في خدمة الملوك. ولأن الدفن في القصور الملكية كان امتيازاً خاصاً بالملوك فإن الحكام الذين كانوا قد استولوا على العرش عن طريق الاغتصاب بالقوة ولم يُعترف بشرعية ملوكيتهم يحرمون من هذا الامتياز الخاص بالملوك الشرعيين فقط. وقد ورد الدليل على ذلك في نصوص الوقائع البابلية⁽²²⁾ التي نورد منها الفقرات الآتية:

"رجل⁽²³⁾ من سلالة دامق-أليش⁽²⁴⁾ ذبح بالسيف، وكان قد حكم لمدة 17 سنة. دفن في قصر الملك الشرعي. أيا-مكن-زير⁽²⁵⁾، مغتصب العرش المنتسب إلى خاشمر، حكم لمدة ثلاثة أشهر، دفن في أهوار بيت-خاشمر. كشو-نادن-اخي⁽²⁶⁾، حكم لمدة ثلاث سنوات، دفن في القصر. ثلاثة ملوك من سلالة القطر البحري، حكموا لمدة 23 سنة. أي-أولماش-شاكن-شمي⁽²⁷⁾، من نسل بازي، حكم لمدة 15 سنة، دفن في قصر كار-مردوخ⁽²⁸⁾".

يؤكد لنا هذا النص أن الدفن في القصور الملكية كان امتيازاً، وإن حجب هذا الامتياز عن الملوك غير الشرعيين كان مسألة سياسية وليست دينية. فالعقيدة الأساسية التي تقتضي دفن المتوفى كانت متبعة مع الملوك غير الشرعيين حين وفاتهم، إذ لم تصل معاملتهم إلى درجة حرمانهم من الدفن، ولكن الحرمان يقتصر على الامتياز الملكي فقط.

وقد أثبت تقليد دفن الملوك في القصور الملكية في الدولة الآشورية. ويبدو أن الملوك الآشوريين كانوا يُدفنون حين وفاتهم في القصور الملكية الموجودة في العاصمة الأولى للدولة الآشورية، وهي آشور (قلعة الشرفاء حالياً)، حتى بعد انتقال مقر

الحكم إلى العواصم الآشورية الأخرى، مثل نينوى وكلخ. ذلك أن مدينة آشور حافظت على أهميتها القومية، باعتبارها العاصمة الأولى للآشوريين، وأهميتها الدينية باعتبارها مركز عبادة آشور، الإله القومي الرئيس للآشوريين. فقد كشفت تنقيلات البعثة الآثارية الألمانية في موقع مدينة آشور (1902-1914م) عن مدفن للملوك الآشوريين تحت الجناح الجنوبي-الشرقي من "القصر القديم". ويعود تاريخ بناء هذا القصر إلى العصر الآشوري القديم، إذ شُيّد من قبل الملك الآشوري شمشي-أدد الأول (1813-1781 ق.م)، وتواصلت عمليات ترميمه وتجديده حتى العصر الآشوري الحديث في الألف الأول قبل الميلاد.

لقد سُمّي المدفن في القصر الملكي بالنصوص الآشورية باسم "اينكل تَبْشُخَة" (ekal tap uhti) الذي يعني "قصر السكينة". وكان يُتْرَل إليه من القصر بواسطة ممر منحدر يؤدي إلى الأضرحة المشيدة بشكل غرف تحت مستوى أرضية القصر. وقد ضم هذا المدفن ما لا يقل عن ستة أضرحة ولكنها تعرضت للنهب في العصور القديمة على ما يرجح. أعطى المنقبون الأرقام من (1) إلى (6) لتلك الأضرحة، وكان الضريح رقم (6) أسوأها حالاً إذ لم يتبق منه سوى جدار واحد. أما الأضرحة الخمسة الأخرى فلم يُعثر فيها على أية هياكل عظمية، ولكن عثر فيها على كِسَر متفرقة من الأثاث الجنائزي الذي وضع فيها عند دفن الملوك. وقد أمكن تحديد أضرحة ثلاثة من الملوك الآشوريين من بين هذه الأضرحة الخمسة بالاستدلال من أسمائهم المنقوشة على نواويسهم الحجرية الضخمة التي وجدت فارغة داخل الأضرحة، وسنأتي على وصفها لاحقاً. فالضريح رقم (2) يعود للملك شمشي-أدد الخامس (823-811 ق.م)، والضريح رقم (3) يعود للملك آشور-بيل-كالا (1704-1057 ق.م). أما الضريح رقم (5) فكان مخصصاً للملك آشور-ناصر-بال الثاني (883-859 ق.م). وعُثر في ضريح الملك آشور-بيل كالا على ناووس

حجري آخر لا يحمل أي كتابة ويرجح أنه كان يضم جثمان الملكة زوجة آشور-بيل-كالا⁽²⁹⁾.

ومن العصر الآشوري الحديث اكتشفت أضرحة ملكية لأميرات من الأسرة المالكة الآشورية تحت أرضيات غرف الجناح العائلي الذي كان مشيداً في الجهة الجنوبية من قصر آشور-ناصر-بال الثاني في العاصمة الآشورية كلخ (نمرود حالياً) على بعد حوالي 34 كم إلى الجنوب من مدينة الموصل). وقد أدى التنقيب في تلك الأضرحة إلى اكتشاف ما عُرِف بكنز نمرود الذي يتألف من المواد الذهبية والمصوغات ومختلف المواد النفيسة التي دُفنت مع الأميرات. وقامت بهذا الاكتشاف، في عام 1988م، هيئة التنقيب الآثاري العراقية في نمرود بإشراف مؤلف هذا الكتاب، وسنعود للتطرق إليه في الفصل الثاني.

ويصف أحد نصوص الملك الآشوري آشور-بانيبال (668-627 ق.م) دفن أحد القواد العسكريين في الدولة بطريقة تشير إلى أن ذلك القائد دفن في القصر الملكي بأمر من الملك تكريماً له⁽³⁰⁾. إذ يرد في هذا النص على لسان آشور-بانيبال: "اليوم لقي القائد نبو-شار-أوصر مصيره بجلال وأبهة في قصري، وسيُدفن في الموضع الذي أحبه. يجب أن لا يُحرَّك من موضعه، وأن لا يُسمح لأحد أن يعثر به. لقد كان رجلاً طيباً وشجاعاً، فإذا أقلقته أي شخص وهو راقداً في قبره فإن سيده الملك سيغضب ويعامله بقسوة ولا يرحمه"⁽³¹⁾.

ثالثاً- الدفن في أضرحة مستقلة:

كشفت التنقيبات الآثارية في موقع مدينة أور القديمة (تلول المقير حالياً في جنوب العراق) عن أضرحة مستقلة كانت قد شيدت لدفن ملوك سلالة أور الثالثة (2112-2004 ق.م). بلغ عدد الأضرحة المكتشفة ثلاثة، ولكنها وجدت فارغة

بسبب تعرضها للنهب في العصور القديمة. شُيّدت هذه الأضرحة متلاصقةً البنيان تحت الأرض في الجهة الجنوبية-الشرقية من منطقة المعابد والزقورة، وسُقفت بعقود مثلثة المقطع من الآجر. وبنيت فوق الأضرحة ثلاثة مزارات يتألف كل منها من عدد من الغرف المرتبة بمخطط أقرب إلى مخطط البيت منه إلى مخطط المعبد.

كان المزار الأوسط، وهو أكبر المزارات الثلاثة، مشيداً بآجر يحمل ختم الملك الثاني في السلالة شلجي (2094-2047). أما الضريح الموجود تحت هذا المزار فيعود، بحسب رأي المنقب ليونارد وولي⁽³²⁾، إلى مؤسس سلالة أور الثالثة أور-نمو (2112-2095 ق.م) الذي مات ودفن في الضريح قبل بناء المزار، فقام ابنه شلجي بتشيد المزار بالآجر الذي يحمل ختمه. ويُرجح المنقب أن المزار كان مرتفع البنيان على الرغم من كونه بطابق واحد. وكانت واجهات جدران الخارجية مزينة بطلعات ودخلات (buttresses and recesses) قليلة الغور، وهي تشابه بذلك الأوجه الخارجية لجدران المعابد. أما الضريح نفسه فتبلغ قياساته تحت الأرض 125 × 85 قدماً، واستعمل الآجر والقير في تشييد جدرانه.

وقد شيد المزاران الآخران بآجر يحمل ختم الملك امار-سين (2046-2038 ق.م)، وهو ابن الملك شلجي والثالث في السلالة. ويبدو أن هذا الملك قام بتشيد المزار الذي يعلو ضريح أبيه شلجي بالآجر الذي يحمل ختمه. أما المزار الذي يعلو ضريحه هو فمن الواضح أنه شُيّد في عهد ابنه الملك شو-سين (2037-2029 ق.م) بالآجر نفسه الذي كان أبوه قد هيأه في أثناء حياته⁽³³⁾. ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذه المزارات قد شُيّدت بمخططات مغايرة لمخططات المعابد، مما يجعلها أقرب إلى مخططات البيوت، وذلك لأنها كانت مخصصة لشعائر جنائزية تقام للملوك وليس لآلهة حتى وإن أُضيفت سمة القدسية على أولئك الملوك⁽³⁴⁾.

رابعاً- الدفن في المقابر

فضلاً على الدفن في المواضع التي سبق ذكرها، مارس سكان بلاد الرافدين القدماء الدفن في مقابر مخصصة لهذا الغرض. وكانت هذه المقابر إما في مساحات محددة في داخل المدن، أو في خارجها. ولعل أقدم استعمال للمقابر في خارج مناطق السكن في بلاد الرافدين يعود تاريخه إلى ما قبل العصر الحجري الحديث حيث كان سكان قرية زاوي جمي، على الزاب الأعلى في شمال العراق، يدفنون موتاهم في كهف شانيدار القريب منهم في الطبقة (B1)⁽³⁵⁾. وفي عصر خلف (الألف الخامس قبل الميلاد) مورست عملية دفن الأموات في بعض المساحات الموجودة بين البيوت⁽³⁶⁾.

ومن عصر العبيد اكتشفت مقبرة في خارج مدينة أريدو (تلول أبو شهريـن حالياً في جنوب العراق). وهذه المقبرة كانت معاصرة للمعبد السادس في أريدو (أي في حوالي 3800 ق.م)، ويُقدّر عدد الأموات الذين دُفِنوا فيها ما بين 800 و1000. ولكن مجموع القبور التي نُقبت في هذه المقبرة لم يتجاوز 193 قبراً⁽³⁷⁾. وفي أور امتدت تنقيات ليونارد وولي إلى خارج أسوار المدينة القديمة حيث تحققت إحدى أهم الاكتشافات الآثارية في بلاد الرافدين في القرن العشرين. وكانت المقبرة الأولى التي اكتشفها وولي هناك تعود في تأريخها إلى عصر جمدة نصر وبداية فجر السلالات (في الثلث الأول من الألف الثالث قبل الميلاد). ثم اكتُشفت مقبرة ثانية خارج الأسوار أيضاً تعود إلى زمن لاحق من عصر فجر السلالات، ويبدو أنها بقيت مستعملة إلى ما بعد العصر الأكدي القديم. وقد ضمت هذه المقبرة أكثر من 2500 قبراً⁽³⁸⁾، ومن بين هذه القبور تميزت الأضرحة التي وصل عددها إلى 16 ضريحاً كَوْنَتْ ما يُعرف باسم "المقبرة الملكية" التي تميزت بالكنوز التي احتوتها وبطريقة الدفن الفريدة فيها. ويُقدّر التاريخ الذي تعود إليه هذه المقبرة بحدود 2400-2500 ق.م، أي في عصر فجر السلالات الثالث قبل قيام سلالة أور

الأولى⁽³⁹⁾. وسنعود للحديث عن الأثاث الجنائزي الفخم الذي اكتُشف في هذه المقبرة لاحقاً. أما طريقة الدفن فبقدر ما أثارت من دهشة، بسبب أعداد الأشخاص المدفونين في الضريح الواحد منها، كان الجدال واسعاً حول تفسير ما حدث فيها لحظة الدفن. وكان تفسير مكتشفها، ليونارد وولي، أن الهياكل العديدة المكتشفة تعود إلى أضحى بشرية دفنت مع الشخصيات الملكية الرئيسية التي يعود لها كل ضريح. وستتم مناقشة هذا التفسير والتفسيرات الأخرى في موضع آخر في هذا الفصل.

وكان الدفن في المقابر الموجودة خارج المدن متبعاً في نهر منذ العصر الأكدي القديم بحسب ما يذهب إليه المنقبون فيها⁽⁴⁰⁾، وكذلك في أريدو في العصرين البابلي القديم والبابلي الوسيط. فقد عُثر في النجاد الممتدة على مسافة قريبة من موقع المدينة على قبور عديدة وفخّار متنوع يعود في تاريخه إلى ذانيك العصرين⁽⁴¹⁾. ووردت إشارات في النصوص المسمارية إلى مقابر منتظمة تعود لبعض المدن المهمة في بلاد الرافدين القديمة مثل بابل، سبار (تلول أبو حبه حالياً قرب اليوسفية إلى الجنوب من بغداد)، وكوثي⁽⁴²⁾ (حبل إبراهيم حالياً في مدينة مشروع المسيب على بعد حوالي 50 كم إلى الجنوب من بغداد). وهناك إشارة في نصوص الملك الآشوري سنحاريب (704-681 ق.م) إلى مقبرة موجودة في العاصمة الآشورية نينوى. وقد وردت هذه الإشارة في سياق الحديث عن تعرّض تلك المقبرة للتخريب بفعل فيضان نهر تيلتو الذي كان يخترق نينوى⁽⁴³⁾.

أنواع القبور والتوابيت

لقد شهدت بلاد الرافدين القديمة أنواعاً مختلفة من القبور والتوابيت التي لم يكن يجمع فيما بينها سوى الهدف المتمثل بإخفاء الجثة لحين تنتهي إلى البلاء بعد خروج الروح منها ونزولها إلى العالم السفلي، وهذا هو الجانب الديني في عملية

الدفن ولم يكن موضع اختلاف وتنوع. أما أشكال القبور والتواييت وموادها وكيفية استعمالها فلم تكن محكومة بقواعد واضحة للعقيدة الدينية. ولذلك لم يكن تنوعها واختلافها عن بعضها، حتى في العصر نفسه أو الموضع نفسه، يمثل خروجاً عن المعتقدات الخاصة بالموت وبالحياة الأخرى. وإذا لم يكن هذا التنوع والاختلاف قائماً على أسس دينية فإن ما كان يتحكم به ويؤدي إليه، تشابك من الدوافع العاطفية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية فضلاً على الظروف المحلية والتقاليد الموروثة والتأثيرات الطارئة. وبحسب أشكال القبور والتواييت وموادها يمكننا أن نحدد عشر طرق للدفن مما كشفت عنه التنقيبات الأثرية في مواقع بلاد الرافدين على اختلاف عصورها القديمة، وهذه الطرق هي:

أولاً- القبور البسيطة:

كانت هذه القبور تحفر بشكل بسيط في الأرض، وبأعماق مختلفة من قبر لآخر، لتمدّد الجثة فيها بأوضاع مختلفة. ويمكن القول إن هذا النوع من القبور أقدم أنواع القبور وأكثرها شيوعاً في بلاد الرافدين القديمة. وكما كانت الأعماق التي تُحفر بها هذه القبور مختلفة فإن أبعادها كانت مختلفة من قبر لآخر أيضاً. اكتُشفت أمثلة من هذه القبور في تل الصوان، إلى الجنوب من سامراء، ويعود تاريخها إلى العصر الحجري - المعدني (الألف السادس قبل الميلاد). وكان معظم هذه القبور بيضوي الشكل ويتراوح عمقها ما بين 22 و50 سم. وأظهرت التنقيبات الأثرية في تل الصوان أن بعض جثث الموتى كانت تُلف بحُصُر من القصب، وقد وجدت على بعضها آثار طبقة خفيفة من القير الذي كانت تطلّى به على ما يبدو⁽⁴⁴⁾. وكان هذا النوع من القبور شائعاً في مقبرة أريدو من عصر العبيد⁽⁴⁵⁾. وفي مقبرة أور من عصري جمدة نصر وفجر السلاات حيث كانت الجثث تلف بحُصُر من القصب أيضاً، وأحياناً يتم تثبيت هذه الحُصُر بدبابيس نحاسية كبيرة⁽⁴⁶⁾.

وفي العصر البابلي القديم (النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد) كانت معظم القبور المكتشفة في موقع مدينة توتب (خفاجي حالياً في منطقة ديالى) من النوع البسيط وتتراوح أعماقها ما بين 75 و150 سم تحت أرضيات البيوت⁽⁴⁷⁾. وكذلك اكتشفت قبور من النوع نفسه في موقع مدينة ميتورنات (تل السيب حالياً في منطقة حميرين في شرقي العراق). واستعملت قبور مشابهة في دفن الموتى طوال الألف الثاني قبل الميلاد في مدن أور ونفر وبابل وآشور. وكشفت التنقيبات الأثرية قبوراً بسيطة أيضاً في موقع مدينة نوزي (يورغان تبه قرب كركوك حالياً) وماري (تل الحريري حالياً) من أواسط الألف الثاني قبل الميلاد.

ثانياً- الدفن في توابيت من الطين أو الخشب والسلال:

لقد قدّمت لنا التنقيبات الأثرية أدلة على استعمال توابيت من الطين أو الخشب والسلال، على الرغم من كونها مواد معرضة للتلف. غير أن التنقيبات الدقيقة يمكن أن تُسجّل الآثار المتبقية من هذه المواد لتقدم لنا المعلومات اللازمة لمعرفة طرق الدفن المختلفة التي استُعملت في بلاد الرافدين. وقد عُثر أثناء التنقيب في موقع خفاجي (مدينة توتب القديمة من العصر البابلي القديم) على تابوت طيني في أحد القبور وفي داخله هيكل ممدّد على جنبه الأيمن⁽⁴⁸⁾.

وقد ابتدئ باستعمال الخشب في مقبرة أور لصنع دعائم خشبية تحمل حُصُر القصب التي يُمدّد عليها الأموات⁽⁴⁹⁾. وفي العصر البابلي القديم استُعملت ألواح الخشب لتغطية الموتى في القبور في نفر⁽⁵⁰⁾. وفي العصر نفسه استُعملت المحفّات الخشبية في القبور لوضع الأموات عليها من دون استعمال غطاء⁽⁵¹⁾. واستُعملت التوابيت الخشبية في مقابر أور وشروباك في الألف الثالث قبل الميلاد. ويُرجّح أن توابيت مشابهة استُعملت في قبور مدينة كيش في العصر البابلي الحديث (في الألف الأول قبل الميلاد) بدليل آثار الخشب المتفحّم التي وجدها المنقبون الآثاريون

أمّا السلال، التي يُفترض أنّها صُنعت من القصب، فهناك ما يدل على استعمالها لدفن الأطفال في أحد قبور موقع خفاجي الذي عُثر عليه تحت أرضية أحد البيوت. وهناك افتراض يذهب إلى أنّ التوايت الفخارية التي ظهرت لاحقاً كانت في بداية صنعها تُمثل محاكاة للسلال الأولى من ناحية أشكالها⁽⁵³⁾، ومن ثمّ تطوّرت إلى أشكال مختلفة.

ثالثاً- قبور مشيّدة باللبن أو الطابوق:

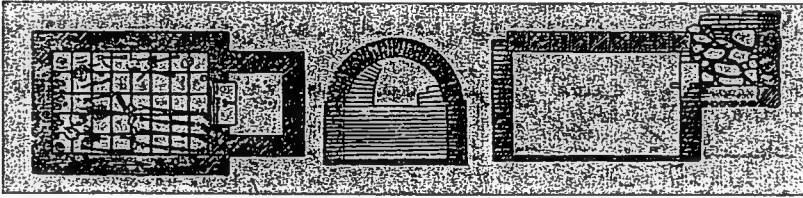
لعلّ أقدم ما وصلنا من القبور المشيّدة يعود إلى عصر العبيد (النصف الأول من الألف الرابع قبل الميلاد) حيث عُثر على قبور منتظمة مبنية باللبن في أريدو⁽⁵⁴⁾ (تلول أبو شهرين حالياً). ووجد من هذا النوع قبران في مقبرة أور من عصر العبيد أيضاً. وهذان القبران يختلفان عن باقي القبور البسيطة المكتشفة في ذلك الموقع من العصر نفسه. وقد حُفر هذان القبران بشكل مستطيل ثمّ بُنيت الأضلاع بالآجر الذي شُيد به السقف أيضاً⁽⁵⁵⁾. وبطريقة مشابهة شُيد بالآجر عدد من قبور أريدو من عصر العبيد أيضاً⁽⁵⁶⁾. ووجدت في موقع مدينة كيش قبور مشيّدة بالآجر وهي بأحجام مختلفة، ولكنها لم تكن تزيد كثيراً عن حجم الجثة⁽⁵⁷⁾.

ومن العصر البابلي القديم (النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد) اكتشف المؤلّف في موقع مدينة ميتورناة القديمة (تل السيب حالياً) قبراً شُيدت جدرانها بالآجر إلى ارتفاع 50 سم تقريباً ثمّ عُقد سقفه بالآجر أيضاً وكذلك رُصفت به الأرضية. وقد قدّم لنا هذا القبر مثلاً فريداً على طريقة تقديم القرايين من خلال القبر، وسنأتي على شرح ذلك مع صور القبر ووصفه في الفصل الثاني. وقد كشفت التنقيبات التي أجريت في موقع مدينة نفر القديمة عن قبور يعود تاريخها إلى العصر البابلي القديم والعصور التي تلتها، وقد شُيدت جدرانها بالآجر ورُصفت أرضيات

بعضها بالآجر أيضاً. أمّا السقوف فكان بعضها من الآجر في حين أنّ واحداً منها
سُفّ بمجدوع النخيل التي عُثر على بقاياها المتفحّمة⁽⁵⁸⁾.

وفي موقع العاصمة الآشورية القديمة آشور (قلعة الشرقاط حالياً) اكتشف
المنقبون الألمان في القرن الماضي عدداً من القبور المشيّدة بالآجر تحت أراضيّات
البيوت. وكان من بين هذه القبور 14 قبراً يعود تاريخها إلى العصر الآشوري الوسيط
(النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد) وقد شُيّدت جدرانها وأرضيّاتها بالآجر
وسُفّفت بأقبية معقودة بالآجر أيضاً.

وللاطلاع على شكل هذه القبور وطريقة بنائها نعرض فيما يأتي الرسوم
التخطيطية لأحدها، وهو القبر رقم (34)⁽⁵⁹⁾. كانت تلك القبور مختلفة الاتجاهات
وتتشارك في وجود غرفة صغيرة مستطيلة يبلغ معدل طولها 2,5م وعرضها أكثر من
متر ونصف وارتفاع القبو المعقود، الذي يسقفها، عن الأرضية المرصوفة بالآجر
حوالي 1,5م. وفي القبر رقم (34) – الشكل رقم (1) – يوجد المدخل في الطرف



(أ) - (ب) (ج)

الشكل رقم (1): رسوم تخطيطية للقبر رقم (34) من آشور

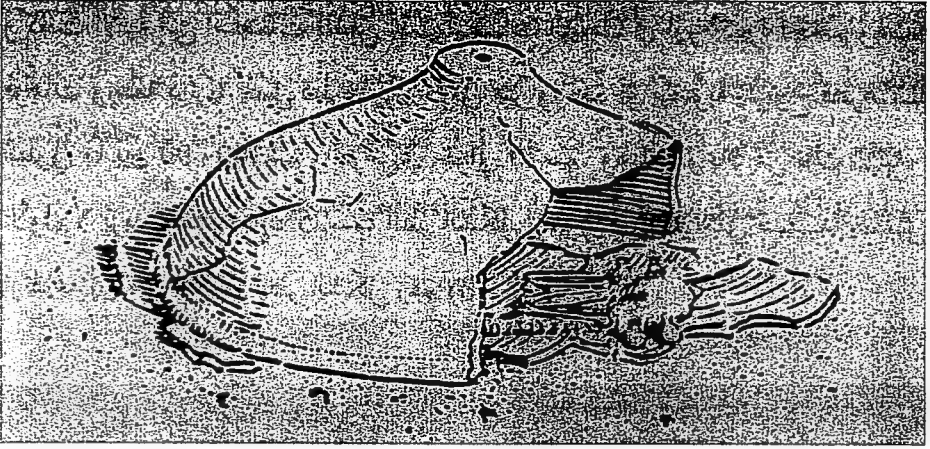
(أ) مقطع طولي (ب) مقطع عرضي (ج) مخطط أرضي

الشمالي وقد جعل بشكل حفرة مربعة تقريباً تنزل من أرضية المسكن إلى عمق حوالي 80 سم، وأغلقت الفتحة التي تؤدي منها إلى قبو الدفن بالآجر. وكانت الحفرة نفسها مليئة بالأحجار ومغلقة من الأعلى بالآجر. وكان الأموات يُمدّدون على الأرضية المرصوفة بالآجر تحت القبو، وقد عُثر على هيكلين ممدّيين بطولهما في الجانب الشرقي بينما تكدّست عظام من هياكل أقدم في الجانب الغربي. ووضع الأثاث الجنائزي، ومعظمه من الجرار الفخارية، بموازية الضلع الجنوبية للقبر عند رؤوس الهياكل.

وتجدر الإشارة هنا إلى القبور المشيدة بالآجر التي عُثر عليها تحت أرضيات غرف الجناح العائلي في قصر آشور ناصر بال الثاني في العاصمة الآشورية كَلَخ (نمرود حالياً) من الألف الأول قبل الميلاد. وسيرد وصف القبر الأول، الذي اكتُشف في عام 1988م بإشراف المؤلف، وذلك في الفصل الثاني.

رابعاً- الدفن باستعمال كسر الفخار:

استُعملت كِسَر الفخار في القبور منذ فترات مبكرة في بلاد الرافدين القديمة. ففي مقبرة أور (من الألف الثالث قبل الميلاد) وُجدت قبور سُجّي الأموات فيها على أرضية من الآجر ووضعت عليهم حُصُر من القصب ثم وضعت كسرة واحدة كبيرة من الفخار، أو كسرتين، فوق تلك الحُصُر⁽⁶⁰⁾. ولكن هناك قبور أطفال اكتُشفت في موقعي العاصمة البابلية بابل والعاصمة الآشورية القديمة آشور تُظهر استعمالاً أوسع في لكسر تحت الجثة وفوقها. وهذا التوسع أدّى إلى إطلاق مصطلح "قبور الكسر" (Sherd burials) من قبل المتقنين الآثاريين على هذا النوع من القبور. ويعود تاريخ جميع القبور المكتشفة حتى الآن من هذا النوع إلى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد في موقعي كلا العاصمتين القديمتين. وقد كشفت تنقيبات البعثة الألمانية في بابل، في بداية القرن العشرين، عن ثلاثة قبور تعود لأطفال. ونورد هنا رسماً تخطيطياً لأحد تلك القبور، وهو القبر رقم (34)⁽⁶¹⁾:



الشكل رقم (2): رسم تخطيطي للقبر رقم (34) - بابل، من العصر البابلي الوسيط

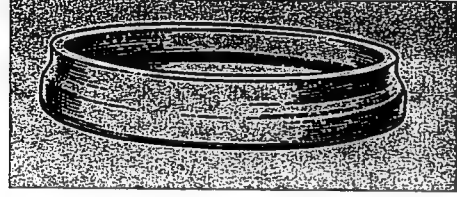
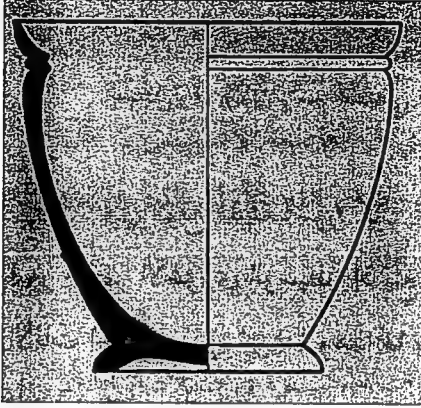
وفي موقع مدينة آشور كان عدد قبور الكسر الفخارية هو الأكبر من بين قبور العصر الآشوري الوسيط، إذ بلغ 48 قبراً. وكانت هذه القبور متفاوتة في كمية الأثاث الجنائزي وفي تنوعه، وهذا ما يدل على تفاوت المنزلة الاجتماعية والحالة المادية لعائلات المتوفين.

خامساً- الدفن في آنية فخارية:

إن أقدم مثال مكتشف عن الدفن في آنية فخارية واسعة الفوهة يعود إلى دور حسونه من العصر الحجري الحديث (أواسط الألف السادس قبل الميلاد)، وقد عُثر عليه في الطبقة الثانية من موقع تل حسونه، على بعد حوالي 30 كم إلى الجنوب من مدينة الموصل. وهو عبارة عن قبر يضم هيكلين عظيمين لطفلين رضيعين -وأم دفنا معاً في إناء من الفخار ووضعت معهما طاسة فخارية⁽⁶²⁾.

انتشرت قبور هذا النوع خلال الألف الثاني قبل الميلاد، إذ وجدت في مواقع أور، نفر، وآشور في العراق، وفي موقعي تيرقا وتل الحديدي في سورية.

وكانت الآنية التي استُعملت للدفن تحت أرضيات البيوت في أور كبيرة الحجم ولها فوهات واسعة دائرية يصل قطرها إلى حوالي متر واحد، أو بيضوية يتراوح قطرها الطولي ما بين 90 و140 سم والعرضي حوالي 70 سم. وهناك نوعان من تلك الآنية، الأول لا يزيد ارتفاعه عن 25 سم، انظر الشكل رقم (3-أ)، والثاني قد يصل ارتفاعه إلى متر واحد، انظر الشكل رقم (3-ب) ⁽⁶³⁾.



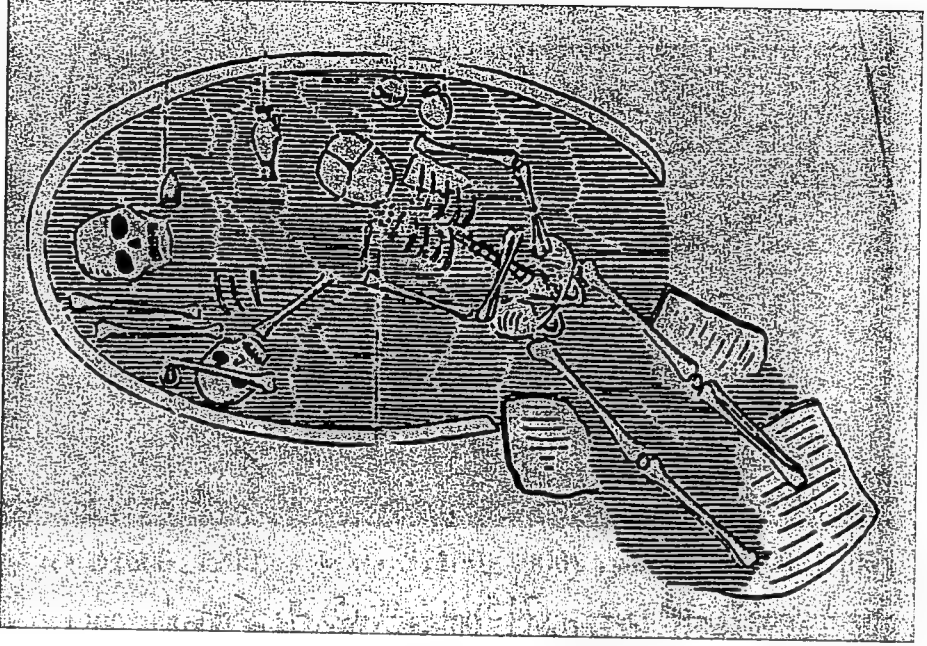
— ب —

— أ —

الشكل رقم (3): آنية فخارية استُعملت لدفن الموتى في أور

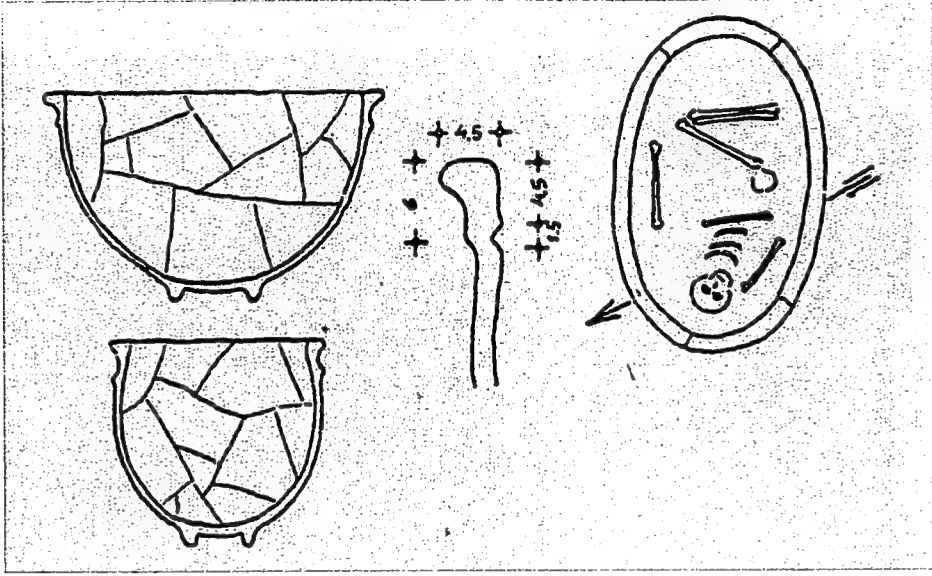
ومما يجدر ذكره هنا أن الآنية الفخارية المستعملة في هذا النوع من الدفن كانت إما تُوضع بشكل مقلوب فوق الجثة أو تُنصب بوضع عمودي وتُوضع الجثة في داخلها مع ثني الركبتين. وقد كشفت التنقيبات في العاصمة الآشورية القديمة آشور عن خمسة قبور من هذا النوع يعود تاريخها إلى العصر الآشوري الوسيط (النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد). وعُثر في أحد هذه القبور، القبر رقم (712)، على إناء فخاري كبير بيضوي الفوهة يحتوي على ثلاثة هياكل عظمية.

ومن الواضح أنّ اثنين من هذه الهياكل الثلاثة يعودان لشخصين دُفنا معاً، ثم أُعيد استعمال القبر نفسه في وقت لاحق حين دُفن شخص ثالث يعود له الهيكل الثالث. وعندما دُفن المتوفى الثالث مُدّدت جثته فوق الهيكلين الأولين وكُسرت حافة الإناء الفخارية لكي تُمدّد الرجلان إلى خارج الإناء، انظر الشكل رقم (4)⁽⁶⁴⁾:



الشكل رقم (4): القبر رقم (712) - آشور، العصر الآشوري الوسيط.
ثلاثة هياكل عظمية داخل إناء فخاري كبير بيضوي الشكل.

وفي قبر آخر من تلك القبور الآشورية الخمسة، القبر رقم (715)، استُعمل إناء فخاري كبير لاحتواء جثة واحدة وضعت مثنية الرجلين في داخله، انظر الشكل رقم (5)⁽⁶⁵⁾:



الشكل رقم (5): القبر رقم (715) – آشور، العصر الآشوري الوسيط.
هيكل عظمي داخل إناء فخاري كبير بيضوي الشكل مع رسوم تخطيطية للمقطعين الطولي والعرضي للإناء ورسم مقطعي للفوهة.

وفي موقع تيرقا، على الضفة الغربية لنهر الفرات في سورية، استعملت الآنية الفخارية في دفن الأطفال في حوالي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. وكانت الآنية المستعملة لهذا الغرض تغطي بصحون كبيرة من الفخار⁽⁶⁶⁾. وفي تل الحديدي اكتُشف إناء فخاري يحتوي على ثلاثة هياكل عظمية لأطفال ومعها جرة فخارية

صغيرة⁽⁶⁷⁾. ومورست طريقة الدفن في آنية الفخار في بلاد الرافدين خلال الألف الأول قبل الميلاد، إذ كشفت التنقيبات الأثرية عن قبور من هذا النوع في موقعي نقر وبابل⁽⁶⁸⁾.

سادساً- الدفن في جرار فخارية:

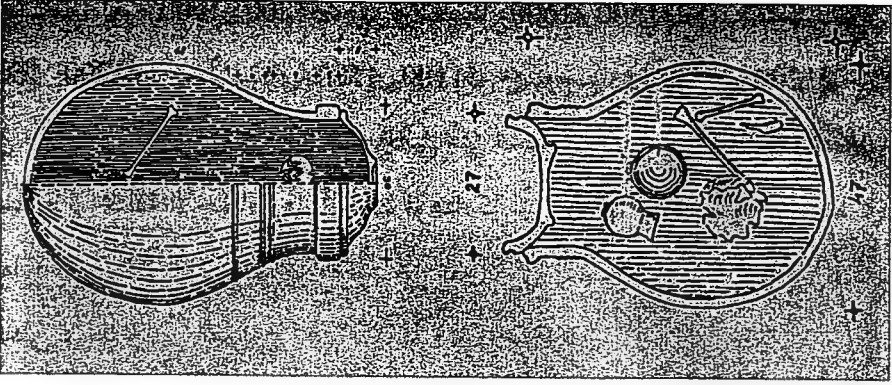
استُعملت الجرار الفخارية لدفن الأموات في بلاد الرافدين القديمة وكانت تلك الجرار كبيرة الحجم، وغالباً ما يكون لها بدن كروي الشكل، ولها فوهات تتسع لإدخال الجثة من خلالها إلى داخل الجرّة. ومن الأمثلة المبكرة عن هذه الطريقة في الدفن ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية في موقع تل قاليح آغا في مدينة أربيل في شمال العراق. ويعود تاريخ هذا الموقع إلى دور الوركاء⁽⁶⁹⁾ (النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد).

وكان أوسع انتشار لهذا النوع من القبور في الألف الثاني قبل الميلاد في العراق وسورية. فقد اكتُشفت قبور استُعملت فيها الجرار الفخارية في المواقع الآتية ومن التواريخ المؤشّرة إزاءها: أور (2000_1200 ق.م)، نقر (2000_1200 ق.م)، آشور (1900_1100 ق.م)، ماري (1900_1600 ق.م)، تيرقل (1750_1500 ق.م)، نوزي (1700_1400 ق.م)، وبلبل (1600 _ 1200 ق.م). وكانت الجرار التي استُعملت لدفن الأطفال في أور ذات أشكال غير مألوفة في عصرها (العصر البابلي القديم) وغير منتظمة الشكل. وقد وصف ليونارد وولي هذه الجرار بأنها تُحاكي شكل "بيت الأرنب"⁽⁷⁰⁾. ووجدت بقايا أغطية كانت تُوضع على فوهات الجرار مصنوعة إما من الفخار أو الخشب. وعُثر في داخل إحدى هذه الجرار على بقايا هيكل عظمية لأربعة أطفال رُضع، ولم تُكتشف فيها أية تجهيزات جنائزية. وفي الموقع نفسه كُشف عن أحد عشر قبراً من هذا النوع من القبور أيضاً. وفي موقع مدينة نقر بلغ عدد قبور الجرار الفخارية للبالغين ثمانية قبور فضلاً على

خمسة قبور لأطفال دُفِنوا في جرار فخارية أيضاً. وأُرِخت هذه القبور جميعاً إلى العصر البابلي القديم⁽⁷¹⁾. أمّا في العصر البابلي الوسيط فكانت القبور من هذا النوع مخصّصة للأطفال أيضاً ووجدت خالية من التجهيزات الجنائزية.

في موقع مدينة آشور اكتُشف من هذا النوع من القبور قبر واحد من العصر الآشوري القديم و14 قبراً من العصر الآشوري الوسيط. وقد أُعطي القبر الآشوري القديم، من قبل المنقبين، الرقم (486). وحملت القبور الآشورية الوسيطة الأرقام من (487) إلى (500). بلغت قياسات الجرّة المستعملة في القبر الآشوري القديم 60 سم للارتفاع و45 سم لقطر البدن و20 سم لقطر الفوهة. ومن الواضح أنّ هذا القطر للفوهة لم يكن يسمح بإدخال الجثة من خلالها، ولذلك قد يصحّ الاستنتاج أنّ الجرّة استُعملت لدفن ثانوي بوضع العظام فيها بعد تحلّل الجثة في موضع آخر. وقد وجدت هذه الجرّة بوضع أفقي وفوهتها مغلقة بكِسْرٍ من اللبن، وفي داخلها عُثر على كِسْرٍ عظمية بشرية متفرقة وبعض التجهيزات الجنائزية. ومن بين القبور الآشورية الوسيطة وجدت خمسة تحوي بقايا هياكل أطفال، وثلاثة يحتوي كل منها على زوج من الهياكل العظمية للبالغين. وكانت فوهات سبعٍ من الجرار في تلك القبور مغلقة بكِسْرٍ أو بأوانٍ فخارية إمّا محشورة داخل الفوهة، كما في القبر رقم (487)، أو مقلوبة على الفوهة، كما في القبر رقم (488). وفي الشكل رقم (6) رسمان تخطيطيان لجرّتي القبرين (487) و (488)⁽⁷²⁾.

وفي موقع تيرقا اكتشف المنقبون الآثاريون تسعة قبور استُعملت فيها جرار خزن كبيرة لاحتواء أموات بالغين، وأُغلقت فوهات هذه الجرار بآنية فخارية أو كِسْرٍ كبيرة من الفخار⁽⁷³⁾. وفي موقع نوزي اكتُشفت جرّة واحدة كروية البدن ذات فوهة واسعة ولها قاعدة مثقوبة في وسطها. وقد أُغلقت هذه الجرّة بإناء فخاري وضع بشكل مقلوب على الفوهة، وفي داخلها عُثر على بقايا عدّة هياكل عظمية للأطفال⁽⁷⁴⁾.



— ب —

— أ —

الشكل رقم (6) الجرار الفخارية التي استعملت للدفن في قبور
العصر الآشوري الوسيط في آشور.

— ب — القبر رقم (488)

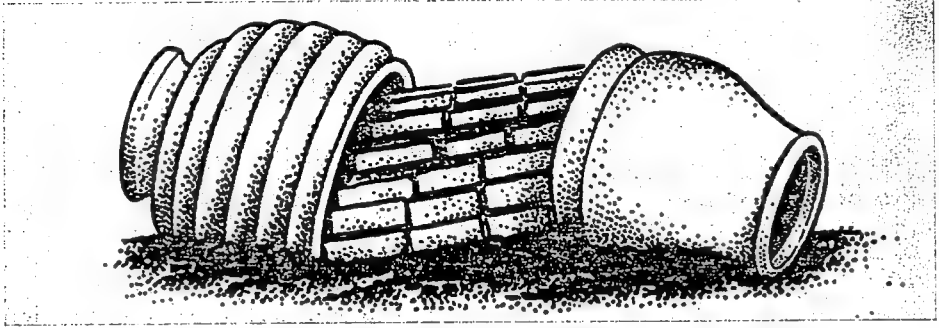
— أ — القبر رقم (487)

سابعاً- الدفن في جرار فخارية مزدوجة:

لقد شاعت في مواقع حضارة بلاد الرافدين وسورية القديمة طريقة دفن الموتى داخل جرّتين فخاريتين كبيرتين توضعان بشكل أفقي وتتقابل فوهتهما ليكون الرأس والصدر في أحدهما والجزء الأسفل من الجثة في الأخرى. والجرتان المستعملتان في كل قبر كانتا إما بشكلٍ وحجمٍ واحد أو بحجمين مختلفين. وكانت الفوهتان تُختمان بالطين أو تُغطيان بكِسْرِ الفخار بعد إنجاز عملية الدفن. وفي بعض الحالات، حين لا يكون حجم الجرّتين كافياً لاحتواء الجثة، تُباعد الجرّتان عن بعضهما ثم يُبنى قوس من اللبن ليُغطي وسط الجثة فيما بين الفوهتين. أمّا التجهيزات الجنائزية فكانت توضع في داخل الجرّتين وأحياناً في خارجهما.

إنّ أوسع انتشار لهذه الطريقة في الدفن كان في الألف الثاني قبل الميلاد، وتحديدًا منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد. وقد عُثر على قبور هذا النوع في

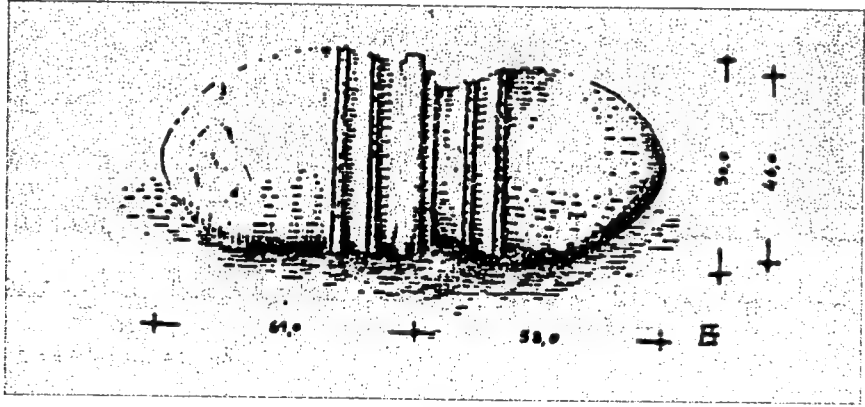
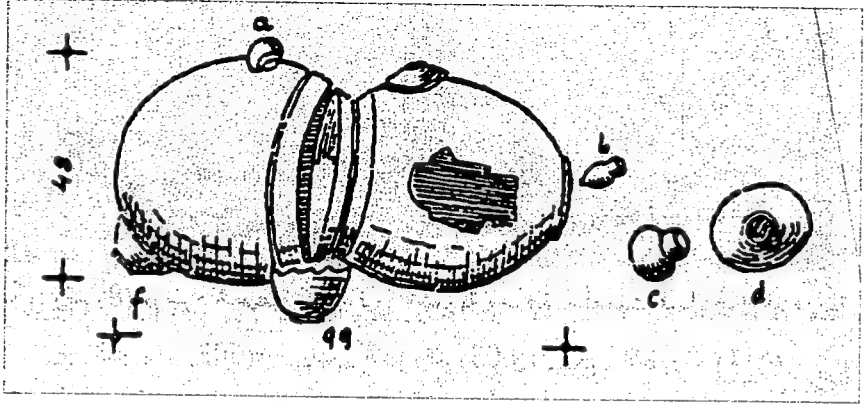
مواقع: أور (1600_1200 ق.م)، تيرقا (1600_1500 ق.م)، بابل (1600_1200 ق.م)، آشور (1500_1100 ق.م)، وماري (1400_1200 ق.م). ومن بين قبور الجرار الفخارية المزدوجة التي عُثر عليها في أور وُجد قبران استُعملت فيهما جرار مختلفة الأحجام وقد أبعدت فوهتا كل زوج منها عن بعضهما وغطّي وسط الجثة في كل منهما بقوس معقود من اللّبن. وفي الشكل رقم (7) رسم تخطيطي لأحد هذين القبرين، وهو القبر المرقم (KG/49)⁽⁷⁵⁾:

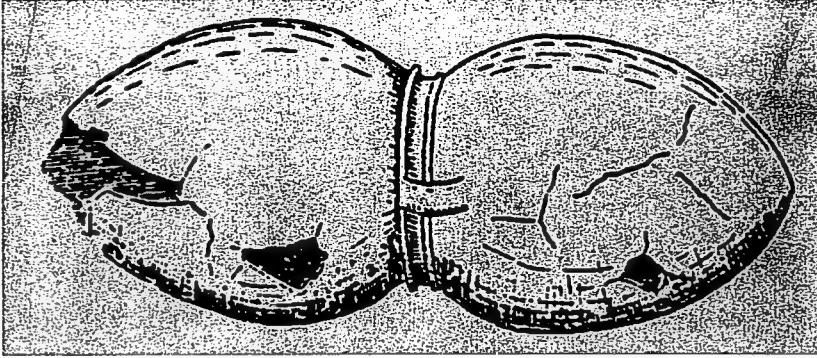


الشكل رقم (7): قبر بابلي وسيط من أور استُعملت فيه جرّتان فخاريتان مع قوس معقود من اللّبن في الوسط.

وفي تيرقا اكتُشف قبر طفل في جرّتين فخاريتين، وعُثر في داخلهما على بقايا الهيكل العظمي مع تجهيزات جنائزية تتكون من بقايا مواد مصنوعة وإناء فخاري، وفي خارج الجرّتين عُثر على زوج من العجلات الطينية التي فترض المنقبون أنّها تعود إلى لعبة تُمثّل عربة دُفنت مع الطفل⁽⁷⁶⁾. وظهرت قبور الجرار الفخارية المزدوجة في آشور خلال العصر الآشوري الوسيط، وقد اكتُشف منها 14 قبراً، وأعطيت الأرقام من (598) إلى (611). كانت خمسة من هذه القبور لأطفال، ومن ضمنها اثنان استُعملا للدفن الثنائي. إنّ الفوهات في كل زوج من الجرار في القبور الآشورية الوسيطة كانت توضع لصق بعضها إذا كانت متساوية الأقطار. أمّا

في حالة اختلاف قطري الفوهتين من جرّة لأخرى فكانت الفوهة الأصغر تدخل في الفوهة الأكبر. وهذا ما يبدو واضحاً من الرسوم التخطيطية للقبور المرقمة (602، 603، 611)⁽⁷⁷⁾ من آشور والمعرضة في الشكل رقم (8):





الشكل رقم (8): رسوم تخطيطية لثلاثة قبور آشورية وسيطة استُعملت فيها الجرار المزدوجة
 أ- القبر رقم (602)، ب- القبر رقم (603)، ج- القبر رقم (611)

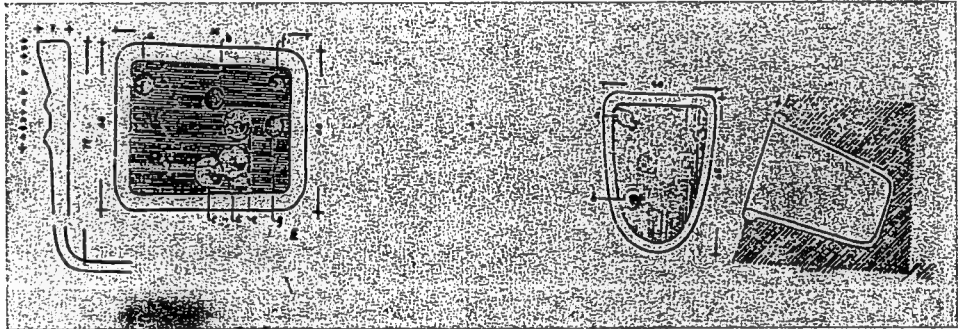
وفي موقع مدينة ماري (تل الحريري في سورية) اكتُشفت في عام 1936م مقبرة آشورية أُرّخت إلى القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد. وقد ضمت هذه المقبرة، التي وجدت في الساحتين 106 و131 في داخل قصر زمري- لم القدم، ما يصل عدده إلى 150 قبراً استُعملت فيها طريقتي الدفن البسيط والدفن في الجرار الفخارية المزدوجة. وكانت قبور النوع الأخير لأطفال وبالغين، وقد تميّزت بغنى تجهيزاتها الجنائزية، وعلى وجه الخصوص القبر المرقم (135) الذي مُدّت فيه الجثة مع كمية من الحلي الذهبية التي شملت غطاء رأس يتألف من 12 قرص ذهبي وأسلور وعقود وفخاريات متنوعة⁽⁷⁸⁾.

ثامناً- الدفن في توابيت بشكل الأحواض:

خلال العصر الآشوري الوسيط استُعملت في مدينة آشور توابيت فخارية بشكل الأحواض، ودأب المنقبون الآثاريون على تسميتها "أحواض الاستحمام"

لمشاهدتها في الشكل لأحواض الاستحمام. ومن بلاد آشور انتشر هذا النوع من التوابيت في بلاد الرافدين القديمة، واستمر استعمالها في العصور اللاحقة. وقد كشفت التنقيبات الآثارية عن ثلاثة أنواع من هذه التوابيت، وهي:

1_ النوع الأول له شكل بيضوي مع ضلع واحد مستقيم، أي شكل حرف D اللاتيني، وأحياناً يكون بشكل مربع بزوايا مستديرة وأحد أضلاعه أقصر من الضلع المقابل له. ومعدل قياسات هذا النوع من التوابيت يتراوح ما بين 60 و100 سم للطول، وما بين 50 و65 سم للعرض، ومعدل العمق ما بين 50 و60 سم. أي أنّها كانت بسعة تكفي لوضع الجثة بشكل ملموم تماماً. وكانت التجهيزات الجنائزية توضع مع الأموات في داخل هذه التوابيت. وفي الشكل رقم (9) الرسوم التخطيطية لاثنتين من هذه التوابيت المكتشفة في آشور⁽⁷⁹⁾:



الشكل رقم (9): قبور من العصر الآشوري الوسيط من آشور

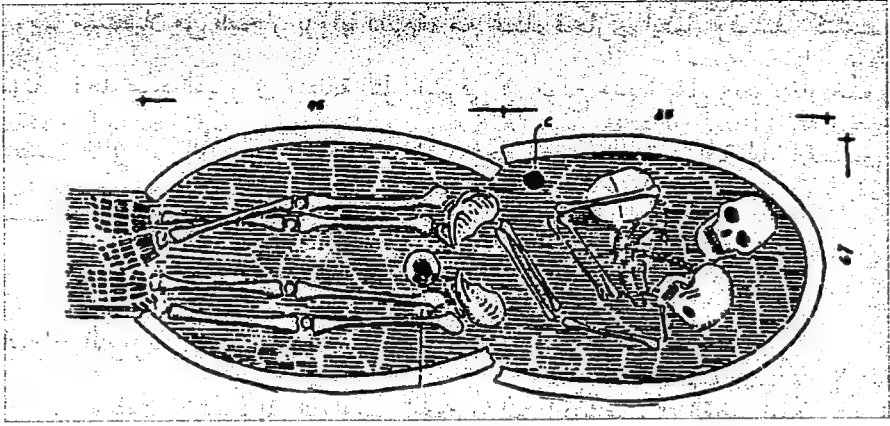
ب القبر رقم (676)

أ القبر رقم (675)

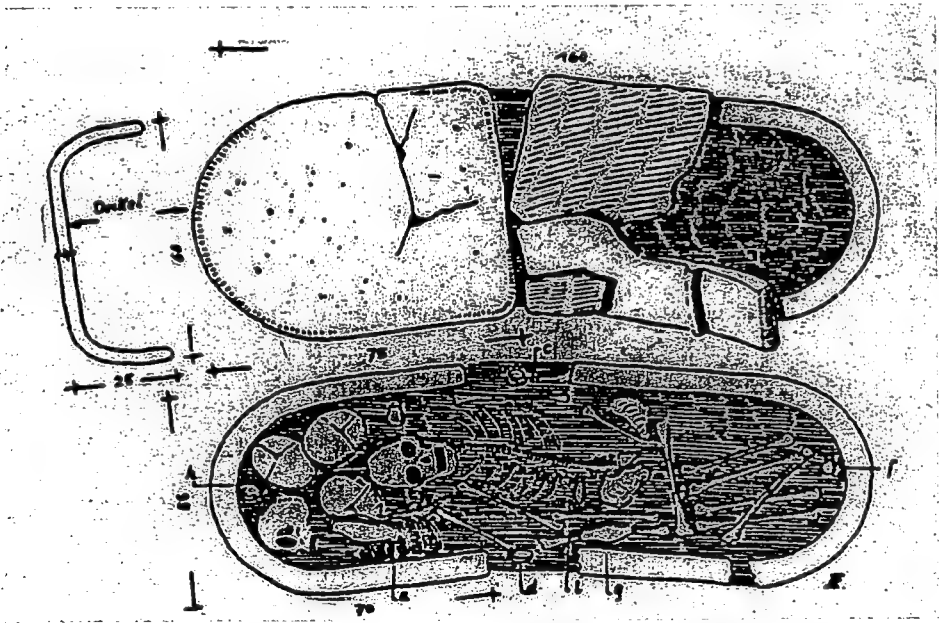
وعُثر على بقايا أغطية كانت موجودة فوق هذا النوع من التوابيت في القبور المكتشفة في آشور. وهذه الأغطية كانت إما من كسر اللبن أو ألواح حصية. وفي القبور المشاهدة التي اكتُشفت في نفر ويعود تاريخها إلى فترة السيطرة

الآشورية⁽⁸⁰⁾، واستمرت في العصور اللاحقة⁽⁸¹⁾، استُعملت أغطية لهذا النوع من التوابيت من جذوع النخيل، وفي بعض الأحيان من قطع الفخار أو الطين، ووجد عدد قليل منها مطلياً بالقيِر. وأحياناً كانت تُغطى بتوابيت مشاهة وبالحجم نفسه إذ تُقلب فوق التابوت الذي استُعمل للدفن. وفضلاً على نفر اكتُشفت قبور هذا النوع في جنوب بلاد الرافدين في بابل، من العصرين البابليين الوسيط والحديث، وفي أور وأوروك من عصور لاحقة⁽⁸²⁾. وتجدر الإشارة هنا إلى أن تابوتاً آشورياً من هذا النوع اكتُشف في أور ولكنه مصنوع من البرونز ويبلغ طوله 123 سم، ويعود تاريخه إلى حوالي عام 700 قبل الميلاد. ويبدو أنه خُصص لشخصية مهمّة، ومن المحتمل أن تكون كاهنة⁽⁸³⁾.

2_ النوع الثاني له شكل حوض مستطيل بزوايا دائرية ويتألف من قطعتين متشابهتين توضعان لصق بعضهما، ويكون الغطاء الفخاري الذي يوضع على هذه التوابيت من قطعتين أيضاً. وفي الشكل رقم (10)⁽⁸⁴⁾ رسوم تخطيطية لاثنتين من القبور الآشورية الوسيطة التي اكتُشفت في آشور من هذا النوع، وهما القبر رقم (738) والقبر رقم (746). وقد عُثر في القبر الأول على ثلاثة هياكل عظمية وكلنت أقدام اثنتين منهما ممتدة إلى خارج التابوت من كسرة أحدثت في طرفه. أمّا القبر الثاني رقم (746) فقد وجدت فيه خمسة هياكل عظمية مع كمية كبيرة من التجهيزات الجنائزية التي شملت الآنية الفخارية والحجرية والحلي الذهبية والنحاسية وخرز العقيق واللازورد والمحار وحوالي ألف خرزة من الزجاج الأزرق:



— 1 —



— 2 —

الشكل رقم (10):

— أ — القبر رقم (738)، — ب — القبر رقم (746) من آشور

3_ النوع الثالث مشابه للنوع الثاني ولكنه يتألف من قطعة واحدة تُشكّل حوضاً مستطيلاً من الفخار بزوايا دائرية، مع غطاء فخاري أيضاً. وقد اكتشف المؤلّف أحد هذه القبور في منطقة التل الشرقي في موقع مدينة بابل ويعود تأريخه إلى النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد (راجع الصور الفوتوغرافية لهذا القبر في الفصل الثاني).

تاسعاً- النواويس الحجرية:

سبقت الإشارة إلى النواويس الحجرية التي اكتُشفت في القصر الملكي القديم في موقع مدينة آشور، العاصمة الآشورية القديمة. وعلى الرغم من تعرّض هذه النواويس للنهب في الأزمنة القديمة أمكن تحديد الملوك الذين كانوا مدفونين فيها وذلك بواسطة قراءة الأسماء المنقوشة على كل ناووس. تتميز هذه النواويس الحجرية بضخامتها، وكان الناووس الخاص بالملك آشور - بيل - كالا مصنوعاً من حجر البازلت وله غطاء من البازلت أيضاً، أمّا الناووس الذي وجد إلى جانبه، وافترض أنّه كان يضمّ جثة الملكة، فقد صنّع من حجر الكلس.

وكان ناووس الملك آشور - ناصر بال الثاني من حجر الدوليرايت، ويبلغ طوله حوالي 3،80م وعرضه 1،80م وكذلك ارتفاعه. وغطاء هذا الناووس كان من حجر الدوليرايت أيضاً بشكل ألواح يبلغ سمكها 15سم⁽⁸⁵⁾. وينفرد هذا الناووس بوجود فتحة دائرية في غطاءه يبلغ قطرها حوالي 5سم، وقد فسّر بعض الباحثين الغرض منها أنّه لخروج روح الملك من الناووس⁽⁸⁶⁾، ولكنه تفسير لا يمكن قبوله لعدم وجود ما يُشير إلى الحاجة إلى فتحات لخروج الأرواح من القبور أو التواييت في عقائد بلاد الرافدين القديمة، وإنّما وجدت ثقب في بعض القبور لسكب الماء أو السوائل إلى داخل القبر، وهو ما سنأتي على شرحه لاحقاً في الفصل الثاني.

وفي مقبرة آشور الملكية نفسها اكتُشف ناووس الملك الآشوري شمشي _
أدد الخامس، المعروض حالياً في متحف برلين، وهو من حجر البازلت. وهذا
الناووس أصغر حجماً من ناووس آشور _ ناصر بال الثاني، إذ يبلغ طوله 2،40م
وعرضه متر واحد، وارتفاعه مساوٍ ل عرضه⁽⁸⁷⁾. ولهذا الناووس شكل صندوق منتظم
يضيّق قليلاً عند القعر، وقد وضع على مسندين من الحجر وتوجد على غطاءه
عروتان من البرونز⁽⁸⁸⁾.

عاشرًا_ تواييت بشكل المسرحية:

ظهرت في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد في بلاد الرافدين
تواييت فخارية تُحاكي المسارج في أشكالها. وقد عُثِر على العديد من هذه التواييت
في قبور من مواقع عدّة مدن قديمة مثل كيش، نفر، بابل، وآشور⁽⁸⁹⁾. وكان عدد من
هذه التواييت مزججاً ومزخرفاً بالنحت البارز، ومن الرسوم المصورة بالنحت البلز
على تواييت من هذا النوع اكتُشف في نفر رسم امرأة عارية تُغطي صدرها بيدها
اليمنى ووسطها بيدها اليسرى. وهذا الرسم مكرّر على جانبي التابوت وعلى
سطحه أيضاً. وزُيّنت تواييت أخرى، عُثِر عليها في موقع مدينة أوروك، برسوم
محارب مسترخٍ على أريكة ويُمسك بيده قديحاً. وتشترك التواييت من هذا النوع
بوجود فتحتين إحداهما كبيرة وبيضوية الشكل في أعلى الطرف العريض. وكان
جسد المتوفى يدخل من هذه الفتحة التي تُغلق لاحقاً بغطاء يُختتم بالخص. وأحياناً
تكون هذه الأغطية مزينة برسوم بارزة أيضاً، ومنها رسم أسدٍ فاغرٍ فاه⁽⁹⁰⁾. أمّا
الفتحة الثانية فتكون صغيرة في الطرف الضيق من التابوت لها شكل نصف دائري.
ويُرجّح أن تكون وظيفة هذه الفتحة سحب رجلي الميت بواسطة حبل يُمرّر منها
ليستقر جسده في داخل التابوت. ويتضمّن الفصل الثاني صورة فوتوغرافية لتابوت

من هذا النوع اكتُشف من قبل المؤلف في التل الشرقي في بابل، ويعود تاريخه إلى أواخر الألف الأول قبل الميلاد.

وضع الجثة واتجاهها في القبر

إنّ نتائج التنقيبات الآثارية التي جرت في مواقع عديدة من بلاد الرافدين تُشير إلى عدم التزام سكان البلاد القدماء بقاعدة محدّدة لوضع الجثة في القبر أو لاتجاهها. فالغاية من الدفن المساعدة على نزول الروح إلى العالم السفلي أينما كان هذا وبأي طريقة كانت. ولذلك يُمكن أن يُوجّه القبر نحو أي اتجاه، ويمكن أن تكون الجثة في داخله بأيّة وضعية. وبالإمكان أن نجد مختلف الاتجاهات ووضعية الجثث في العصر نفسه وحتى في الموقع نفسه. فالدفن لم يكن خاضعاً لقواعد دينية تُحدّد وضع الجثة واتجاهها في داخل القبر، وإنّما كانت الاعتبارات العاطفية والاجتماعية والتراثية والاقتصادية هي التي تتحكّم بذلك. وهكذا نجد القبور القديمة والجثث المدفونة فيها موجّهة نحو اتجاهات متغايرة من قبر لآخر. وحين تكون القبور تحت أرضيات البيوت أو بين أبنية المدن فإنّ التكوينات المعمارية، مثل الجدران واتجاهات الأبنية، تتحكّم في تحديد اتجاهات القبور. وسنلاحظ في الفصل الثاني أنّ القبور الموجودة في ساحة الدار نفسها أخذ كل منها اتجاه الجدار الذي حُفر بجانبه، وهذا ما حدث في موقع مدينة ميتورناة (تل السيب حالياً) خلال العصر البابلي القديم، وهي المدينة التي اكتشفت من قبل مؤلف الكتاب.

لقد دُفِنَ الأموات في بلاد الرافدين القديمة بوضعية مختلفة من دون الالتزام بوضعية معينة، فبعضهم كان يُمدّد بطوله كاملاً على الظهر، وبعضهم الآخر يُمدّد على أحد جنبه مع رفع الركبتين ليلتصق الفخذان بالبطن. ومن الوضعيات الأخرى تمديد الميت على الظهر مع ثني الرجلين ورفع الركبتين إلى الأعلى أو جعل الساقين

متقاطعتين إلى الداخل. أمّا وضعية الأيدي فكانت إمّا ممدّدة على جانبي الجسد أو متقاطعة على الصدر، أو مرفوعة أمام الوجه في حالة الدفن على أحد الجانبين. وفي الحالة الأخيرة اكتُشفت في العديد من القبور أقذاح فخارية في يد المتوفّى بما يصوّره وكأنّه يرفعها أمام الوجه ويهمّ بالشرب منها.

إنّ النصوص المسمارية العديدة التي اكتُشفت حتّى الآن تخلو من أي إشارة إلى تحديد وضعية الجثّة أو اتجاهها في القبر. وإنّ ما طُرِح من تفسيرات حول ذلك لا يعدو كونه استنتاجات يعوزها الدليل الواضح. ومّا يُضعف هذه الاستنتاجات أنّه لا توجد وضعية واحدة أو اتجاه واحد للجثث في قبور بلاد الرافدين القديمة. ونذكر من بين الاستنتاجات الخاصّة بوضعية الانحناء وثني الركبتين أنّها محاكاة لوضعية الجنين في رحم أمّه، وأنّ في ذلك مغزى إلى أنّ الموت يُمثّل بداية ولادة في حياة جديدة. ولكن يُمكن لهذه الوضعية أن تكون امتداداً تراثياً لأولى حالات الدفن التي تمّت في الكهوف خلال العصور الحجرية، مثل كهف شانيدار، حيث لم يكن بالإمكان حفر قبور واسعة في أرضية الكهف الصخرية فلجأ الإنسان القدم إلى الاكتفاء بحفرة صغيرة وثني جثّة المتوفّى في داخلها. ثمّ إنّ هذه الوضعية استمرّت بتمسّك الإنسان بما توارث عليه فيما يتعلق بطقوس الموت حتّى بعد مغادرته للكهوف وامتلاكه لمساحات أوسع للدفن.

ومن الملاحظات التي يمكن ذكرها عن طرق الدفن، في بلاد الرافدين القديمة أنّها كانت تُحاول إظهار الأموات بمظهر الأحياء عند دفنهم، وقد يكون ذلك بمحاكاة وضعية النائم أو بوضع الأقذاح في أيدي الموتى ورفعها أمام وجوههم، فضلاً على إكسائهم بالملابس وتزويدهم بالحليّ والزينة أو بالأشياء التي استعملوها في أثناء حياتهم. وكانت هناك وضعيات خاصة فرضتها طرق دفن معيّنة مثل الدفن المتعدد، أي دفن أكثر من جثّة في وقت واحد في القبر نفسه. ففي هذه الحالة تكون

وضعية الجثث متلائمة مع المساحة المتوفرة في القبر ومع ما يتطلبه إحكام وضع جثتين أو أكثر معاً. وفضلاً على الدفن المتعدد كان هناك الدفن المتكرر، أي إعادة استعمال القبر نفسه لدفن ميت أو أموات جدد. وفي هذه الحالة كان يتوجب دفع الهيكل، أو الهياكل القديمة، إلى جهة أو زاوية في القبر لإفساح المجال لوضع الجثث الجديدة بوضعية ملائمة. وفي بعض الأحيان، مثلما الحال في الدفن بالأحواض أو التوابيت الفخارية، كانت الجثث الجديدة توضع فوق الهياكل القديمة المدفونة في التابوت نفسه لعدم وجود مجال لدفعها جانباً. وقد سبقت الإشارة إلى بعض هذه الأمثلة في الصفحات السابقة.

ومما يؤكد عدم وجود عقيدة دينية ثابتة خاصة بوضعية الجثة أو اتجاهها في القبر استعمال الدفن الثانوي، أي جمع الهياكل العظمية من مكان الدفن الأول وإعادة دفنها في قبور جديدة، وهذا ما حدث على نطاق واسع في بلاد الرافدين القديمة. فقد مورست هذه الطريقة في قبور تل الصوان⁽⁹¹⁾، وفي قبور تل الأرجبية في الموصل من دور العبيد. إذ وجدت في تلك القبور أجزاء معينة من الهياكل العظمية مثل الجماجم أو الأطراف فقط. وكذلك مورس الدفن المتكرر في قبور العصر البابلي القديم في أور⁽⁹²⁾، وفي قبور آشور التي أشرنا إليها على الصفحات السابقة. وعلى الرغم من وضوح الدليل على ممارسة الدفن الثانوي لم تُقدّم لنا المواقع الأثرية أو النصوص المسمارية ما يُلقي الضوء على هذا النوع من الممارسات الدفنية ودوافعها. وفي القبور العديدة التي اكتُشفت فيها ممارسات الدفن الثانوي لم يكن هناك ما يدل على تقطيع الجثث قبل دفنها، إذ إنّ العظام التي عُثر عليها من هياكل غير كاملة لم تكن تظهر عليها أي آثار للتقطيع أو القشط. ولعلّ التفسير المعقول الذي يمكن للمرء أن يُقدّمه بهذا الصدد يتمثل في ضيق المساحات المخصصة للدفن مما يجعلها غير كافية لاستيعاب أموات جدد وهذا ما كان يستدعي جمع الهياكل

السابقة، فُرادى أو مجموعات، وإعادة دفنها في مكان جديد لا يستوجب أن يكون واسعاً، لأنّ الدفن فيه كان مقتصرأ على عظام متفرقة من الهياكل.

التجهيزات الجنائزية

اعتاد سكان وادي الرافدين القدماء، منذ أقدم عصورهم، على وضع العديد من الحاجيات واللوازم والحلي والأسلحة مع الموتى عند دفنهم. ولذلك أصبحت القبور القديمة مصدراً مهماً لللقى الأثرية من مختلف العصور. ومثلما تكون القبور القديمة مصدراً للمعلومات التي توضح لنا المعتقدات القديمة الخاصة بالموت والحياة الأخرى فإنها ساعدت على حفظ التراث المادي والفني لكل عصر من خلال ما خفي فيها من مواد ما كان مرجحاً أن تصل إلينا فيما لو بقيت متداولة في المدن القديمة وبيوتها. فمفهوم التجهيزات الجنائزية لم يكن يعني في بلاد الرافدين القديمة عدّة معينة تقضي العقيدة الدينية بدفنها مع الأموات، وإنما هي كل ما يمكن للإنسان أن يستعمله في الحياة من مواد وثرزوات منقولة، ومن ضمنها الحيوانات والطيور والأسماك. وقبل شرح الغاية من دفن هذه المواد مع الأموات لابدّ من تقديم عرض ملخّص لما اكتُشف منها من عيّينات من مختلف العصور والمواقع الأثرية، وسيكون هناك عرض إضافي للتجهيزات الجنائزية في الفصلين اللاحقين من هذا الكتاب في سياق مناقشة المواضيع المتعلقة بها.

لقد وضعت التجهيزات الجنائزية مع الموتى منذ أقدم عصور الاستيطان في بلاد الرافدين. فقد عُثر في قبور الطبقة (ب1) من كهف شانيدار على مغرة حمراء وقلادة من خرز صغيرة، وذلك في قبر يعود لأنثى. ووجدت في قبر آخر سكين من حجر الصوان المثبت بالقير في قبضة طويلة من العظم⁽⁹³⁾. ووجدت في قبور العصر الحجري الحديث في تل الصوان، الطبقة الأولى، مجموعات من الأواني الحجرية ودمى

من المرمر منحوتة بشكل دقيق فضلاً على مجموعة من الحلي المصنوعة من العقيق والفيروز والنحاس⁽⁹⁴⁾. وفي مقبرة أريدو من دور العبيد كانت التجهيزات الجنائزية من الفخاريات توضع في زاوية من القبر قرب القدم اليمنى وتشمل عموماً جرة، صحنًا، وقدحاً. وفي كثير من الأحيان توجد دلائل على وجود أطعمة، فقد وجدت عظام ذبائح في تراب بعض القبور أو فوقها. وفي إحدى الحالات وجد هيكل صبي في حدود السنة الخامسة عشرة من عمره وقد دفن بصحبة كلب مدد على حضن الصبي ووضعت في فمه عظمة. وعثر في قبر آخر على هيكلين عظميين لكلين دفنا مع الميت. أما الحلي التي عثر عليها في قبور تلك المقبرة فتتمثل في عقود طويلة من الخرز المصنوعة من حجر الأوبسيديان في الغالب وتكون عند مواضع الأعناق والمعاصم. وحين تأخذ هذه الخرز شكل أسطرة يستدل منها على وجود الثياب التي استعملت في تزيينها حين ألبس بها الأموات ولكنها تعرضت للتلف⁽⁹⁵⁾.

ومن المكتشفات المثيرة للاهتمام في مقبرة أريدو المصغرات الطينية لقوارب شراعية وجدت مع التجهيزات الجنائزية. وفي هذه المصغرات تظهر القاعدة المحرفة التي ينصب فيها الصاري ودمى طينية وجدت إحداها بحالة سليمة. تمثل هذه الدمية رجلاً له رأس يشبه رأس السحلية ويمسك بيده عصا قصيرة⁽⁹⁶⁾. ولم يقتصر اكتشاف مصغرات القوارب في دور العبيد على مقبرة أريدو، وإنما ظهرت أيضاً في قبور موقع العقير⁽⁹⁷⁾ وفي قبور أور⁽⁹⁸⁾. وكانت تلك المصغرات تصنع من مواد متنوعة مثل الفخار والفضة والقيز. وقد حاول بعض الباحثين تفسير وجود مصغرات القوارب باعتبارها نوعاً من التعاويذ التي تساعد أرواح الموتى في رحلتها إلى العالم السفلي حين يكون عليها أن تعبر النهر الأسطوري الذي يسمى "نهر خير" واعتقد أنه يحيط بعالم الأرواح، أو أنها مخصصة لإبعاد الشياطين عن الموتى حين عبورهم نهر خير بدليل نصوص التعاويذ الخاصة بطرد الشياطين⁽⁹⁹⁾. ولكن من الصعب إثبات صحة

هذه التفسيرات في غياب الدليل الكتابي الواضح على الغاية منها وعدم وجودها في المواقع الأخرى. وهنا نؤكد على قولنا بخصوص عدم وجود مادة معينة أو أداة استمر وجودها ضمن التجهيزات الجنائزية في جميع القبور حتى يمكن اعتبارها جزءاً من العقيدة الدينية أو أن لوجودها مغزى دينياً.

لقد كان واضحاً من التجهيزات الجنائزية المكتشفة في قبور دور العبيد في أور أن الرجال كانوا يدفنون مع أسلحتهم وأدواتهم الشخصية، وأن النساء كن يدفن مع حلّهنّ وأدوات زينتهنّ ومواد التجميل الخاصة بهنّ. ويصاحب ذلك حاجيات شخصية وأقداح من النحاس أو الحجر وأواني فخارية متنوعة. وكانت هذه التجهيزات تُكَدّس حول الرأس وينتظم بعضها في صف أمام الجثة، وتوضع مجموعة أخرى منها قرب القدمين. وحين يكون الدفن في تابوت كانت التجهيزات الجنائزية توضع في داخله ويوضع بعضها في خارجه ضمن مساحة القبر⁽¹⁰⁰⁾. وفي مقبرة دور جمدة نصر وبداية عصر فجر السلالات الأول (الثالث الأول من الألف الثالث قبل الميلاد) كانت التجهيزات الجنائزية تشمل الفخار الملون والمواد المعدنية مثل الأقراط الفضية، المرايا النحاسية والبرونزية، الملاعق والدبابيس، وأدوات وأواني متنوعة من النحاس والرصاص⁽¹⁰¹⁾.

وخلال عصر فجر السلالات كانت التجهيزات الجنائزية المكتشفة في قبور موقع مدينة كيش تدل، في نوعيتها وقيمتها، على مكانة المتوفى ومدى غناه. وكان معظم الموتى مجهزون بحاجياتهم الشخصية وبعض اللوازم مثل الجرار، التي يمكن الاستدلال على أنها كانت تحوي الطعام، والقدح الذي يوضع في يد الميت فضلاً على بعض المواد النحاسية. ومما تجدر ملاحظته أنه لم يعثر على أثر للأسلحة في تلك القبور⁽¹⁰²⁾. وفي قبور خفاجي (موقع مدينة توتب القديمة في منطقة ديبالي من عصر فجر السلالات) عثر على عدد من الهياكل العظمية لكلاّب وأسماك وطيور

وحوانات صغيرة مختلفة⁽¹⁰³⁾. وهذا ما يذكر باكتشاف هياكل عظمية للكلاب في مقبرة أريدو التي سبقت الإشارة إليها في الصفحات السابقة. وقد عثر على بعض الدمى الطينية الأثوية في بعض قبور الأطفال في خفاجي⁽¹⁰⁴⁾، وهذا ما سبق أن مورس في تل حسونة حيث كشفت التنقيبات الأثرية في طبقات العصر الحجري الحديث في هذا الموقع عن وجود الدمى الطينية الأثوية في داخل الأواني الفخارية التي دفن فيها الأطفال⁽¹⁰⁵⁾.

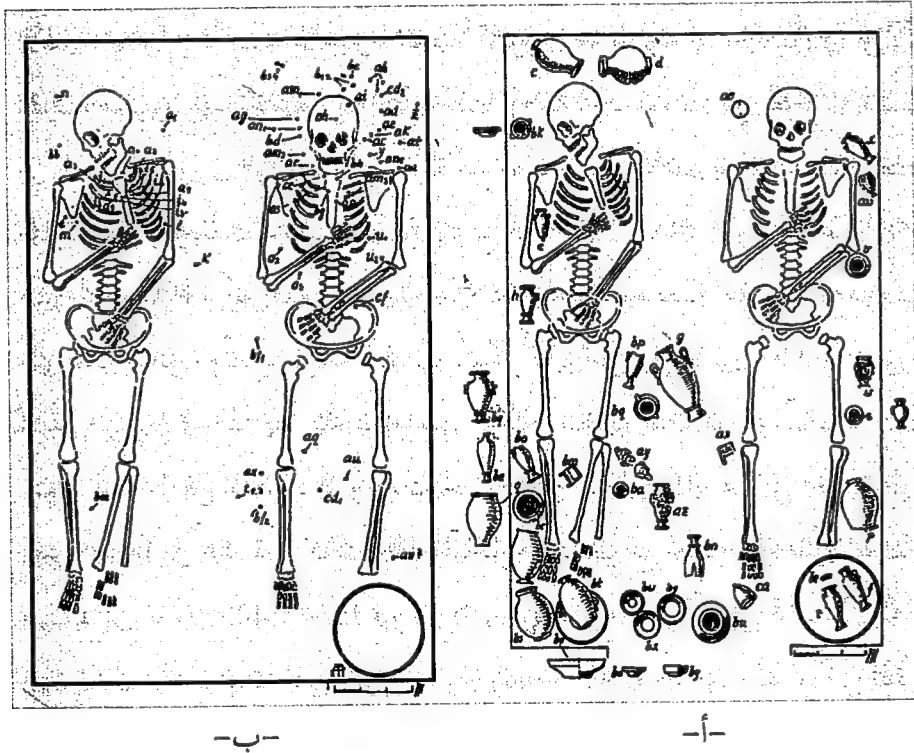
وقد مت لنا القبور المكتشفة في موقع مدينة نفر، من مختلف العصور، مجموعات متنوعة من التجهيزات الجنائزية التي تشمل عقود الخرز والحلي البرونزية والحديدية والنحاسية وكميات كبيرة من الأحجار الكريمة وشبه الكريمة ومجموعات من الجرار الفخارية. وكذلك وجدت مواد تدل آثارها المتبقية على أنها كانت مصنوعة من الخشب أو الجلد، وهما مادتان قابلتان للتلف⁽¹⁰⁶⁾. وتجدر الإشارة هنا إلى الأقفعة الفخارية والحجرية التي عثر عليها في قبور نفر. وهذه الأقفعة مثقوبة في مواضع العيون والفم والأنف والأذنين، ويمثل بعضها وجه رجل، وبعضها الآخر مصور بوجه رجل له قرنان وأذنا ثور⁽¹⁰⁷⁾. لقد استمرت التجهيزات الجنائزية طوال عصور حضارة بلاد الرافدين القديمة مؤلفة من كل ما كان يُستعمل في الحياة اليومية أو يُقتنى لأي غرض كان. وكانت هذه التجهيزات تتوافق مع المستوى المادي والاجتماعي لعائلة المتوفى. وهكذا كانت القبور الملكية، ومن بعدها قبور الشخصيات المهمة والأثرياء، تمتلئ بتجهيزات ثمينة ونفائس من المواد الذهبية والأحجار الكريمة وسواها. وكانت كمية تلك التجهيزات وقيمتها تتناقص كلما تدنت المترلة الاجتماعية والحالة المادية للمتوفى. ومن الواضح أنه لم تكن هناك تحديدات معينة لما يجب أن يدخل في التجهيزات الجنائزية أو ما يحرم وضعه فيها. ولم يكن هناك أي اختلاف فيما بين المواد التي تدخل في التجهيزات الجنائزية والمواد التي

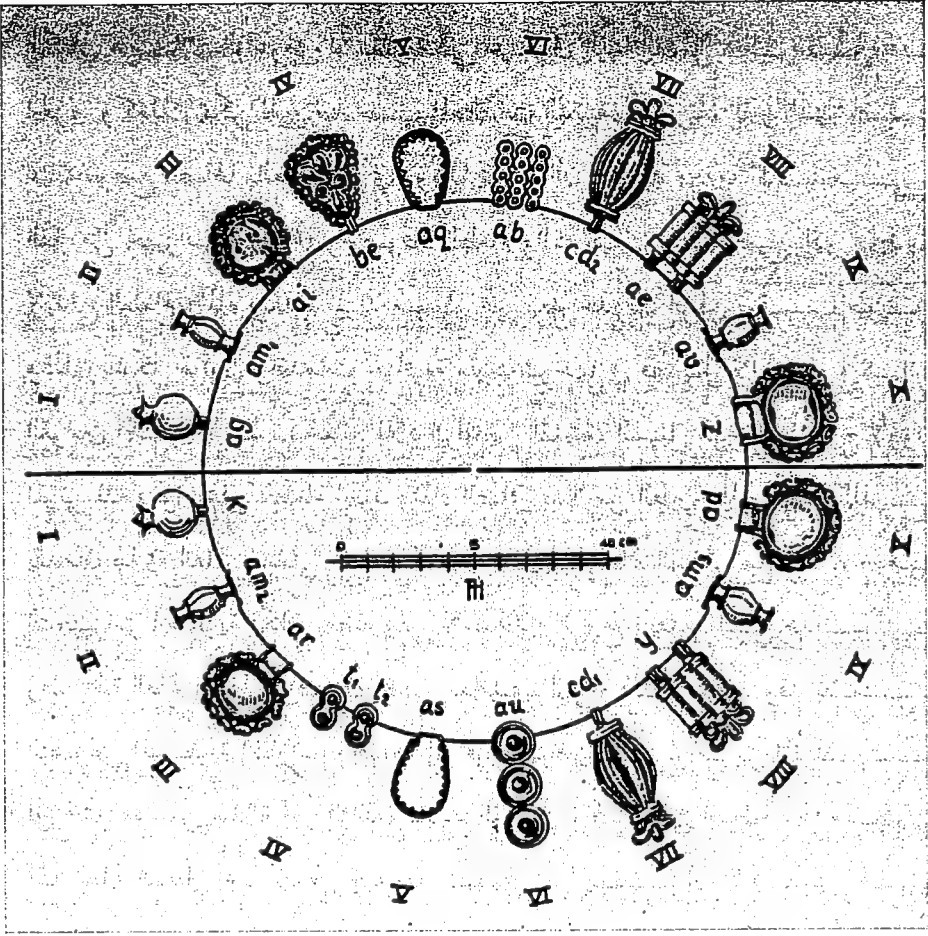
تستعمل من قبل الأحياء في الحياة اليومية وفي المنازل. وكانت التجهيزات الجنائزية وثيقة الصلة بالمتوفى أو ما كان يملكه أو يستعمله في حياته. ويشمل ذلك الملابس والحلي والأسلحة والأدوات واللعب والقطع الفنية وغير ذلك. ومن خلال ذلك أصبح بالإمكان، على سبيل المثال، تمييز قبور الرجال عن قبور النساء منذ اللحظات الأولى لاكتشاف القبر ورؤية ما في داخله من تجهيزات جنائزية وحتى قبل فحص الهيكل العظمي.

ومن القبور المهمة التي يمكن ذكرها هنا مثلاً على طبيعة التجهيزات الجنائزية وتنوعها القبر رقم (45) الذي اكتشف في أثناء تنقيبات البعثة الآثرية الألمانية في موقع العاصمة الآشورية القديمة آشور (قلعة الشرقاط حالياً) في أوائل القرن العشرين. لقد اكتشف هذا القبر تحت أرضية أحد البيوت التي يعود تاريخها إلى العصر الآشوري الوسيط على مقربة من معبد عشتار الآشورية. إن هذا القبر عبارة عن قبو رصفت أرضيته بالآجر، وتبلغ أبعاده 2.5 م × 1.61 م وارتفاعه 1.58 م. وميزة هذا القبر أنه يقدم مثلاً على عدة ممارسات دفنية فضلاً على ما يقدمه من تجهيزات جنائزية وثقت طريقة تنظيمها بشكل دقيق من قبل المنقبين. فقد مورس الدفن المزدوج في هذا القبر باحتوائه على هيكلين عظميين دفنا معاً. وشهد القبر نفسه عملية الدفن المتكرر، إذ وجدت تحت هذين الهيكلين بقايا هياكل عظمية قد يصل عددها إلى عشرة. وكانت تلك الهياكل قد دفنت مع تجهيزات جنائزية يعود تاريخها إلى ما بين 1400 و1250 قبل الميلاد. أما الدفن الأخير فيمكن تحديد تاريخه في عهد الملك الآشوري توكلي-نورتا الأول (1244-1208 ق.م). وقد افترض المنقب الذي اكتشف هذا القبر، وهو فالتر أندريه، أن الهيكلين المدفونين فيه يعودان إلى كاهن وكاهنة مهمين من كهنة معبد عشتار في مدينة آشور⁽¹⁰⁸⁾. أما التجهيزات الجنائزية التي عُثر عليها في هذا القبر فقد تنوعت ما بين الحلي المصنوعة من الأحجار

الكريمة والذهب والأواني الفخارية مع 22 وعاء من المرمر وأدوات زينة وختم أسطواني ومشطين من العاج ومشابك شعر عاجية وسواها.

ويتضمن الشكل رقم (11) الرسوم التخطيطية للقبر رقم (45)⁽¹⁰⁹⁾، وفيه ثلاثة رسوم يظهر في الأول (11-أ) الهيكلان العظميان ممددان على الظهر وقد بدت التجهيزات الجنائزية من جرار وأواني وأوعية وأدوات في مواضعها الأصلية. وفي الرسم الثاني (11-ب) يظهر الهيكلان ذاتهما مع إشارات تدل على مواضع مواد الزينة والحلي التي دفنت معهما. أما الرسم الثالث (11-ج) فيعرض تلك المواد والحلي مع الحروف التي تشير إلى مواضعها في الرسم الثاني (11-ب).





الشكل رقم (11): رسوم تخطيطية لقبر من العصر الآشوري الوسيط-مدينة آشور

إن طبيعة التجهيزات الجنائزية تدل على أن الغرض الأول من وضعها في القبر كانت تلبية احتياج روح المتوفى إليها. وهذا يعني وجود اعتقاد بأن بعضاً من التجهيزات الجنائزية ينزل مع الروح إلى عالمها الأخير، وهذا ما يؤيده الدليل

الكتابي من خلال النصوص المسمارية التي سيتطرق إليها الفصل الثالث من هذا الجزء. وكذلك يمكن للروح، بحسب المعتقدات الدينية، أن ترتاد القبر الذي يصبح بمثابة موضع اتصالها بالعالم العلوي. وبهذا يمكنها أن تستفيد من ما كان يتبقى في القبر من تجهيزات جنائزية، وخصوصاً الطعام والشراب. ولذلك أصبح القبر موضعاً لإيداع الطعام والماء وتقديم المزيد منهما، حتى بعد حدوث الدفن بوقت طويل، وذلك بشكل قرايين وتقدمات جنائزية سيرد شرحها في فصل لاحق. وكانت القرايين الجنائزية، بحسب عقائد بلاد الرافدين القديمة، السبيل الوحيد المتاح لأرواح الموتى للحصول على الطعام الجيد والماء الصافي بدلاً من الطين والماء العكر اللذين يقدمان لها في العالم السفلي. أما ما كان ينزل إلى العالم السفلي مع الروح من التجهيزات الجنائزية فكان بعضه يبقى لاستخدام الروح ويقدم المتبقي هدايا لنيل رضا آلهة العالم السفلي وضمان حسن معاملتهم لروح ذلك المتوفى. وقد تضمنت النصوص المسمارية إشارات واضحة إلى قيام المتوفين، وخصوصاً من الملوك، مثل أور-نمو مؤسس سلالة أور الثالثة، بتقديم القرابين والهدايا التي اصطحبوها معهم إلى آلهة العالم السفلي عند نزولهم إليه بعد دفنهم. وهنا ينبغي أن لا يُهمل الجانب العاطفي من وراء وضع بعض التجهيزات الجنائزية. وهذا الجانب يكون موجوداً في ظل أي عقيدة دينية عن مراسم الدفن والتصورات الخاصة بالموت والحياة الأخرى. ومن قبيل ذلك، الحرص على دفن مقتنيات خاصة وأشياء أحبها المتوفى في حياته، وفي ذلك إرضاء لرغبة عاطفية لدى الأحياء تجاه فقيدهم للتخفيف من "محنته" وهو "يواجه" وحيداً وحشة القبر في بداية رحلته إلى عالم الأرواح. وهذه ممارسة لم تزل معروفة في المجتمعات المعاصرة ولا يستغرب المرء أن يجد جذورها تمتد عميقاً لتصل إلى ممارسة دفن التجهيزات الجنائزية في بلاد الرافدين القديمة، ويكمن بعضها في أمثلة ورد ذكرها على الصفحات السابقة. ومن أوضح تلك الأمثلة ذلك الصبي الذي دُفن

في مقبرة أريدو ومعه كلبه راقداً في حضنه وبفمه عظمة، وفي هذا مشهد عاطفي يكمل المشهد الديني لشعائر الدفن ووضع التجهيزات الجنائزية.

شواهد القبور

استعملت شواهد القبور المدونة بالخط المسماري في بلاد الرافدين القديمة للدلالة على القبور والإعلام عنها وعن الأشخاص المدفونين فيها، أي يمثل ما تُستعمل له شواهد القبور في يومنا هذا. فضلاً على ذلك كان يقصد من شواهد القبور حماية القبر ومحتوياته من عبث العابثين وتحذيرهم من انتهاك حرمة القبر والهيكل الموجود فيه مع استئزال اللعنات على من يتجاهل التحذيرات الواردة على شاهد القبر. لكن ما وصلنا من تلك الشواهد محدود العدد ولا يزيد على بضعة منها. ويعود السبب في قلة ما وصلنا من الألواح الكتابية التي كانت تستعمل شواهد للقبور إلى طبيعة طرق الدفن التي استُعملت. ففي أكثر الأحيان لم يكن مُتوقِعاً وجود حاجة لوضع الشواهد في حالة الدفن تحت أرضيات البيوت أو في الجرار على سبيل المثال. وهناك سبب آخر وراء قلة ما اكتُشف من هذه الشواهد يتمثل في عدم اهتمام السكان القدماء بإخفاء قبور موتاهم مما جعلها عرضة للتخريب بدوافع مختلفة، وكان أول ما يتعرض للتخريب أو الإزالة من القبر شاهده.

وقبل عرض شواهد القبور التي تم اكتشافها حتى الآن تجدر الإشارة إلى ما سبق التطرق إليه حول أضرحة الملوك الآشوريين في العاصمة الآشورية القديمة آشور. ذلك أن كتابة أسماء بعض أولئك الملوك على النواويس الحجرية التي كانت تضم رفاتهم، في داخل الأقبية الموجودة تحت القصر الملكي القديم، مثلت ممارسة تؤدي جانباً من الوظيفة التي تُستعمل الشواهد من أجلها. أما القطع الأثرية التي يمكن اعتبارها شواهد قبور مما اكتشف حتى الآن فيوجد منها ثلاث، وهي:

أولاً: قطعة أثرية بشكل مخروط طيني، وجدت بنسخ متعددة، ويبدو أنها جاءت من مواقع مختلفة ووجدت طريقها إلى عدد من المتاحف العالمية. ويدل مضمون النص الأكدي المدون على هذه المخاريط أن الغاية منها الدلالة على موضع القبر⁽¹¹⁰⁾. وكما هو واضح من النص فإنه يصلح للدلالة على أي قبر لعدم وجود اسم شخص فيه. وفيما يأتي ترجمة هذا النص:

"للأبد، بتوالي الأيام، على الدوام، في الأيام المقبلة، عسى من يرى هذا القبر أن لا ينتهك حرمة، ولكن يعيده إلى مثل ما كان عليه. إن الشخص الذي يرى هذه (الكتابة) ولا يستخف بها، بل يقول: 'سأعيد هذا القبر إلى مثل ما كان عليه'، عسى أن يعود عليه بالخير العمل الذي يعمل. عسى أن يجعل اسمه على الأرض، عسى أن تشرب روحه الماء النقي في العالم السفلي"⁽¹¹¹⁾.

ثانياً: توجد في المجموعة البابلية في جامعة ييل في الولايات المتحدة أسطوانة طينية دون عليها نص يعود تاريخه إلى أواخر العصر الآشوري الحديث، إذ يُذكر فيه اسم الملك الآشوري آشور-ايطل-ايلاني (624-626 ق.م)، وهو خليفة آشور بانيبال على العرش الآشوري. ويتضح من النص أن هذه الأسطوانة الطينية التي دون عليها ليست إلا شاهد قبر شمش-ابني، أحد رجال الدولة المهمين في عهد آشور-ايطل-ايلاني. وترجمة هذا النص كما يأتي:

"قبر شمش-ابني الداكوري الذي كان آشور-ايطل-ايلاني، ملك بلاد آشور، يعطف عليه، وقد جلبه من بلاد آشور إلى بيت-داكور، موطنه (الأصلي)، واضجعه في قبر في وسط بيت دور-ياكن.

أياً من تكون، مسؤولاً، حاكماً، قاضياً، أم أميراً قائماً في البلاد، لا ترتكب إثماً بحق هذا القبر وعظامه. صنّ موضعه وانشر عليه حمايتك الطيبة. وبهذا عسى الإله مردوخ، السيد العظيم، أن يطيل عهدك ويرعاك بحمايته. عساه [أن يحفظ لك] اسمك، ذريتك، وحياتك لأيام طويلة.

أما إذا ذلك الأمير، المسؤول، الحاكم، القاضي، أو الوكيل القائم في البلاد يرتكب إثماً بحق هذا القبر والعظام، أو يغير موضعها أو ينقلها إلى مكان آخر، أو يجرّضه شخص ما على الإساءة ويصغي هو إليه، فعسى الإله مردوخ، السيد العظيم، أن يمحوا اسمه، نسله، ذريته، وأخلافه من أحاديث الناس. وعسى الإله نبو أن يقصر عمره. وعسى الإله نرجال أن يجعل حياته عرضة للوباء والكوارث وسفك الدماء⁽¹¹²⁾.

ثالثاً: اكتشفت في مدينة حران، قرب الحدود السورية-التركية، مسـلـتان نقش عليهما نص مسماري بابلي. ويبدو أن الموضع الذي اكتشفت فيه هاتان المسـلتان كان في داخل معبد الإله-القمر سين في حران، أو على مقربة منه. يتضح من هذا النص المدون على هاتين المسـلتين أنهما كانتا شاهد قبر أدد-جي (Adad-guppi)، أم الملك البابلي الأخير نبونائيد (539-555 ق.م). وكما هو معروف من النصوص المسمارية كانت أدد جي-الكاهنة العليا في معبد الإله سين في مدينة حران. ولهذا النص أهمية تاريخية ودينية كبيرة إذ يتضمن، في الجزء الأول منه، نبذة عن حياة تلك الشخصية البابلية المهمة مروية على لسانها هي. والجزء الثاني من النص عبارة عن تذييل يروي حادثة وفاة أدد-جي ويصف الشعائر والمراسم الجنائزية التي أقيمت لها. وذلك ما يجعل من نص شاهد القبر هذا مصدراً مهماً للمعلومات الخاصة بالموت والدفن وشعائره. وفيما يأتي الترجمة الكاملة للنص⁽¹¹³⁾:

"أنا أدد-جي، أم نبو نائيد، ملك بابل، المنذورة للآلهة سين، نرجال، وسادرنونا، آلهتي الذين، منذ طفولتي، ألوذ بألوهيتهم دائماً. فأنا التي في السنة السادسة عشرة من عهد نبو بلاصر، ملك بابل، حين غضب الإله سين، ملك جميع الآلهة، على مدينة حران ومعبده، وصعد إلى السماوات، وعمّ القنوط المدينة وناسها، ذهبتُ إلى مزارات الآلهة: سين، نرجال، نسكو وسادرنونا في المدينة

وبقيت منذورة لألوهيتهم. أنا التي تمسكت بأهداب ثوب الإله سين، ملك جميع الآلهة، واتخذت من ألوهيته العظيمة ملاذاً لي في كل صباح ومساءً. أنا التي كرسيت بخشوع حياتي كلها إلى الآلهة سين، شمش، عشتار وأدد في السماوات وفي العالم السفلي. وعلى كل ما وهبوني من ملك ثمين شكرتهم بتقديم القرابين صباحاً ومساءً، شهوراً وأعواماً.

تمسكت بأهداب ثوب الإله سين، ملك جميع الآلهة، وتطلعت عيناى إليه صباحاً ومساءً. ركعت أمامه في التضرع والصلوات متوسلة: 'إذا عدت لمدينتك سيتعبد جميع سود الرؤوس لألوهيتك'. من أجل قدنة إلهي وآلهتي لم أدع جسدي ينعم بأي كساء من الصوف الناعم أو الحلبي الذهبية والفضية، ولا بأي رداء جديد أو عطر أو زيت زكي الرائحة. لبست ثوباً بالياً، وحين تركت (بيتي). كلن الصمت يحيم عليه. أنا على الدوام ابتهلت إليهم، وكان التسبيح لإلهي وآلهتي في خاطري، وانقطعت إلى خدمتهما، ولم أدع ما هو نفيس إلا وجلبته لهما.

منذ السنة العشرين من عهد آشور-بانيبال، ملك بلاد آشور، حين ولدت، حتى السنة الرابعة والعشرين من عهد آشور بانيبال، السنة الثالثة من عهد ابنه آشور-ايطل-ايلاني، السنة الحادية والعشرين من عهد نبو بلاصر، السنة الثالثة والأربعين من عهد نبوخذ نصر (الثاني)، السنة الثانية من عهد اويل-مردوخ، السنة الرابعة من عهد نرجلسر، خلال هذه السنوات الخمس والتسعين التي واصلت فيها زيارة معبد الألوهية العظيمة لسين، ملك جميع الآلهة في السماوات والعالم السفلي، كان ينظر بعطف إلى أعمالي الورعة، ويصغي لصلواتي ويتقبل نذوري.

وأخيراً هدأ قلبه الغاضب وأصبح راضياً على معبد أي-خلخل، معبد الإله سين في حران، المقام المقدس الذي يبتهج فيه قلبه، وتغير مزاجه. سين، ملك جميع الآلهة، نظر بعطف وسمى نبونائيد، ابني الوحيد الذي أنجبته، للملوكية وعهد إليه ملوكية بلاد سومر وأكد وجميع البلدان، من حدود مصر، على البحر العلوي، إلى البحر السفلي. حينئذٍ رفعت يداي إلى الإله سين، ملك جميع الآلهة وتضرعت إليه بخشوع وإيمان: 'بما أنك سميت للملوكية نبونائيد، ابني الذي أنجبته، حبيب أمه، وأعليت مكانته، فلتجعل جميع الآلهة الآخرين -بأمرك الإلهي- يساعدونه ويمكنونه من هزم أعدائه، ومن ترميم معبد أي-خلخل وأداء شعائره'. في الرؤيا وضع سين، ملك جميع الآلهة، يده عليّ قائلاً: 'من أجلك سيعود الآلهة وسأعهد لابنك نبونائيد بالمقام المقدس لحران. سيرمم معبد أي-خلخل وسينجز هذا الواجب، سيجدد حران ويجعلها أحسن من ما كانت عليه من قبل. إنه سيقود الآلهة: سين، ننجال، نسكو وسادرنونا في موكب مهيب إلى معبد أي-خلخل'.

انتهت للكلمات التي قالها لي الإله سين، ملك جميع الآلهة، ورأيت (تحققها). وأدى نبونائيد، الابن الوحيد الذي أنجبته، كل الشعائر التي كانت منسية للآلهة سين، ننجال، نسكو وسادرنونا وأتم ترميم معبد أي-خلخل. وقاد الآلهة: سين، ننجال، نسكو وسادرنونا في موكب من بابل، عاصمته، ونصبهم بفرح وسعادة في حران، المقام الذي يبهجهم.

من حبه لي، أنا التي تعبدت له وتمسكت بأهداب رداءه، فإن سين، ملك جميع الآلهة، فعل ما لم يفعله من قبل وما لم يمنحه لشخص آخر، لقد منحني مركزاً سامياً وإسماً مشهوراً في البلاد. لقد أضاف (لحياتي) أياماً عديدة وأعواماً من

السعادة، وحفظني حيةً أرزق من زمن آشور-بانيال، ملك بلاد آشور، إلى السنة التاسعة من عهد نبونائيد، ملك بابل، الابن الذي أنجبته. (لقد عشت) مائة وأربعة أعوام في تلك التقوى التي غرسها الإله سين، ملك جميع الآلهة، في قلبي. كان نظري جيداً، سمعي ممتازاً، يداي ورجلاي سليمتان، كلماتي منسقة، الطعام والشراب ملائمين لي، صحي جيدة وبالي مرتاح. لقد شاهدت أحفاد أحفادي حتى الجيل الرابع وأنا بصحة جيدة حتى في شيخوختي.

إني لأعهد إليك، أيها الإله سين، سيدي، بابني نبونائيد، ملك بابل، (ذلك) أنك نظرت إلي بعطف ووهبتني الحياة الطويلة. إنه لن يرتكب إثماً بحقك طوال ما هو على قيد الحياة. خصّه بالملاكين الحارسين الطيبين شيدو (ēdu) ولمسو (Lamassu) اللذين خصصتني بهما فمكنتني من إحراز العمر المديد. لا تغفر له إثمه وذنبه بحق ألوهيتك العظيمة، وعساه أن يكون خاشعاً لألوهيتك العظيمة. لقد التزمت بالطاعة من كل قلبي وقمت بواجبي طوال السنوات التي مارس فيها الملوكية كل من نبوبلاصر، ملك بابل، 21 سنة، نبوخذ نصر (الثاني)، ابن نبوبلاصر، 43 سنة، ونرجلسر، ملك بابل، 4 سنوات، (ومجموعها) 68 سنة. لقد جعلت نبونائيد، الابن الذي أنجبته، يخدم نبوخذ نصر (الثاني)، ابن نبوبلاصر، ونرجلسر، ملك بابل، فأدى واجبه تجاههما صباحاً ومساءً وكان يعمل كل ما يرضيهما. وهو قد جعل لي اسماً حسناً أمامهما فمُنحاني مركزاً سامياً كما لو كنت ابنتهما الحقيقية.... وأنا واصلت تقديم القرابين الجنازية لهما وهيئة نذور البخور الوافر الزكي الرائحة وتقديمه لهما على الدوام"

(التذييل:)

"رحلت إلى مصرها في السنة التاسعة من حكم نبونائيد، ملك بابل. سجي نبونائيد، ملك بابل، الابن الذي أنجبته، جثمائها ليرقد مكتسياً أردية من الصوف الناعم والكتان الأبيض الناصع. أودع جثمائها في ضريح مستور مع الحلي الوفيرة من الذهب المرصع بالأحجار الجميلة، أحجار ...، عقود من الحجر الثمين، حاويات الزيت المعطر، و... . نحر الخراف السمان وجمع في حضرته سكان بابل وبورسا سوية مع ناس من المقاطعات البعيدة. لقد دعى ملوك، أمراء، وحكام من حدود مصر، على البحر العلوي، إلى البحر السفلي للحداد. ... فأقاموا مناحة عظيمة، نثروا الطين على رؤوسهم. وكانوا لسبعة أيام وسبع ليال يسيرون مطأطأي الرؤوس، معفرين بالتراب، متجردين من ملابسهم الفخمة. في اليوم السابع ... خلق كل اهل البلاد ونظفوا أنفسهم، نزعوا أثواب الحداد... جلبت لهم صناديق من الملابس الفخمة إلى أماكن إقامتهم، قدمت لهم الطعام والشراب، جهزتهم بسخاء بالزيت الفاخر، نثرت الزيت المعطر على رؤوسهم، وجعلتهم في رضى ومظهر حسن. جهزتهم جيداً من أجل سفرهم الطويل، وعادوا إلى بيوتهم.

إنك أيا من تكون، سواء ملكاً، أميراً، أم ... اتخذ من الألوهية العظيمة للإله سين، ملك جميع الآلهة، سيد آلهة السماوات والعالم السفلي ملاذاً لك. تعبد للآلهة: شمش، أدد وعشتار، أسياد السماوات والعالم السفلي الذين ... الآلهة الذين يقيمون في ايساجلا وايزيدا وتضرع لهم ... فإن كلمة الإلهين سين وعشتار هي التي تنقذك ... تحفظ نفسك وذريتك سالمين، إلى أبد الآبدين".

هوامش الفصل الأول من الجزء الأول

- (1) كوران، أرليت لوروا، "انسان نياندرتال 4 في كهف شانيدار"، في سومر 25 (1969)، ترجمة جميل حمودي، ص 275.
- (2) Solecki, Ralph S., **Shanidar**, (London, 1972), p. 174.
- (3) Ibid., p.154.
- (4) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، جـ 1 (بغداد، 1973)، ص 195.
- (5) El-Wailly, F. and B. Abu es-Soof, "The excavations at Tell es-Sawwan, first preliminary report-1964" in **Sumer** 21 (1965), p. 23.
- (6) Childe, v.Gordon, **New Light on the most Ancient East**, (London, 1952), p. 109.
- (7) Ibid., p. 121.
- (8) أبو الصوف، بمنام، "التنقيب في تل قاليج آغا في أربيل"، في سومر 25 (1969)، ص ص 5-6.
- (9) McCown, Donald E., in **Nippur** 1, (Chicago, 1967), p.147.
- (10) Childe, v.Gordon, **New Light on the Most Ancient East**, p. 148
- (11) Watelin, L.Ch., and S. Langdon, **Excavations at Kish** 4 (Paris, 1934), pp.17 f.
- (12) Delougaz, Pinhas, **Private Houses and Graves in the Diyala Region**, (Chicago, 1967), p.58.
- (13) Heidel, A., **The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels**, (Chicago, 1967), p. 164.
- (14) Loc. Cit.
- (15) McCown, Donald E., in **Nippur** 1, p. 147.
- (16) راجع الفصل الثاني حول القبور المكتشفة من قبل المؤلف في تل السيب وسواها من القبور.
- (17) Wolley, C. Leonard, **Abraham**, (London, 1935), p. 208.
- (18) Ibid., pp. 211-5.

(19) Ibid., p. 216.

(20) **Chicago Assyrian Dictionary**, 8; kimahu, p. 370.

(21) Ibid., p 371.

(22) King, L.W., **Chronicles Concerning Early Babylonian Kings**, 2 (London, 1907), pp.52-4; Col.II: 3-10.

وحول الملوك المذكورة أسماؤهم في النص ونسبهم وعلاقاتهم ببعضهم، انظر المرجع الآتي:

Frame, Grant, **Rulers of Babylonia from the Second Dynasty of Isin to the End of Assyrian Domination (1157-612 BC)**, (Toronto, 1995), pp. 70ff.

(23) المقصود به الملك سمير-شيبك ، مؤسس سلالة القطر البحري

الثانية (1024-1007 ق.م).

(24) كان دامق-اليش الملك الثالث في سلالة القطر البحري الأولى، وقد ورد ذكره

في النص، على ما يبدو، لبيان شرعية حكم سمير-شيبك باعتباره ذو صلة بسلالة حاكمة سابقة.

(25) ايا-مكين-زير (Ea-mukīn-zēri) حكم في عام 1007 ق.م. ويتضح من

النص أنه استولى على العرش بقوة السيف وقتل الملك الشرعي سمير-شيبك، ولذلك اعتبر ملكاً غير شرعي ولم يسمح بدفنه في القصر الملكي وإنما دفن في منطقة قبيلته في الأهوار.

(26) كشو-نادن-اخي هو الملك الثالث والأخير في سلالة

القطر البحري الثانية. حكم لمدة ثلاث سنوات (1006-1004 ق.م).

اعتبر ملكاً شرعياً ولذلك دُفن في القصر الملكي بعد وفاته.

(27) أي-اولماش-شاكن-شمي (E-ulmaš-šākin-šumi) (987-1003 ق.م)،

مؤسس سلالة بازي (سلالة بابل السادسة).

(28) كانت مدينة كار-مردوخ على ما يبدو المدينة الرئيسة لقبيلة بيت-بازي التي

تأسست منها سلالة بازي. ويتضح من النص أن القصر الملكي كان موجوداً في تلك المدينة ولذلك دفن فيه مؤسس السلالة أي-اولماش-شاكر-شمي. أما موطن قبيلة بيت بازي فيرجح أن يكون عند أحد المصببات القديمة لنهر ديارلي في مجرى نهر دجلة القديم إلى الجنوب من بغداد، حول تحديد هذا الموطن، انظر المرجع الآتي:

Frayn, Douglas R., **The Early Dynastic List of Geographical Names**, (New Haven, Connecticut, 1992), p. 45.

(29) Olmstead, A.T., **History of Assyria**, (New York, 1923), pp. 70 f.

(30) Johns, C.H.W., **Babylonian and Assyrian Laws, Contracts and Letters**, (New York, 1940), p.245.

(31) Conteneau, Georges, **Everyday Life in Babylonia and Assyria**, (New York, 1966), p. 296.

(32) Woolley, C.L., **Excavations at Ur**, (London, 1963), p. 150.

(33) Ibid., pp. 150 ff.

(34) Kramer, S.N., **The Sumerians**, (Chicago, 1964), pp.217 f.

(35) باقر، طه، مقدمة من تاريخ الحضارات القديمة جـ1، ص 186.

(36) Childe, V. G., **New Light on the Most Ancient East**, p. 112.

(37) Leick, Gwendolyn, **Mesopotamia: The Invention of the City**, (London, 2001), p.12.

(38) Ibid., p.113.

(39) حول تحديد تاريخ المقبرة الملكية في أور ووصف أهم الأضرحة فيها، راجع

كتاب المؤلف: عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة،

(بغداد، 1986)، ص ص 255 وما بعدها.

(40) McCown, Donald E., in **Nippur** 1, p. 147.

(41) سفر، فؤاد، "حفريات مديرية الآثار العامة في اريدو"، سومر 3 (1947)،

ص 225.

(42) Jeremias, A., **The Old Testament in the Light of the Ancient East** 1, (New York, 1911), P. 139.

(43) **Chicago Assyrian Dictionary**, 8; kimahu, p. 371.

(44) El-Wailly, F. and B. Abu es-Soof, "The excavations at Tell es-

- Sawwan, first preliminary report", in **Sumer** 20 (1964), p. 23.
- (45) Leick, Gwendolyn, **Mesopotamia: The Invention of the City**, p.12.
- (46) Woolley, L., **Ur of the Chaldees**, (New York, 1965), p.37.
- (47) Delougaz, P., **Private Houses and Graves in the Diyala Region**, p. 58.
- (48) Ibid., p. 107.
- (49) Woolley, L., **The Sumerians**, (New York, 1965), p.36
- (50) McCown, Donald E., in **Nippur** 1, p. 118.
- (51) Delougaz, P., **Private Houses and Graves in the Diyala Region**, p. 67.
- (52) Watelin, L.Ch., and S. Langdon, **Excavations at Kish** 4, p. 18.
- (53) Woolley, L., **The Sumerians**, p. 36
- (54) باقر، طه، مقدمة من تاريخ الحضارات القديمة جـ 1، ص 227.
- (55) Woolley, L., "The cemetery of al-Ubaid", in **Ur Excavations**, 1 (Oxford, 1927), p. 174.
- (56) Childe, V.Gordon, **New Light on the most Ancient East**, p. 121.
- (57) Watelin, L.Ch., and S. Langdon, **Excavations at Kish** 4, pp. 17 f.
- (58) McCown, Donald E., in **Nippur** 1, p. 118.
- (59) Haller, Arndt, **Die Gräber und Gräber von Assur**, (Berlin, 1954), Abb. 145.
- (60) Langdon, S.H., in **Encyclopedia of Religion and Ethics**, (New York, 1958-9), p. 445.
- (61) Reuther, Oscar, **Die Innenstadt von Babylon (Merkes)**, (Leipzig, 1968); Abb. 97.
- (62) باقر، طه، مقدمة من تاريخ الحضارات القديمة جـ 1، ص 210.
- (63) **Ur Excavations**, 7 (London, 1976), p. 114.
- (64) Haller, Arndt, **Die Gräber und Gräber von Assur**, Abb. 70.
- (65) Ibid., Abb. 71.
- (66) preliminary reports, No. 1: General introduction and the stratigraphic
Syro-Mesopotamian Studies, 1
(1977), pp. 27-30.
- (67) idi: A millenium of Bronze

- Annual of the American Schools of
Oriental Research**, 44 (1977), p. 132.
- (68) McCown, D. E., in **Nippur** 1, p. 119.

(69) الصيواني، شاه، "مجموعة قبور تل قاليج اغا في أربيل"، في **سومر** 27

(1971)، ص 46.

- (70) Woolley, L., and M.E. Mallowan, in **Ur Excavations**, 7, p. 34.
- (71) McCown, D. E., and R.C. Haines, in **Nippur** 1, p. 147.
- (72) Haller, Arndt, **Die Gräber und Gräber von Assur**, Abb. 29, 30.
- (73) Buccellati, Giorgio and Marilyn Kelly-Buccellati, in **Syro-Mesopotamian Studies**, 1, pp.26-27.
- (74) Starr, Richard F.S., **Nuzi** 1, (Harvard University Press, 1937), p.353.
- (75) Woolley, L., **Ur Excavations** 8, Fig. 5.
- (76) Buccellati, Giorgio and Marilyn Kelly-Buccellati, in **Syro-Mesopotamian Studies**, 2, p. 14.
- (77) Haller, Arndt, **Die Gräber und Gräber von Assur**, Abb. 47, 48, 50.
- (78) **Mari, capitale fabuleuse**, (Paris, 1974), Fig. 92.
- (79) Haller, Arndt, **Die Gräber und Gräber von Assur**, Abb.64, 65.
- (80) McCown, D. E., in **Nippur** 1, 174.
- (81) Langdon, S., in **Encyclopedia of Religion and Ethics**, p. 445.
- (82) McCown, D. E., in **Nippur** 1, p. 119.
- (83) Bienkowski, Pitor, and Alan Millard (ed.), **Dictionary of the Ancient Near East**, (London, 2000), p. 77.
- (84) Haller, Arndt, **Die Gräber und Gräber von Assur**, Abb. 75, 76.
- (85) Heidel, A., **The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels**, p. 160.
- (86) **Everyday Life Ancient Times**, (Washington, 1951), p.58.
- (87) Heidel, A., **The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels**, p. 161.
- (88) Conteneau, Georges, **Everyday Life in Babylonia and Assyria**, pp. 297 f.
- (89) Hidell, A., *Op. Cit.*, p. 165.
- (90) Legrain, Leon, **Terra-Cottas from Nippur**, (Philadelphia, 1930), p. 34; No. 313.
- (91) el-Waily, F., and B. Abu es-soof, in **Sumer** 20, (1964), p. 23.

(92

Arpachiyah, 1933 Iraq 2 (1933), pp. 36 f.

(93) باقر، طه، مقدمة من تاريخ الحضارات القديمة جـ 1، ص 186.

(94) المصدر نفسه، ص 215.

(95) Leick, Gwendolyn, **Mesopotamia: The Invention of the City**, p.12.

(96) Ibid., p. 13.

(97) Goff, Beatrice L., **Symbols of Prehistoric Mesopotamia**, (New Haven, 1963), p. 43.

(98) Woolley, L., **The Sumerians**, p. 36.

(99) Langdon, S., **Babylonian Menologies and the Semitic Calendars**, (London, 1935), p.38.

(100) Woolley, L., in **Ur Excavations 1**, pp. 173 f.

(101) Leick, Gwendolyn, **Mesopotamia: The Invention of the City**, p. 112.

(102) Watelin, L.Ch., and S. Langdon, **Excavations at Kish 4**, pp. 18-20.

(103) Delougaz, P., **Private Houses and Graves in the Diyala Region**, pp. 86, 114.

(104) Ibid., p. 78.

(105) Saggs, H. W., **The Greatness that was Babylon**, (New York, 1968), p. 34.

(106) McCown, D. E., in **Nippur 1**, pp. 121-23.

(107) Legrain, L., **Terra-Cottas from Nippur**, p. 26.

(108) Haller, Arndt, **Die Gräber und Gräber von Assur**, pp. 125 ff.

(109) Ibid., Abbs. 159-60, 166.

(110) Johns, C.H.W., **Cuneiform Inscriptions: Chaldean, Babylonian and Assyrian Collections Contained in the Library of J. Pierpont Morgan**, (New York, 1908), p. 37.

(111) Heidel, A., **The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels**, p. 154.

(112) Ibid., pp. 154 f.

وبيت -داكور- في هذا النص اسم قبيلة كلدانية عاشت في جنوب العراق خلال

الألف الأول قبل الميلاد. وبيت-ياكين اسم قبيلة كلدانية اقترن بمساحات واسعة من

جنوب العراق والمناطق المطلة على الخليج العربي في الألف الأول قبل الميلاد.

(113) Oppenheim, A. Leo, in **Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament**, 3rd ed., (New Jersey, 1969), pp. 560-2.

الجزء الأول-الفصل الثاني

القبور

في

التنقيبات الأثرية

للقبور أهمية خاصة في التنقيبات الأثرية. وتبذل البعثات الأثرية جهوداً كبيرة في تنقيتها بشكل دقيق للكشف عنها بطريقة تهدف إلى المحافظة على محتوياتها بالشكل الذي بقيت عليه طوال قرون عديدة. وتجتذب القبور، عند اكتشافها في المواقع الأثرية، اهتماماً كبيراً من المنقبين لما يمكنها أن تقدمه من مواد أثرية ومعلومات مهمة لا يتسنى الحصول عليها ما لم يكن هناك جهد علمي منظم وموثق من قبلهم.

وتأتي أهمية القبر في التنقيبات الأثرية من كونه وحدة أثرية احتوت موجودات معاصرة لزمن الدفن. وقد حفظت هذه الموجودات، من عظام بشرية أو قطع أثرية، عبر القرون في المكان نفسه الذي وضعت فيه لتشهد على عصرها وتدل عليه وتؤرخ للطبقة التي تعود لها. وهذا كله يتم بإحكام لا يمكن أن يتهيا في ركام البقايا الأثرية خارج تلك البقعة التي يحتلها القبر.

ولأهمية القبور في علم الآثار ثلاثة أبعاد يتمثل الأول منها في ما يمكن للهيكل العظمي أن يمدنا به من معلومات قد لا يتسنى الحصول عليها من المصادر الأثرية الأخرى. ومن تلك المعلومات معدلات العمر والحالة الصحية لأبناء عصر معين وطبيعة الأمراض التي تعرضوا لها ودرجات تقدم الطب القدم والجراحة فيه ومستوى التكافل الاجتماعي والالتزام بإعانة المصابين أو المعاقين ومدى توفر الفرص لهم للحياة. ومن الأمثلة على ذلك أحدا الهياكل العظمية لإنسان النياندرتال التي اكتشفت في كهف شانيدار في شمال العراق. فقد ثبت أن ذلك الهيكل يعود لشخص معوق كان عاجزاً عن استخدام ذراعه، وعلى الرغم من ذلك عاش مع إعاقته في وسط تلك المجموعة البشرية القديمة التي تكافلت معه في مرحلة مبكرة من تاريخ البشرية عاشها آخر نوع بشري سبق الإنسان الحديث الذي نتمى إليه. وكذلك ما تفصح عنه بعض الجماجم القديمة من وجود ثقب فيها لم ينتج عن إصابة قاتلة وإنما عن عملية فتح للدماغ عاش المريض بعدها بدليل وجود غمو للعظام في محيط الفتحة الموجودة في عظام الجمجمة.

والبعد الثاني لأهمية القبور يتمثل في التجهيزات الجنائزية التي توضع فيها مع الموتى. فهذه التجهيزات عبارة عن العدة والأواني والأدوات والحلي والأثاث والملابس نفسها التي كانت تُستعمل عندما حدثت الوفاة وتم الدفن. أي أن هذه التجهيزات تقدم لنا معلومات ثمينة عن الحياة اليومية لمجتمع العصر الذي يعود إليه القبر وتوضح لنا المقدرات الإنتاجية ومدى التقدم التقني والفني والمهارات لذلك المجتمع. وفضلاً على ذلك يستطيع الآثاريون، من خلال التجهيزات الجنائزية، تكوين فكرة واضحة عن المستوى المادي للمجتمع القديم ومدى قدرة أناسه على التخلي عن كمية من المواد، بأي قيمة كانت، لتدفن مع الأموات. ولأن محتويات القبر مستورة عن العيون وبعيدة عن أن تطالها الأيدي فإن التجهيزات الجنائزية تمثل مواد حفظت بشكل جيد لم تحظ بمثله المواد المعاصرة لها التي بقيت في البيوت والأبنية أو في أرجاء الموقع الأخرى.

ونتيجة لبقاء القبور بعيدة عن العبث وصلت إلينا مواد كثيرة من عصور مختلفة ما كان بالإمكان أن تصل إلينا ما لم تكن قد دفنت ضمن التجهيزات الجنائزية. ومما يضيف أهمية خاصة على مواد التجهيزات الجنائزية أنها تكتشف في مواضعها الأصلية التي وُضعها فيه السكان القدماء، وهو ما يصطلح الآثاريون على تسميته (in situ). ومثل هذه المواد تكون أكثر أهمية، من الناحية العلمية، من القطع الأثرية المشابهة التي يعثر عليها في ركامات المواقع الأثرية ولا يمكن أن تنسب إلى طبقة معينة، ناهيك عن وجود احتمال في كونها منقولة من موضعها الأصلي. أما القطع الأثرية التي تضاهي قطع التجهيزات الجنائزية، من الناحية العلمية، فهي التي يُعثر عليها باقية على أرضيات السكنى أو في مواضع محددة وليس في الركام المتكسد في المواقع الأثرية.

أما البعد الثالث لأهمية القبور في التنقيبات الأثرية فيتكون من مجمل عملية الدفن وما يجري فيها، من موضع القبر واتجاهه وتكوينه إلى ما يضمه من هياكل عظمية بأوضاع مختلفة وتجهيزات جنائزية. فهذا كله يكون مشهداً يفصح، بطريقة أو بأخرى، عن المعتقدات الدينية الخاصة بالموت والحياة الأخرى بما يكمل المشهد الذي يقدمه لنا الدليل الكتابي المستمد من النصوص القديمة. وفي بعض الأحيان تنفرد القبور وطريقة تنظيمها ومحتوياتها بتقديم معلومات عن عقائد القوم لا تتوفر من خلال النصوص القديمة. فعلى سبيل المثال لم يتوفر، من خلال النصوص المسماة، أي دليل على أن اتجاه الجثة في القبر أو وضعيتها لا يتوجب أن يخضعوا إلى قاعدة محددة، ولكن القبور المكتشفة تثبت ذلك، وهو ما لاحظناه في الفصل السابق من هذا الكتاب.

الكشف عن القبور

إن ممارسة دفن الأموات تحت أرضيات المساكن كانت الأكثر شيوعاً في بلاد الرافدين القديمة. أما الدفن في مقابر خارج موطن السكنى فقد كانت أقل شيوعاً، وكذلك كان الدفن بين بيوت السكنى سواء في المساحات الفارغة أو في البيوت المهجورة. ومن هنا فإن عملية الكشف عن القبور تبدأ من ملاحظة المنقبين الآثاريين لاختلاف لون التربة ودرجة تماسكها إن كان تنقيبهم يجري في ركام متكسد في الموقع الأثري. ويتم الكشف عن هذا الاختلاف عن طريق القشط باستخدام المر أو المالج (وهو الأداة التي تستعمل في البناء لفرش الطين أو الاسمنت). إن وجود تربة أكثر دكنة أو رطوبة، أو أقل تماسكاً، يدل على وجود حفرة. ومن السهل تتبع محيط هذه البقعة لمعرفة أبعادها قبل البدء بتنقيبها أفقياً وتدرجياً. وحين تكون الأبعاد مناسبة للقبر طويلاً وعرضاً، أي حوالي ما بين متر ومترين للطول ونصف متر ومتر للعرض، أو بقطر ما بين متر ومتر ونصف، يصبح الاحتمال أقوى

في أن تكون تلك الحفرة قبراً، مع وجود احتمالات أخرى في كونها مجرد حفرة استعملت لأغراض أخرى.

ويتم التأكد من وجود القبر إما في حال ظهور جرار فخارية أو بقايا ذبائح أو عظام بشرية. وفي الحالة الأخيرة تكون الجمجمة أول جزء يظهر من الهيكل العظمي، ولذلك يفضل أن يكون تنقيب الحفرة بدءاً من طرفها ثم يتجه الحفر أفقياً مع استعمال القشط أو إزاحة التراب بالفرشاة أو الحفر بمحول صغير جداً وإلى عمق قليل فقط. أما إذا كان القبر تحت أرضية المسكن فيمكن ملاحظة وجوده من الكسر الموجودة على الأرضية، سواء كانت مرصوفة أم غير مرصوفة. ثم تلاحظ الأبعاد والاختلافات المذكورة آنفاً وكذلك تُتبع الخطوات أعلاه. وإذا كان القبر بناءً من الآجر أو اللبن فيلاحظ وجود هذه المواد إن كانت مرتبة لتشكيل غطاء على القبر أو جداراً له. وفي حالة وجود قبو للدفن تحت الأرضية يمكن الاستدلال عليه من وجود سلم أو منحدر يقود إليه، أو من وجود قوس معقود تحت الأرضية مباشرة. أما إذا كان هناك أي نوع من التواييت، الحجرية أو الفخارية أو الطينية، مستعملاً في الدفن فتكون عملية الاكتشاف قد بدأت عند العثور على التابوت، ثم تبدأ خطوات التنقيب في داخله.

عندما يتم التأكد من وجود القبر تبدأ عملية التوثيق مع استظهار القبر. والخطوة الأولى في التوثيق إعطاء القبر المكتشف رقماً تسلسلياً للدلالة عليه وعلى محتوياته، وتسجل الأبعاد بقياسات دقيقة. وفي حالة وجود قطع أثرية، مثل الجرار الفخارية أو بقايا القرايين، في الركام الموجود فوق الهيكل وما يوجد معه على أرضية القبر ويتوجب رفعها للوصول إلى الهيكل، يتم ذلك بعد تصويرها في مواضعها وقياس المسافات الفاصلة فيما بينها وبين زوايا القبر أو النقاط المركزية فيه، ويقاس العمق الذي وجدت عليه من آخر معالم بنائية، إذا كان القبر في الركام، أو من

الأرضية إذا كان القبر تحت الأرضية. والفائدة من ذلك كبيرة عند رسم مقطع للقبر لبيان عمقه أو عند رسم المشهد المقطعي له ولتحتوياته.

وحين يصل الحفر إلى الهيكل العظمي تتوجب زيادة الدقة والتأني وإزالة الأتربة بسكاكين صغيرة وفرشاة، ويمكن استعمال أنبوب مطاطي رفيع لنفخ الأتربة المتجمعة بين العظام من خلاله، أو استعمال الحقنة الطبية. ويمكن لهذا الغرض أيضاً استعمال الفرشاة ذات الكيس المطاطي التي تستعمل لتنظيف عدسات آلات التصوير. ومن الضروري ألا يُفتح القبر ما لم يكن المنقب متهيئاً لإنجاز عملية استظهار الهيكل. وينبغي ألا يستظهر أكثر من قبر في آن واحد، وأن تُصوّر عملية الاستظهار بلقطتين أو ثلاث حتى يصبح الهيكل كله ظاهراً وتصبح قطع التجهيزات الجناززية المرفقة به مكشوفة تماماً وهي في مواضعها الأصلية. ومن الأمور المهمة التي يلتزم بها الآثاريون في أثناء استظهار الهياكل العظمية المحافظة الشديدة على إبقاء العظام في مواضعها حتى إنجاز العمل كاملاً، وعدم غرز أداة التنقيب، مثل السكين أو المالج، في التراب لتلمس العظام إن كانت موجودة تحته، لأن ذلك يؤدي إلى تهشيمها قبل استظهارها. وحين تستظهر العظام تحمى من ضوء الشمس المباشر لتجنب الجفاف السريع لها وبالتالي تلفها⁽¹⁾.

التوثيق الآثاري للقبور المستكشفة

لا يكون التنقيب في القبور والكشف عن محتوياتها هدفاً نهائياً للآثارين، وإنما هو وسيلة لاستجلاء تفاصيل تاريخ قدم لم تزل أكثر صفحاته مجهولة بالنسبة إلينا. ولذلك يجب أن يكون الكشف عن كل قبر من العصور القديمة بداية لدراسة علمية بحثية تسعى إلى التعريف بمظاهر حضارة تلك العصور. ومثل هذه الدراسة لا تتحقق ما لم يكن التوثيق الآثاري للقبور المستكشفة كاملاً ودقيقاً وواضحاً. فكثيراً ما خسرنا معلومات لا تعوّض نتيجة لتعجّل بعض المنقبين الآثارين أو لعدم

اهتمامهم أو لإهمالهم أصول التوثيق العلمي الحقلّي الآثاري. إن هذا التوثيق إذا ما أريد منه أن يكون بالشكل الصحيح والمفيد علمياً يجب أن يطبق في أربعة مسلمات، وهي:

أولاً: تدوين المعلومات والملاحظات الخاصة بالقبر موقعياً ومنذ اللحظات الأولى لاكتشافه. ويعتمد عدد كبير من الآثاريين على الملاحظات الوصفية الشخصية التي يدونونها عن القبور التي يكتشفونها. ولكن هناك استمارة خاصة وضعت من قبل مؤلف هذا الكتاب لتساعد منقب الآثار على تثبيت المعلومات المطلوبة بدقة وسرعة في موقع العمل. وهذه الاستمارة وردت ضمن نظام توثيق آثاري شامل قام المؤلف بوضعه في عام 1990م ونُشر في عام 1992م⁽²⁾. حملت هذه الاستمارة عنوان "سجل القبور" لأنها تشكل صفحة واحدة من صفحات يطابق عددها عدد القبور التي تكتشف في موقع ما لتؤلف جميعها سجل القبور الخاص بذلك الموقع. وتنقسم الاستمارة إلى اثنين وعشرين حقلاً خصص كل منها لنوع من المعلومات الخاصة بالقبر (انظر الشكل رقم 12)⁽³⁾:

وهناك استمارة أخرى مختلفة لتوثيق القبور في التنقيب الآثاري أعدت من قبل مؤسسة سميثسونيان (Smithsonian Institution) الأمريكية المعروفة، ونعرضها هنا مع ترجمتها العربية لإطلاع القارئ العربي (انظر الشكل رقم 13، أ، ب)⁽⁴⁾:

SMITHSONIAN INSTITUTION RIVER BASIN SURVEYS BURIAL FORM	
Feature No. _____	Site No. _____
Burial No. _____	State _____
Reservoir _____	County _____
1. LOCATION	8. ASSOCIATIONS
a. Square _____	a. Features _____
b. Horizontal _____	_____
c. Depth from surface _____	_____
d. Depth from datum _____	_____
2. BURIAL TYPE	h. Specimens _____
a. Extended _____	d. Reburial _____
b. Flexed _____	e. Cremation _____
c. Semiflexed _____	f. Part crem. _____
g. Other _____	_____
3. BURIAL DIMENSIONS	_____
a. Max. length _____ Dir. _____	_____
b. Max. width _____ Dir. _____	_____
c. Thickness _____	_____
4. DEPOSITION	9. PRESERVATION
a. Position _____	a. Poor _____ Fair _____ Good _____
b. Head to _____	10. COMPLETENESS _____
5. GRAVE TYPE	11. SEX
a. Surface _____ c. Cist _____	a. M _____ F _____ Indeterminate _____
b. Pit _____ d. Other _____	12. AGE
e. Shape _____	a. Infant _____ d. Adult _____
6. GRAVE DIMENSIONS	b. Child _____ e. Mature _____
a. Max. length _____ Dir. _____	c. Adolescent _____ f. Senile _____
b. Max. width _____ Dir. _____	13. NEG. No. _____
c. Depth _____	14. REMARKS _____
7. STRATIFICATION	_____
a. Inclusive _____ c. Precedent _____	_____
b. Intrusive _____ d. Disturbed _____	_____
e. _____	_____
Recorded by _____	Date _____
GPO 9750: 8-29-60 50-331	
Reproduced by permission of Smithsonian Institution	

الشكل رقم (13-أ): استمارة توثيق القبور أعدتها مؤسسة سميثسونيان

ثانياً: المسار الثاني في توثيق القبور المكتشفة يتمثل في تصويرها فوتوغرافياً حين يُكشف عنها فوراً. ويفضل استعمال أكثر من وسيلة واحدة للتصوير مثل التصوير الفوري (بولارويد)، التصوير بالكاميرا الرقمية، التسجيل التصويري (الفديو)، الشرائح الملونة (سلايدات)، الصور الملونة، والصور باللونين الأسود والأبيض. ومن المهم عند التصوير وضع مقياس التصوير المقسم إلى سنتيمترات، سهم يؤشر إلى جهة الشمال، ورقة معلومات يثبت فيها اسم الموقع ورقم القبر وموضعه وطبقته وتاريخ التصوير. ولغرض التنفيذ الصحيح لعملية التصوير وتوثيقها مع توثيق اللقطات الخاصة بالقبر أُعدت استمارة خاصة بالتصوير من قبل المؤلف في كتابه "نظام التوثيق الآثاري" (انظر الشكل رقم 14) (5).

ثالثاً: أما المسار الثالث في توثيق عملية استكشاف القبور فيكون في إعداد الرسوم التخطيطية للقبر بمقياس رسم مناسب. ومقياس الرسم الذي يلائم رسم القبور واحد إلى عشرة (10/1). وتكون خطوات تنفيذ هذه الرسوم بتشبيك مساحة القبر، حيث يوجد الهيكل العظمي والتجهيزات الجنائزية، والمقصود بالتشبيك تقسيم مساحة القبر إلى مربعات لتسهيل عملية الرسم على الورق. ويمكن أن يكون التشبيك باستعمال الخيوط لعمل مربعات فوق محتويات القبر بأبعاد 10×10 سم. ثم ينفذ الرسم التخطيطي على ورق بياني بنقل مربعات التشبيك إلى المربعات البيانية ذات القياس 1×1 سم. وبالإمكان أيضاً استعمال شبكة جاهزة من إطار خشبي أبعاده 50×100 سم مقسمة بالخيوط، طويلاً وعرضاً، إلى مربعات قياسها 10×10 سم. وتوضع هذه الشبكة فوق محتويات القبر مباشرة ومن ثم تنقل بالرسم على الورق البياني. والرسم التخطيطي الآخر الذي يمكن تنفيذه للقبر هو الرسم المقطعي لبيان المشهد العمودي للقبر ومحتوياته، وكذلك عمقه وصلته بالتكوينات التي تعلوه أو تحيط به.

التجهيزات الجنائزية. فدراسة هذه القطع باعتبارها جزءاً من التجهيزات الجنائزية لا تعني عدم الحاجة لدراستها فرادى مثل بقية القطع الأثرية. وفي هذه الحالة يمكن الاستعانة باستمارات أخرى من نظام التوثيق الآثاري، الذي سبق ذكره، بحسب نوع القطعة الأثرية ومادتها. فهناك استمارات لتسجيل الجرار والأواني الفخارية (الاستمارة رقم 7)، الأختام الأسطوانية (الاستمارة رقم 8)، الدمى (الاستمارة رقم 9)، والمكتشفات المتنوعة (الاستمارة رقم 11).

بعد إنجاز خطوات تنقيب القبر وتوثيقه بشكل كامل ترفع القطع الأثرية التي وجدت فيه. وفي هذه الحالة تستعمل استمارة بطاقات المعائر (الاستمارة رقم 15) من نظام التوثيق الآثاري. وكل نسخة من هذه الاستمارة تتضمن بطاقتين قسّمت كل منهما إلى نصفين يحملان معلومات متشابهة وذلك لكي يقطع النصف الأيسر من البطاقة، بعد ملئها، ويوضع مع الأثر لحين معالجته وترقيمه، في حين يبقى النصف الثاني ليحفظ في الملف الخاص بهذه الاستمارة لضمان المحافظة على المعلومات (انظر الشكل رقم 15)⁽⁶⁾.

ومن المهم جداً لأغراض التوثيق الآثاري والدراسات العلمية أن يتعرّف المنقب الآثاري على جنس صاحب الهيكل العظمي المدفون في القبر ويتوصل إلى تقدير عمره عند حدوث الوفاة. وهذا يتطلب تزود المنقب بمعلومات أساسية عن علم العظام (osteology) ورقد هذه المعلومات بالخبرة المتراكمة من خلال ممارسة التنقيب وفحص الهياكل العظمية التي يكتشفها موقعياً.

رقم ١٥: بطاقة تسجيل المعاصر	
المنوع:	المنوع:
التاريخ:	التاريخ:
الطبقة:	الطبقة:
الارضية:	الارضية:
الآثار:	الآثار:
حالة الأثر حين اكتشافه:	حالة الأثر حين اكتشافه:
عدد الكمران وجد بهما:	عدد الكمران وجد بهما:
المعالجة قبل رفع الأثر:	المعالجة قبل رفع الأثر:
وصف الأثر:	وصف الأثر:
رقم البطاقة:	رقم البطاقة:
ملاحظات إضافية:	ملاحظات إضافية:
المنوع:	المنوع:
التاريخ:	التاريخ:
الطبقة:	الطبقة:
الارضية:	الارضية:
الآثار:	الآثار:
حالة الأثر حين اكتشافه:	حالة الأثر حين اكتشافه:
عدد الكمران وجد بهما:	عدد الكمران وجد بهما:
المعالجة قبل رفع الأثر:	المعالجة قبل رفع الأثر:
وصف الأثر:	وصف الأثر:
رقم البطاقة:	رقم البطاقة:
ملاحظات إضافية:	ملاحظات إضافية:

الشكل رقم (15): استمارة التوثيق الخاصة بتسجيل معاصر القطع الأثرية، عن:
 نائل حنون، نظام التوثيق الآثاري، (بغداد، 1992م)

يمكن أن يُميّز جنس الهيكل العظمي من الملاحظة المباشرة عند الكشف عن محتويات القبر. فهناك اختلافات واضحة بين الهيكل العظمي للذكر والهيكل العظمي للأنثى، ومن هذه الاختلافات:

1- صغر جمجمة الأنثى وعظم الفك السفلي قياساً بجمجمة الذكر وعظم الفك الأسفل.

2- العظام في هيكل الأنثى تكون بشكل عام أصغر حجماً من عظام الذكر، ويبرز هذا على وجه الخصوص في عظام الفخذ والذراع. وتكون نهايات العظام عند الأنثى أدق وأصغر مما هي عليه في هيكل الذكر.

3- تبرز أوضح الاختلافات بين الهيكلين العظميين للذكر والأنثى في عظام الحوض، إذ يكون جانبا الحوض عند الذكر أكبر حجماً وأقرب إلى الوضع العمودي بخلاف حوض الأنثى الذي يكون جانبا صغيرين ومائلين للجانب.

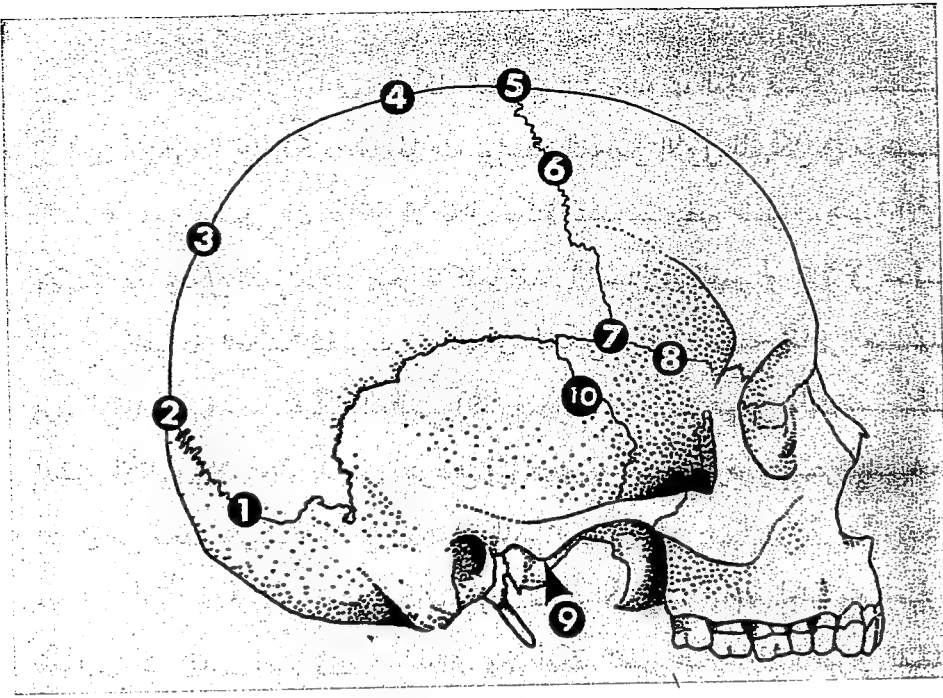
4- يختلف شكل الفقرة العصبية عند الجنسين، إذ أنها تكون كبيرة وطويلة عند الذكر وقصيرة وعريضة عند الأنثى.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن التجهيزات الجنائزية يمكن أن تساعد المنقب الآثاري إلى حد معين في تحديد جنس صاحب القبر. فهناك حلي معينة تقترن بالأنثى، ولكن يجب على الآثاري أن يكون حذراً في الاعتماد عليها ومن الضروري أن يلاحظ كميتها، إذ أن هناك الكثير من الحلي والزينة التي كان كلا الجنسين يستعملانها في العصور القديمة. ولكن اقتران الدليل المستمد من التجهيزات الجنائزية مع خصائص الهيكل العظمي تزيد من راحة الرأي الذي يقدمه المنقب الآثاري عن جنس الشخص المدفون.

أما تخمين عمر صاحب الهيكل العظمي عند حدوث الوفاة فيمكن للمنقب الآثاري أن يتوصل إلى فكرة معقولة عنه بواسطة الفحص الأولي للهيكل في موضع اكتشافه. ومن البديهي أن هياكل الأطفال ممكنة التشخيص من الوهلة الأولى لاكتشافها. ولكن الأمر يزداد صعوبة كلما تقدم الإنسان في العمر أو كان في سن البلوغ. فالهياكل العظمية تتقارب وتتشابه في الشكل، ولذلك يصح تقدير العمر، عند الوفاة، من فحص الهيكل العظمي أكثر صعوبة. وعلى الرغم من ذلك يستطيع المنقب الآثاري الاستعانة بدليلين للتوصل إلى تخمين مقبول لحدود عمر الشخص المتوفي من فحص هيكله العظمي، وهذان الدليلان هما:

أولاً: عدد الأضراس وشكلها، فإذا كانت الأضراس كاملة العدد مع ضرس العقل، يمكن تقدير العمر في سن البلوغ. وقد أمكن تقدير عمر الملك المصري القديم توت عنخ آمون بالاستدلال من وجود ضرس العقل في عظم الفك في موميائه. وكذلك يمكن ملاحظة أن سطح الأضراس يميل إلى التسطح كلما تقدم الإنسان في العمر بفعل طول استعمالها في المضغ. فعند سن البلوغ تكون التعرجات على سطح الضرس واضحة والأخاديد فيه عميقة، وبمرور الزمن يقل وضوح هذه التعرجات ويقل عمق الأخاديد.

ثانياً: فعالية انغلاق عظام الجمجمة، إذ أثبتت الدراسات الخاصة بعلم العظام⁽⁷⁾ أن هناك عشر نقاط في مناطق اتصال أجزاء الجمجمة، أو ما يعرف بخط الاتصال أو الدرز (suture)، تدل على حدود العمر عند حدوث الوفاة. وهذه النقاط العشر (انظر الشكل رقم 16)⁽⁸⁾ تظهر درجات متفاوتة من الالتحام تزداد كلما تقدم الإنسان في العمر، ويحدث هذا الالتحام فيما بين عمر 32 و 56 سنة. وقد حُدِّدت أربع درجات لالتحام أجزاء الجمجمة في هذه النقاط من الخارج، وهذه الدرجات هي:



الشكل رقم (16): رسم تخطيطي للجمجمة يظهر مواضع النقاط العشر التي تظهر فعاليات واضحة عند خطوط التحام أجزاء الجمجمة، وهذه الفعاليات تقترن بأعمار معينة فيما بين سن 32 و56 سنة.

الدرجة الأولى: لا توجد دلائل على الالتحام.
الدرجة الثانية: التحام بسيط، وتعطى هذه الدرجة عند وجود أبسط حالة التحام، بظهور جسر عظمي عبر خط الاتصال، إلى نسبة 50% من الالتحام.
الدرجة الثالثة: التحام واضح، وتعني هذه الدرجة التحام شبه كامل، إذ تبقى في النقطة بعض الأجزاء الصغيرة غير الملتحمة.
الدرجة الرابعة: الالتحام الكامل.

وهناك صعوبة في استعمال هذه الطريقة تأتي من التفاوت الذي تظهروه النقاط العشر في درجة الالتحام. إذ أن هذه النقاط تشترك في بيان تدرج العمر عند الوفاة مع تزايد درجة الالتحام، ولكنها تتفاوت في إظهار درجة الالتحام وبالتالي قد تسبق أحدها الأخرى فيحدث فرق في دلالة كل منها. ولتوضيح ذلك نورد مثلاً عن النقطة رقم (1) فإنها تدل على العمر (32) في الدرجة الأولى و(40) في الدرجة الثانية و(47) في الدرجة الثالثة و(53) في الدرجة الرابعة، ولكن النقطة رقم (2) تدل في الدرجات نفسها على الأعمار 31، 39، 45، و50 سنة. وهكذا نلاحظ أن النقطتين اتفقتا على تقدم السن مع تقدم درجة الالتحام، ولكنهما اختلفتا في العمر الذي تدلان عليه في كل درجة من درجات الالتحام. ولتجاوز هذه الصعوبة على المنقب الآثاري أن يعتمد على ترافق أكثر من قراءة لنقطة واحدة لتكون حدود العمر المتفق عليها في أكثر القراءات هي الأقرب للتقدير الصحيح. وللمساعدة على التوصل إلى ذلك يمكن للمنقب الآثاري الاستعانة بالجدول الآتي الذي يبين العمر المخمن بحسب كل درجة من درجات الالتحام الأربع في كل نقطة:

رقم النقطة	الدرجة الأولى	الدرجة الثانية	الدرجة الثالثة	الدرجة الرابعة
1	32	40	47	53
2	31	39	45	50
3	28	36	38	45
4	31	41	46	47
5	34	44	47	49
6	34	43	47	51
7	29	36	40	49
8	35	39	46	51
9	38	46	52	55
10	39	53	53	56

إن التقديرات المتقاربة التي تتفق عليها النقاط الأكثر عدداً، في هذا الجدول، تمثل حدود العمر التي يمكن تقديرها عند وفاة صاحب الهيكل العظمي. ذلك أنه ستكون هناك قراءة واحدة لكل نقطة بحسب درجة الالتحام. وبملاحظة النقاط العشرة على الجمجمة كلها ستكون هناك عشر قراءات متفاوتة. هنا يكون تقدير العمر بحسب القراءات المتقاربة الأكثر عدداً، أي القراءات التي يتفق على تقاريرها أكبر عدد من النقاط العشر. ولتوضيح ذلك نفترض أن جمجمة أظهرت النقاط العشر فيها درجات الالتحام الآتية:

النقطة	درجة الالتحام	العمر الذي تدل عليه
1	الثانية	40
2	الثالثة	45
3	الثانية	36
4	الثانية	41
5	الثالثة	47
6	الثالثة	47
7	الرابعة	49
8	الثالثة	46
9	الثانية	46
10	الأولى	39

فهذه القراءات تدل بشكل عام على عمر في حوالي منتصف العقد الخامس. وبملاحظة القراءات المتوافقة نجد أن النقاط 5، 6، 8، و9 ترجح عمراً بحدود 46-47 سنة.

وبعد أن أوضحنا طريقة تقدير العمر عند الوفاة للهيكل العظمي القديم نأتي على توضيح كيفية تقدير العمر الأثري للهيكل العظمي. والمقصود بالعمر

الأثري الزمن الذي مرَّ على الهيكل العظمي منذ حدوث الوفاة حتى الوقت الحاضر. ويمكن للمنقب الآثاري أن يقدر العمر الأثري للهيكل العظمي استناداً إلى تاريخ الطبقة الأثرية التي يعود لها القبر المكتشف أو من محتويات القبر فيما إذا كان يحتوي على تجهيزات جنائزية. فالمنقب الآثاري يستطيع أن يحدد تاريخ المواد الأثرية التي يحتويها القبر، وفي ضوء ذلك يحدد العمر الأثري للهيكل المدفون معها. ولكن الأمر يزداد صعوبة حين لا تكون هناك تجهيزات جنائزية ذات تأريخ واضح ولا طبقة أثرية مؤرخة يُستدلُّ بها في تحديد تأريخ القبر. وهذا ما يحدث حينما يكون الهيكل العظمي موغلاً في القدم وعائداً إلى عصور ما قبل التأريخ. ففي هذه الحالة يستعين المنقب الآثاري بالعلوم المساعدة لعلم الآثار لغرض التوصل إلى تحديد الزمن الذي مرَّ على العظام البشرية منذ موت صاحبها. وهنا يستعان بالمختبرات المتطورة والأساليب العلمية الحديثة، وهو ما لا يمكن إنجازه ميدانياً.

إن البقايا البشرية من عصور ما قبل التأريخ قد لا تزيد على عظام متفرقة أو أجزاء من عظام، وقد لا تكون هناك مواقع أثرية واضحة المعالم مقترنة بها. ومن الممكن أن تختلط عظام من أزمنة مختلفة، ويحدث هذا خصوصاً في أثناء قيام الآثاريين بمسوحات أثرية لمناطق واسعة. ولذلك توجد حاجة لتمييز العظام القديمة عن العظام الأحدث منها، ويتم ذلك مخبرياً بواسطة قياس كميات الفلورين، النيتروجين، واليورانيوم في العظام الملتقطة من موقع معين. فالعظام الأقدم تزداد فيها كمية الفلورين واليورانيوم وتنخفض نسبة النيتروجين، وكلما كانت العظام أحدث عمراً كانت نسبة النيتروجين فيها أكثر ونسبة الفلورين واليورانيوم أقل. ولأنه لا توجد نسب ثابتة لهذه العناصر من جهة، ولتفاوت نسب الزيادة والنقصان فيها من موقع إلى آخر من جهة أخرى، فإنه لا يعتمد على هذه النسب في تقدير العمر الأثري للعظام، وإنما تستعمل فقط لتصنيف العظام، من موقع معين، بحسب قدمها.

أما الطريقة التي يعتمد عليها في التحديد الدقيق للعمر الأثري للعظام، وللباقى المواد العضوية أيضاً، فتعتمد على قياس كمية كاربون 14 فيها. وكاربون 14 هو شكل مشع من الكاربون الاعتيادي ويبلغ وزنه الذري 14، في حين أن الوزن للكاربون الاعتيادي 12. لقد بدأ استعمال هذه الطريقة منذ أواخر الأربعينيات في القرن الماضي وطوّرت بدرجة كبيرة في سبعينيات القرن نفسه. ومنذ ذلك الحين أثبتت هذه الطريقة دقتها وأهميتها وكذلك صلاحيتها للتطبيق على أي مادة عضوية من أي موقع في العالم. وبموجب هذه الطريقة أصبح بالإمكان تحديد عمر العظام لغاية مائة ألف عام من خلال فحص عينات صغيرة جداً ولمدة قصيرة جداً تتراوح ما بين 15 و45 دقيقة في المختبرات الحديثة المتقدمة.

ونظراً لأهمية هذه الطريقة في علم الآثار وتحديد عمر المواد العضوية القديمة التي تكتشف في التنقيبات الأثرية نشرحها هنا باختصار. يتكون كاربون 14 حينما تلامس الأشعة الكونية ذرات نتروجين 14 في الطبقات العليا من الغلاف الجوي للأرض. ويدخل كاربون 14 مع الكاربون الاعتيادي في تركيب ثاني أكسيد الكاربون وبنسبة ثابتة تقدر بنحو واحد من كاربون 14 لكل مليار من الكاربون الاعتيادي. وفي عملية التركيب الضوئي يدخل كاربون 14 مع ثاني أكسيد الكاربون إلى النبات. وحين يتناول الكائن الحي النبات في طعامه ينتقل هذا العنصر المشع إلى جسمه الذي سرعان ما يفقد بالتحلل من كمية كاربون 14 الموجودة فيه بقدر ما يدخل إليه منه. وبذلك يبقى مستوى هذا العنصر في الجسم ثابتاً تقريباً.

وحين يموت الكائن الحي يتوقف عن أخذ كاربون 14، ولكن الموجود منه في جسمه، ونسبته ثابتة كما سبق ذكره، يستمر بالتحلل والتناقص. ولما كان معدل ما يسمى بدورة نصف العمر (Half-life cycle) لكاربون 14 معروفاً، وهو بحلود 5750 سنة، أي أنه يفقد نصف كميته في كل دورة، فإن قياس الكمية المتبقية منه يعلمنا بالمدة الزمنية التي مضت على موت ذلك الكائن.

وبما أن طريقة قياس كمية كاربون 14 تحدد العمر الأثري للعظام، وللمواد العضوية عموماً، لغاية مائة ألف سنة، فإن الآثاريين يلجأون إلى طرق أخرى أكثر تعقيداً لتحديد عمر المواد التي تتجاوز ذلك المدى الزمني. ومن هذه الطرق التأريخ بواسطة قياس مسارات انشطار العناصر المشعة في الصخور والفخار والزجاج. وعلى الرغم من أن هذه الطريقة لا تعتمد على التعامل مع العظام نفسها يمكن استعمالها لتحديد عمر تلك المواد المقترنة بالعظام المكتشفة. ومن المهم أن نشير إلى أن استعمال هذه الطريقة يُمكن الآثاريين من تحديد العمر الأثري للمواد لمدة زمنية يصل إلى عشرة ملايين سنة. وهناك طريقة أخرى تعتمد على فحص الصخور المقترنة بالعظام المكتشفة بواسطة قياس البوتاسيوم/الأرغون. وتتلخص هذه الطريقة في أنها تستند على قياس كميات عنصر البوتاسيوم المشع، ذي الوزن الذري 40، في الصخور ومعرفة ما يتحول منه بالإشعاع إلى أرغون، وكلما كانت الصخور أقدم كانت كمية الأرغون فيها أكثر وكمية البوتاسيوم أقل. وبهذه الطريقة يمكن تحديد تاريخ مواد يتراوح عمرها الأثري فيما بين مليون وعشرة ملايين سنة. ويعود اختلاف المدى الزمني الذي يؤرخ بهذه الطريقة عن المدى الزمني لطريقة قياس كاربون 14 إلى أن دورة نصف العمر لبوتاسيوم 40 أطول بكثير من دورة كاربون 14.

إن الهياكل القديمة تُمَد الآثاريين، عند اكتشافها، بمعلومات مهمة قد لا يمكن التوصل إليها، كما سبقت الإشارة، من خلال الدليل الكتابي أو الأثري. وتساعد العلوم المساعدة الآثاريين على الوصول إلى نتائج لم يكن متوقعاً الوصول إليها من قبل. فعلى سبيل المثال تقود ملاحظة زيادة سمك العظام عند أطرافها القريبة من المفاصل إلى التعرف على الإصابة بداء التهاب المفاصل. ومن الجدير بالذكر الإشارة هنا أنه يمكن إعادة بناء وجوه القدماء من معالجة جماجمهم، وهذا ما تم تحقيقه عند اكتشاف ضريح الملك فيليب، والد الإسكندر المقدوني، في عام 1977م. وكان

هذا الضريح تحت تل تراي في فرجينيا بمقدونيا، ووجد خالياً من أي نص كتابي. ومع الكنوز الذهبية التي احتواها الضريح وجد صندوقان ذهبيان يحتويان بقايا جثتين محروقتين. وبإعادة تركيب بقايا إحدى المجمعتين، باستعمال أساليب الطب الشرعي، أمكن تشكيل وجه اتضح أنه مطابق تقريباً لوجه محفور على العاج يبلغ طوله 1.9 سم، وقد عثر عليه في داخل الضريح نفسه. ومن الجدير بالذكر أن جمجمة الملك فيليب أظهرت آثار جرح فوق محجر العين اليمنى، وهذا ما يطابق المعلومة التاريخية عن فقدانه لعينه اليمنى.

وفي الحالات التي استعمل فيها تخنيط الأموات في العصور القديمة، أو حافظت فيها الطبيعة على الجثة في ظروف معينة، مثل التجمد أو الجفاف أو الانغلاق المحكم، تكون هناك فرص لتحقيق اكتشافات مهمة عن حياة الناس في العصور القديمة. ومن الأمثلة على ذلك ما اكتشف من خلال فحص المومياءات المكتشفة في المقابر المصرية القديمة من آثار الجلطات الدماغية القاتلة في بقايا أدمغة الموتى، ووجود بقايا الديدان المعوية ودلائل التلوث في بقايا الرئة لعدد من المومياءات. وحتى أمكن تحديد أصناف الدم للمصريين القدماء من خلال فحص اللحم المتيسس والنخاع العظمي في مومياءاتهم.

والخطوة الأخيرة في عملية الكشف عن القبور القديمة هي نقل الهيكل العظمي إلى المختبر أو إلى مركز الحفظ. وفي عملية النقل تراعى الأمور الآتية:

1- تُهَيَأ أكياس، أو حقائب، من الورق السميك بعدد ثلاثة أكياس لكل هيكل عظمي واحد. يُخَصَّص الكيس الأول للجمجمة وعظام الفك، والثاني للعظام الطويلة مثل عظام الفخذين والساقين والذراعين، ويُخَصَّص الكيس الثالث لبقية عظام الهيكل مثل الأضلاع وال فقرات وعظام الحوض.

2- تبدأ عملية رفع العظام بعناية شديدة، وتُزال عنها الأتربة باستعمال فرشاة ناعمة صغيرة. ويتم التأكيد على تخفيف العظام الرطبة في الظل لبضع ساعات قبل نقلها لتجنب تكسرها في أثناء نقلها رطبة. ولا يجوز تخفيف العظام تحت أشعة الشمس لأن ذلك يتسبب في تشققها. ويجب تفريغ الجمجمة من الأتربة المتجمعة في داخلها لأنها حين تترك لتجف تكون على درجة من الصلابة بحيث تؤدي إلى تهشم الجمجمة. وعند رفع الهيكل العظمي لا تترك أي قطعة عظم حتى وإن لم يعرف موضعها في الهيكل، إذ من المحتمل أن تكون مفيدة في عملية إعادة تركيب الهيكل لاحقاً في المختبر، وبالتالي تكون دراسة الهيكل العظمي أكثر اكتمالاً.

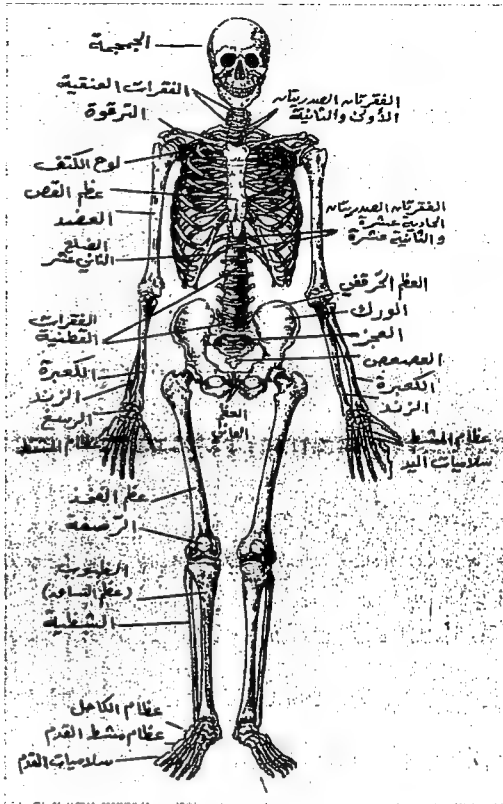
3- توضع أجزاء الهيكل العظمي في الأكياس الثلاثة التي ذكرت في الفقرة (1) في أعلاه. وتوضع بطاقة تسجيل المعثر، المعروضة في الشكل رقم (15)، في داخل كل كيس. وفضلاً على ذلك تدون المعلومات الواردة في البطاقات على الأكياس نفسها بالخبر الجاف، أو أي حبر مقاوم للرطوبة، مع الحرص على ذكر رقم القبر.

4- عند نقل الهياكل العظمية توضع الأكياس الثلاثة الخاصة بكل هيكل في علبة واحدة من الكارتون، على أن تكون فتحة كل كيس في الجهة المغايرة لفتحة الكيس الآخر. وتنظم الأكياس بطريقة لا تترك مجالاً لارتجاج محتوياتها بسبب حركة النقل. وتغلق الصناديق بإحكام وتنقل بتؤدة حتى لا تتعرض إلى التلف في أثناء عملية النقل.

5- تجري عملية تنظيف دقيقة للعظام في المختبر أو موضع الدراسة لتهيئتها للفحص والدراسة. فإذا كانت العظام بحالة جيدة وصلبة ومتماسكة يمكن غسلها بالماء مع تنظيفها بفرشاة ناعمة. وإذا كانت العظام هشة وبحالة سيئة تنظف بتيار هوائي خفيف باستعمال ضاغطة بلاستيكية، وتزال الأتربة من سطحها بفرشاة ناعمة طويلة الشعر.

- 6- يسجل اسم الموقع ورقم القبر والموسم على العظام المنظفة الجافة ويستعمل حبر لا يتأثر بالماء من أجل ذلك. ويمكن كتابة هذه المعلومات وطلائها بطبقة خفيفة من الصمغ الشفاف الذي يحفظ المعلومات واضحة على العظم من دون تأثرها بالرطوبة.
- 7- من المهم جداً عدم تنظيف عظام أكثر من هيكل عظمي واحد في كل مرة، وذلك حتى لا تختلط عظام أكثر من هيكل واحد مع بعضها.
- 8- وفي حالة ترميم العظام تُلصق أجزاءها المكسورة ببعضها حينما تكون جافة، وتستعمل مادة لاصقة (مثل السيكونتين) لهذا الغرض مع تجنب استعمال صمغ يتأثر بالماء، لأن ذلك يؤدي إلى تفكك الأجزاء حينما يمتص هذا الصمغ كمية من الرطوبة من الهواء.
- 9- في أثناء لصق أجزاء العظام ببعضها يستعمل حوض ممتلئ بالرمل الناعم ليسند هذا الرمل كل جزئين ملصقين ببعضهما بشكل ثابت لحين يجف الصمغ. ويمكن استعمال سلك رفيع لشد الأجزاء ببعضها، حينما يكون ذلك ضرورياً، أو إسناد القطع الملصقة بالطين الاصطناعي لحين جفاف الصمغ.
- 10- في عملية ترميم العظام المتكسرة إلى عدة قطع تكون طريقة الترميم بلصق الجزء الصغير بالجزء الأكبر، ثم تلصق الأجزاء الكبيرة ببعضها.
- 11- لا يجوز استعمال مادة مثل الجبس لترميم العظام عن طريق تعويض الأجزاء المفقودة بها، وذلك لأن مثل هذه المواد يمكن أن تغطي أدلة على العظم تفصح عن معلومات مهمة. وكذلك لا يجوز لصق حافات أجزاء العظام غير المنظفة ببعضها.
- 12- من الضروري أن تمسك العظام بعناية حين دراستها أو فحصها، وفي حالة الجمجمة تمسك بكلتا اليدين. فلا يجوز، على سبيل المثال، أن ترفع الجمجمة عن طريق مسكها من محجري العينين.

ومن أجل المساعدة في التعرف، موقعياً ومخبرياً، على كل عظم من عظام الهيكل البشري نورد في الشكل رقم (17)⁽⁹⁾ رسماً توضيحياً لهيكل عظمي بشري مع أسماء العظام التي يتكون منها:



الشكل رقم (17):
الهيكل العظمي البشري
والعظام التي يتكون منها.

لقد قام المؤلف، في أثناء قيامه بالتنقيبات الآثارية، باكتشاف عدد من القبور في مواقع آثارية مختلفة في بلاد الرافدين. ونأتي في هذا الفصل على تقديم عرض لمجموعتين من هذه القبور مما لم ينشر سابقاً. اكتُشفت المجموعة الأولى في تل السيب، وهو موقع مدينة ميتورناة القديمة في حوض حميرين بمنطقة ديبالى حالياً في شرق العراق، ويعود تأريخ هذه المجموعة إلى العصر البابلي القديم (أوائل الألف الثاني قبل

الميلاد). أما المجموعة الثانية فقد تم اكتشافها في التل الشرقي من موقع مدينة بابل الأثرية، وهذا التل يقع على امتداد شارع الموكب إلى الشرق من السور الداخلي في بابل. ويعود تأريخ قبور هذه المجموعة إلى العصور الهلنستية في بلاد الرافدين (النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد). وفضلاً على هاتين المجموعتين يتضمن هذا الفصل عرضاً لقصة اكتشاف مواضع القبور الملكية التي دفنت فيها أميرات من العائلة المالكة الآشورية في قصر آشور ناصر بال الثاني في نمرود، موقع العاصمة الآشورية كَلَخ، وذلك في العصر الآشوري الحديث.

قبور من مدينة ميتورناة (تل السيب)

كانت ميتورناة (M -turnat) المدينة الرئيسة على نهر ديال خلال العصر البابلي القديم. ويدخل الاسم القديم لنهر ديال (ترناة) في اسم هذه المدينة الذي يطابق المقطع الأول منه كلمة "مياه" العربية. وبذلك يكون معنى اسم ميتورناة "مدينة مياه نهر ترناة". ويرد اسم هذه المدينة بصيغة ميتوران في نصوص الألف الثاني قبل الميلاد. يتكون موقع هذه المدينة من تلّين متجاورين يحملان التسميتين المحليتين تل السيب وتل حداد. وقد قام مؤلف هذا الكتاب بالتنقيب في هذين التلين من علم 1978م لغاية شهر كانون الثاني من عام 1981م. وتحقق خلال تلك التنقيبات اكتشاف موقع مدينة ميتورناة الذي بقي مجهولاً لعشرات القرون.

لقد وُجِدَت في تل السيب ثلاث طبقات تعرضت الأولى منها للخراب، وقد اكتُشف منها قبران من نوع الحوض الفخاري يعود تأريخهما إلى العصر الفرثي في العراق (126 ق.م-227م). أما الطبقة الثانية فيعود تأريخها إلى أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، ووجدت منها بقايا بنائية قليلة بحالة رديئة بسبب أعمال الزراعة التي مورست على سطح التل وإزالة الأجزاء العليا منه. وكانت الطبقة الثالثة أفضل

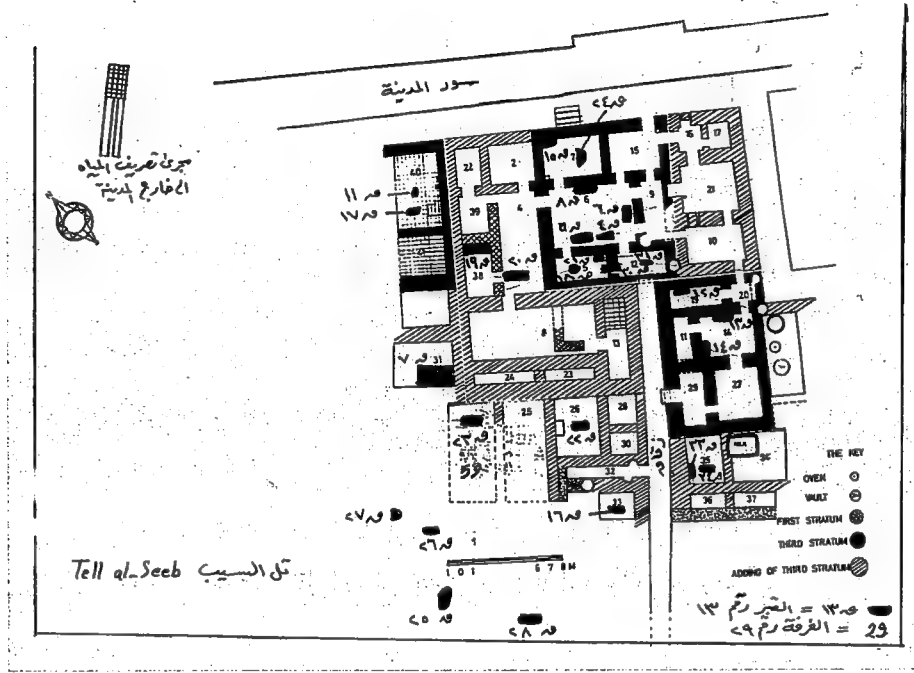
حالا وأكثر أهمية من الطبقتين العلويتين، ويعود تأريخها إلى العصر البابلي القديم وعلى وجه التحديد إلى القرون الأولى من الألف الثاني قبل الميلاد. ويظهر في الصورة رقم 1- مشهد عام للجزء الأكبر من الطبقة الثالثة في تل السيب حيث بقايا البيوت السكنية من العصر البابلي القديم ومخازن الحبوب فيها والجرار الكبيرة التي وجدت ممتلئة بالحبوب، وفي وسط مقدمة المشهد تظهر الغرفة رقم 76 التي ضمت القبر رقم 32 الملاصق للجدار الشمالي-الشرقي للغرفة وتبدو منه عظام رجلي الهيكل المدفون فيه وقد رفعت الركبتان إلى الأعلى، وهو ما سنأتي على شرحه لاحقاً. ومن المرجح أن تأسيس مدينة ميتورناة يعود إلى بداية العصر البابلي القديم، إذ لم يعثر على طبقات أقدم من الطبقة الثالثة التي قامت على الأرض البكر. وفي تل حداد المجاور، الذي ضمّ المنشآت الدينية في مدينة ميتورناة، اكتشف في الطبقة العليا التي تأتي فوق البقايا البابلية القديمة، معبدً للآله نرجال، إله الموت وحاكم العالم السفلي (عالم الأرواح). ويعود تأريخ بناء هذا المعبد إلى العصر الآشوري الحديث، وعلى وجه التحديد إلى عهد آشور بانيبال (668-626 ق.م). وقد ذكر في نص لهذا الملك، وجد منقوشاً على عدد من الآجرات التي رصفت بها أرضية المعبد، الاسم الذي أطلقه الآشوريون على مدينة ميتورناة من بعد استيلائهم عليها، وهو سيرا⁽¹⁰⁾.



الصورة رقم -1-: منظر عام للطبقة الثالثة في تل السيب (موقع مدينة ميتورناة القديمة) وتظهر فيه بقايا بيوت من العصر البابلي القديم وفي مقدمة المنظر الغرفة رقم 76 وفيها القبر رقم (32).

اشتملت الطبقة الثالثة في تل السيب على بقايا عدد من البيوت التي اكتشفت فيها مجموعة كبيرة من القطع الأثرية ومجموعة من الرقم الطينية، أو كسر الرقم، مدونة بنصوص مسمارية بابلية قديمة زاد عددها على الألف. وفيما يخص موضوع هذا الكتاب، تم اكتشاف أربعة وثلاثين قبراً في داخل غرف البيوت وساحاتها. ويوضح المخطط في الشكل رقم (18) مواضع هذه القبور وأرقامها التسلسلية. وقد احتوت هذه القبور على عدد كبير من القطع الأثرية التي كونت الأثاث الجنائزي الذي دفن مع الأموات من سكان المدينة. ووصل عدد القطع الأثرية

التي استخرجت من تلك القبور إلى أكثر من مئة وخمسين قطعة. ومن بين هذه القبور، التي لم يسبق أن نشر عنها، نعرض فيما يأتي وصفاً لثلاثة عشر قبراً منها، وقد اختيرت هنا لكونها الأفضل حفظاً، أو الأكثر أهمية، بحسب طريقة الدفن المتبعة فيها أو بحسب محتوياتها:



الشكل رقم (18) المخطط الأرضي للطبقة الثالثة في تل السيب (ميتورناة القديمة) وقد حددت فيه مواضع القبور المكتشفة.

القبر رقم 7: شيد هذا القبر بالآجر في الزاوية الجنوبية من الغرفة رقم 31، الصورة رقم 2. يرتفع الجداران الجنوبي-الغربي والشمالي-الشرقي للقبر إلى نصف متر، ثم يبدأ القبو المعقود الذي يسقف القبر. وفي الطرف الجنوبي-الشرقي يوجد



الصورة رقم -2- تل السيب (مدينة ميتورناة القديمة)، القبر رقم 7.

مدخل القبر الذي كان مغلقاً بالآجر. أما في الطرف الشمالي-الغربي فإن جدار القبر يستمر في الارتفاع حتى يُغلق فتحة القبو في ذلك الطرف. ويلاحظ في هذا الجدار وجود فتحة صغيرة في أعلى الوسط تنفذ إلى داخل القبر ويتقدمها مجرى استُحدث بين أعلى آجرتين في الجدار. وقد توضحّت وظيفة هذه الفتحة حين اكتشفت في داخل القبر جرة فخارية بشكل "الزمزية"، أو قربة الماء، لها بدنٌ قرصي الشكل وفوهة دائرية. كانت هذه الجرة موضوعة على أرضية القبر المرصوفة بالآجر عند وسط الضلع الشمالية-الغربية للقبر، وقد أُسندت إليه لتكون منتصبة وفوهتها

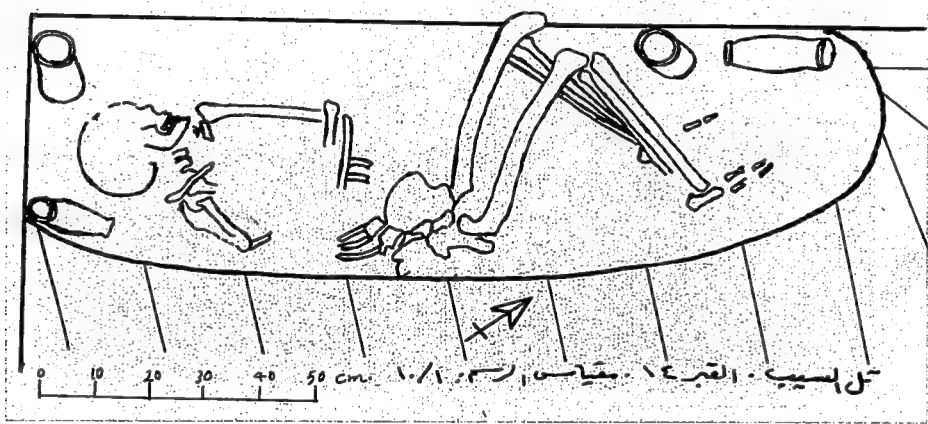
تحت الفتحة الموجودة في أعلى ذلك الضلع مباشرة، وهو ما تبينه الصورة رقم -3-. وكان واضحاً أن الماء الذي يسكب من خارج القبر، عبر تلك الفتحة، يتزل ليصب في فوهة الجرة ويملأها من دون أن تكون هناك حاجة إلى فتح القبر وإعادة ملء الجرة المخصصة لذلك. إن اكتشاف هذه الجرة بموضعها الأصلي، المقترن بالفتحة في أعلى جدار القبر، مكّننا من تفسير وجود الفتحة باعتبارها وسيلة لتزويد الميت المدفون في القبر بالماء ضمن الشعائر الجنائزية بحسب ما تملّيه معتقدات ما بعد الموت القديمة عن حاجة أرواح الموتى للتزود بالماء النقي حتى لا تضطر إلى الاعتماد على الماء العكر الذي لا يتوفر لها سواه في العالم السفلي، وهذا ما سيأتي الحديث عنه في الفصل الثالث من هذا الجزء. إن ما كشف عنه هذا القبر من صلة للفتحة الموجودة في أعلى جداره بشعائر سكب الماء لأرواح الموتى يفسر وجود فتحات أخرى اكتشفت في مواقع مختلفة في بلاد الرافدين. فعلى سبيل المثال وجدت مثل هذه الفتحة في قبور اكتشفت في موقع مدينة آشور (قلعة الشرقاط). وقد وجدت فتحة صغيرة أيضاً في أحد النواويس الحجرية في المقبرة الملكية الآشورية في القصر القديم في الموقع نفسه. وكان هناك تفسير سابق ذهب إليه الآثاريون الغربيون من أن تلك الفتحات وضعت لتكون منفذاً للروح حين خروجها من القبر. وهذا تفسير غير مقبول لأن القبر كان أصلاً منفذاً للروح لتزل من خلاله إلى العالم السفلي، ولا تحتاج إلى فتحة للخروج منه إلى العالم العلوي. وجدت في القبر رقم (7) أربع جرار فخارية إحداها كبيرة الحجم كروية البدن (انظر الصورة رقم -3-)، وتدل محتوياتها على أنها كانت مملئة بقطع من لحوم الذبائح، إذ وجدت بقايا عظام حيوانية في داخلها. وتقدم لنا



الصورة رقم -3- منظر للقبر رقم (7) يظهر فيه الجدار الشمالي-الغربي للقبر من الداخل وقد أسندت إليه "الزمرمية" الفخارية مع وضع فوهتها تحت فتحة صب الماء الموجودة في وسط أعلى ذلك الجدار. وفي مقدمة الصورة تظهر جرة فخارية كبيرة كانت ممتلئة بالطعام واللحوم.

محتويات هذا دليلاً على الاهتمام بتزويد المتوفي بالطعام والشراب اللذين تحتاجهما روحه في العالم السفلي. لقد تكرر استعمال هذا القبر في الدفن، إذ اكتشفت فيه بقايا هيكلين وجدا بحالة مشوشة. ذلك أن الهيكل الأقدم أزيح عن مكانه لإفساح المجال لوضع الهيكل الثاني الذي عملت الجرار الفخارية الثقيلة وبعض الآجر المتساقط من السقف المعقود للقبر على سحق عظامه. ومما يمكن قوله عن هذين الهيكلين أن أحدهما كان لامرأة على ما يرجح.

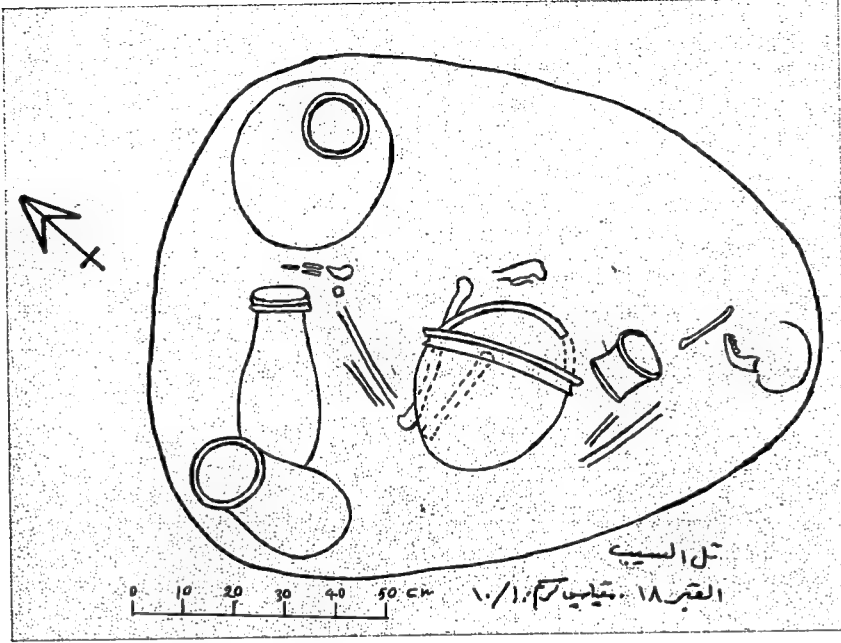
القبور رقم 14: حفرة شبه مستطيلة أبعادها 55×155 سم عند الزاوية الغربية للغرفة رقم 14 تحت مستوى الأرضية الخامسة من الطبقة الثالثة. اتجاه الدفن من الجنوب-الغربي إلى الشمال-الشرقي. اكتشف في هذا القبر هيكل عظمي لرجل مُدد على جنبه الأيسر والوجه نحو الشمال-الغربي، اليد اليسرى مثنية بزاوية قائمة على الصدر، الشكل رقم (19). عظام اليد اليمنى والفقرات الصدرية ومعظم الأضلاع مفقودة بسبب وجود كسرة في القبر. الرجلان مثنيتان وقد وضعت عندهما جرتان فخاريتان كبيرتان، وهناك جرتان مائلتان عند الرأس.



الشكل-رقم (19): رسم للقبور رقم 14.

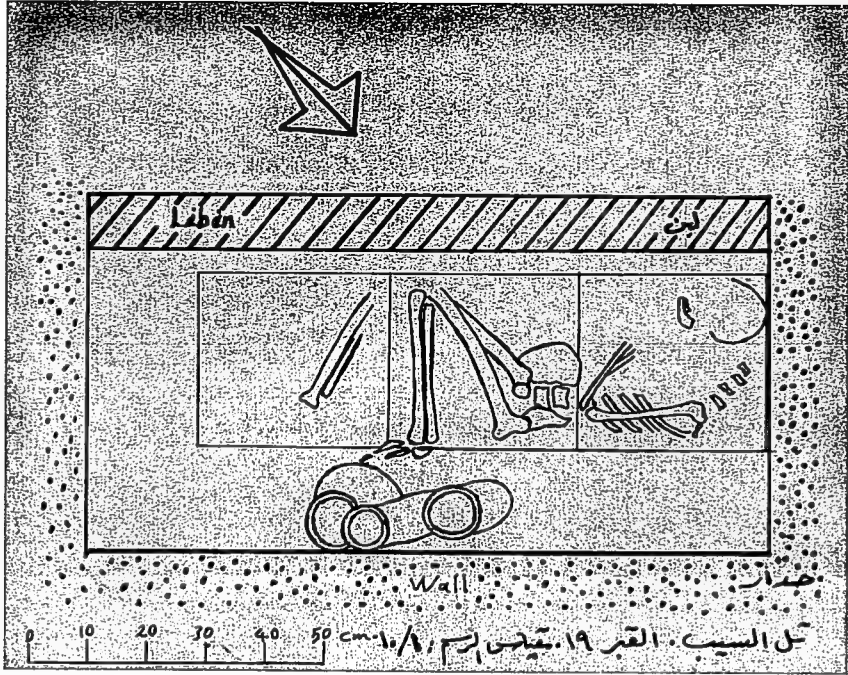
القبور رقم 18: حفرة بشكل بيضوي أبعادها 106×130 سم، في وسط الغرفة رقم 5، تحت مستوى الأرضية الرابعة من الطبقة الثالثة. اتجاه الدفن من الجنوب-الشرقي إلى الشمال-الغربي، الشكل رقم (20). وُجد الهيكل بحالة سيئة ومعظم العظام مفقودة، وعلى الأرجح أنه يعود إلى أنثى بالغة دفنت على جنبها الأيسر مع ثني الرجلين. اليدين مرفوعتان باتجاه الرأس الذي استقر على جانبه الأيمن. القبر غني بالآثار الجنائزي الذي وضع بعضه فوق الجثة، ويشتمل على ثلاث جرار

فخارية كبيرة وضعت عند القدمين واحتوت اثنتان منها على جرتين فخاريتين أصغر حجماً. وفوق الورك وضع وعاء فخاري كبير الحجم وفي داخله صحن فخاري كبير. وعلى الصدر وضعت آنية برونزية بشكل أسطواني مخصص من الوسط. ووجدت في هذا القبر أيضاً حلية ذهبية صغيرة.



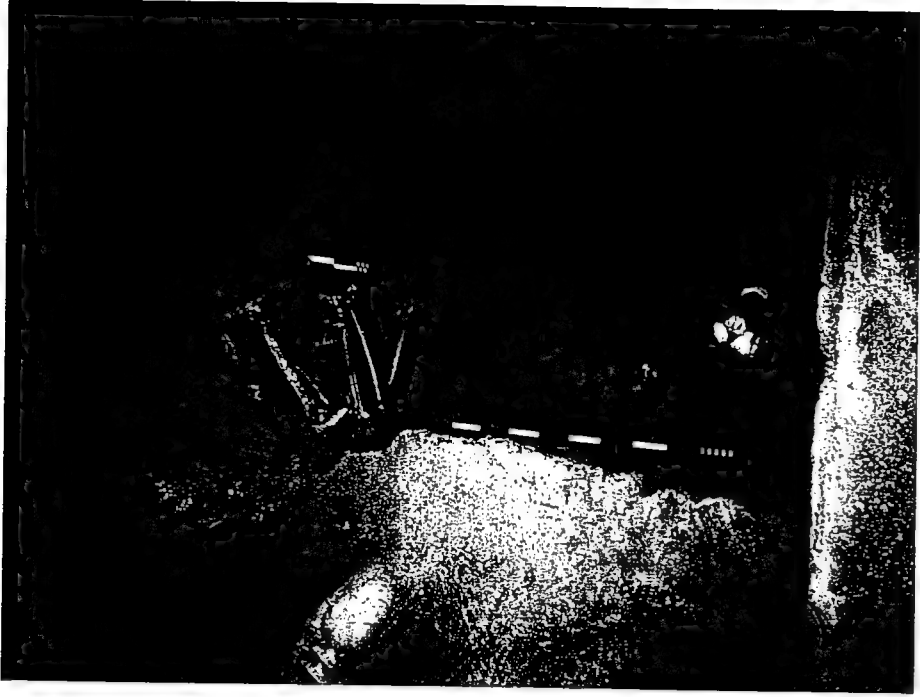
الشكل رقم (20): رسم للقبر رقم 18.

القبر رقم 19: قبر مشيد باللبن في الجهة الجنوبية-الغربية ومحدد بجدران الغرفة رقم 38 في الجهات الثلاث الأخرى. تبلغ أبعاد هذا القبر 55×115 سم. اتجاه الهيكل من الشمال-الغربي إلى الجنوب-الشرقي، الشكل رقم (21)، وقد مدد على جنبه الأيمن فوق ثلاث آجرات رصفت بها أرضية القبر، وتبلغ أبعاد كل آجرة 8×33×33 سم. الهيكل يعود إلى ذكر بالغ على الأرجح، وقد أثبتت الرجلان ورفعت اليدان باتجاه الوجه. يتكون الأثاث الجنائزي في القبر من ثلاث جرار فخارية وضعت متلاصقة عند القدمين.



الشكل رقم (21): رسم للقبر رقم 19

القبر رقم 20: اكتشف هذا القبر في الطرف الجنوبي-الغربي من الساحة رقم 4، ويعود إلى دور مبكر من الطبقة الثالثة. استعمل القبر مرتين على ما يبدو، وفي كل مرة كان الدفن فيه ثنائياً، ولذلك فإنه يتضمن أربعة هياكل عظمية، الصورة رقم 4- . ويتميز هذا القبر بغنله بالأثاث الجنائزي الذي يتألف من 18 قطعة أثرية. اتجاه الدفن في هذا القبر من الجنوب-الشرقي إلى الشمال-الغربي. والقبر بشكل حفرة مستطيلة تبلغ أبعادها 170×50 سم. ويبدو أن القبر استعمل في الدفن الأول لامرأة مع طفلها الرضيع،



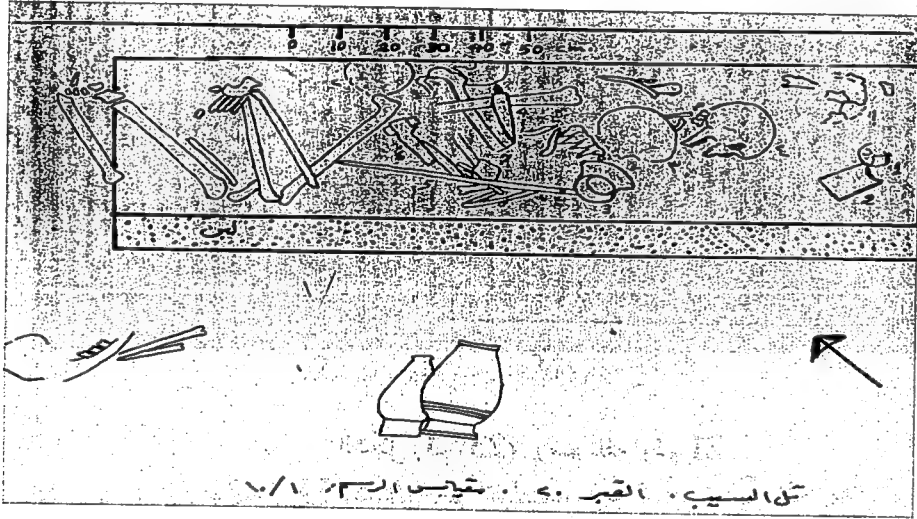
الصورة رقم-4-: القبر رقم 20.

إذ وُجدت جمجمة (رقم 1 في الشكل رقم 22) عند الزاوية الشرقية للقبر وهي بحالة سيئة وتحمل آثار جبس كان يغطيها. وعلى الأرجح أن هيكل هذه الجمجمة قد أُزيح من مكانه حين استعمل القبر نفسه في الدفن الثاني، إذ لم يتبق من هيكلها سوى هذه الجمجمة المهشمة. أما الهيكل الثاني (الجمجمة رقم 2) فموضعها خلف الهيكلين الأخيرين عند الحافة الشمالية-الشرقية للقبر. واتجاه الهيكل، الذي يعود لطفل رضيع، من الشمال-الغربي إلى الجنوب-الشرقي، أي بعكس اتجاه بقية الهياكل. ويمكن الافتراض أن الهيكلين الثالث والرابع (الجمجمتان 3 و4)، اللذين يعودان لذكورين بالغين، دفنا معاً وربما كانا محاربين لقيا حتفهما سوية وذلك بدليل

الأسلحة البرونزية التي دُفنت معهما. وهذان الهيكلان ممددان على جنبيهما الأيسرين وأرجلهما مثنية. وفي أعلى القبر وجدت بقايا ذبيحة من المحتمل أن تكون لعجل أو بقرة، وعلى مقربة منها جرتان فخاريتان. وقد وجدت بعض عظام تلك الذبيحة في داخل القبر فوق عظام الهيكلين الثالث والرابع.

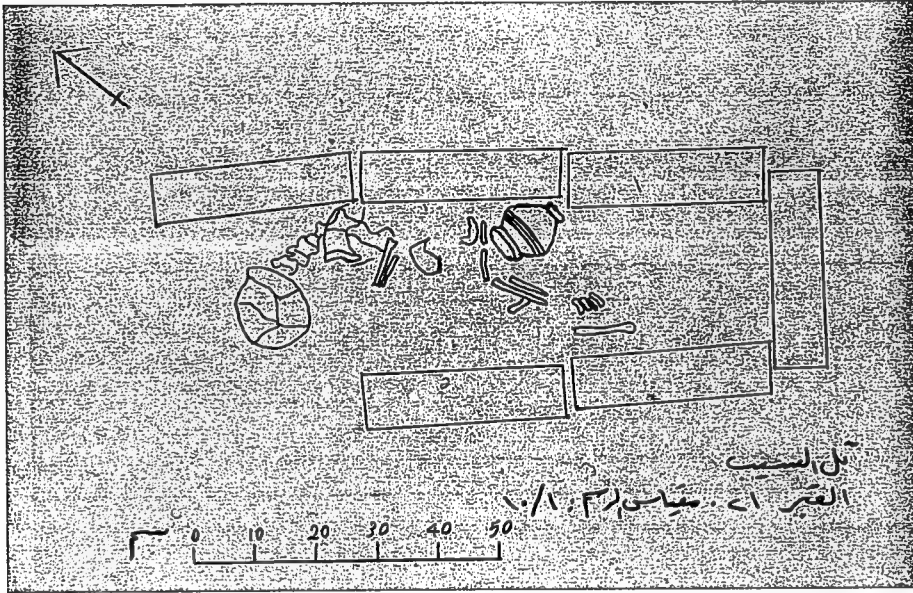
ضمّ الأثاث الجنائزي في القبر رقم 20 أربعة جرار فخارية، كانت ثلاثة منها مهشمة وغير كاملة، وثنائي قطع برونزية، مؤشرة في الرسم بالأرقام العريضة، تشمل أربعة أواني، بلطة طويلة النصل، بمقبض خشبي لم تنزل بقاياه في فوهة النصل، خنجر، حربة طويلة، ومروود.

وتضمّن الأثاث الجنائزي أيضاً قطع عظمية تحمل أشكالاً هندسية، شريطاً ذهبياً، قلادة صغيرة من الخرز المتنوع وثلاث قطع فضية تشمل شريطاً للزينة، حلّة وخاتماً.



الشكل رقم (22): رسم للقبر رقم 20.

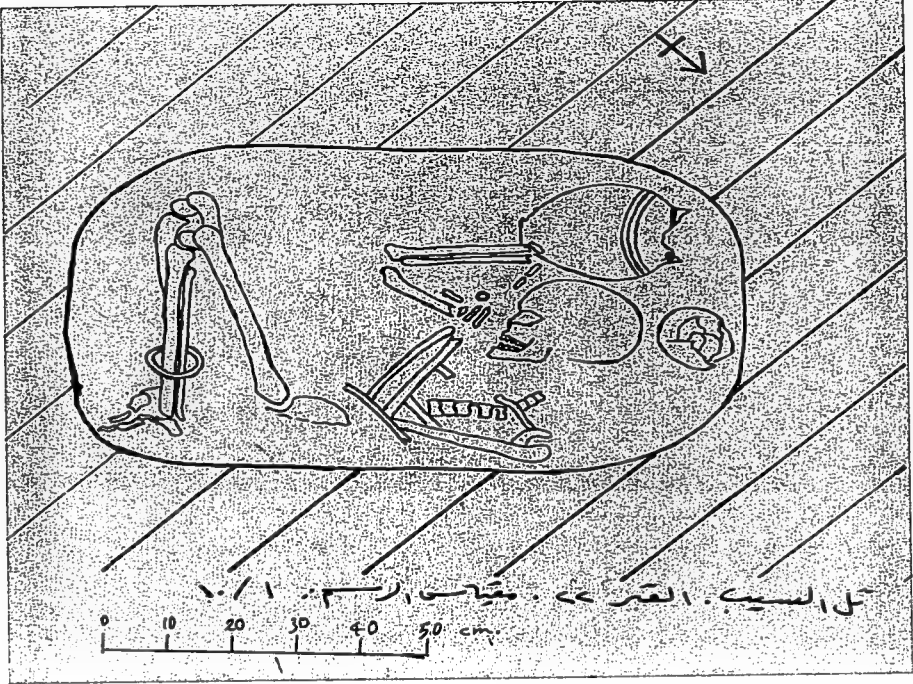
القبر رقم 21: مشيد بآجر قياساته $8 \times 33 \times 33$ سم. وقد شكّلت أضلاع القبر من الآجر الموضوع بشكل عمودي، وغطّي بآجر من الحجم نفسه. قياسات القبر 43×103 سم، ويعود الهيكل المدفون فيه إلى طفل صغير وقد وُجد بحالة سيئة والعظام مشوشة - الشكل رقم (23) -. وموضع هذا القبر في الزاوية الشرقية للغرفة رقم 5 تحت مستوى الأرضية الرابعة من الطبقة الثالثة. احتوى هذا القبر على ثلاث جرار فخارية وجدت اثنتان منها مهشمتان.



الشكل رقم (23): رسم للقبر رقم 21

القبر رقم 22: عبارة عن حفرة مستطيلة الشكل تقريباً قياساتها 60×100 سم. الاتجاه من الشمال-الغربي إلى الجنوب-الشرقي. اكتُشف القبر في وسط الغرفة رقم 26 وفيه هيكلٌ يعود لأنثى مدّدت على جنبها الأيمن وأُثْنِيت

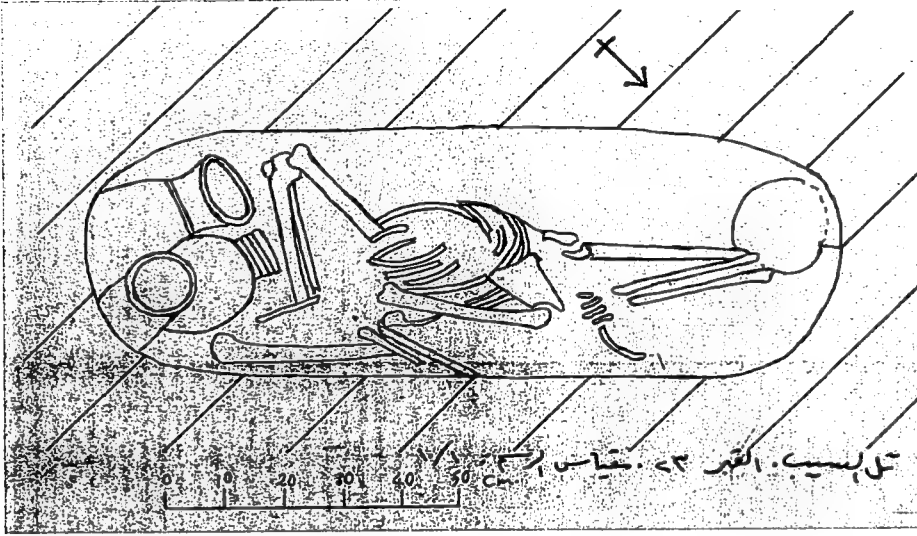
رجلاها بزاوية حادة -الشكل رقم (24)-، وقد وُضعت اليد اليمنى تحت الحنك واليسرى أمام الوجه. وُجد حجل برونزي لم يزل في موضعه بالرجل اليسرى وخلتم برونزي عند أصابع اليد اليمنى. وعند الرأس دفنت جرتان فخاريتان وجدتا بحالة كمش.



الشكل رقم (24): رسم للقبر رقم 22.

القبر رقم 23: حفرة شبه مستطيلة تبلغ قياساتها 45×135 سم. الاتجاه من الشمال-الغربي إلى الجنوب-الشرقي، وموضع القبر في القسم الشمالي-الشرقي من الغرفة رقم 59 ويعود إلى الطبقة الثالثة. وجد الهيكل العظمي بحالة غريبة في هذا القبر -الشكل رقم (25)-، إذ أن الرأس وعظام أحد الساعدين مفصولة عن

بقية عظام الهيكل. والجزء الأوسط من الهيكل منكفئ على الصدر، والرجلان
مثنيتان بشكل غير منتظم. والأثاث الجنائزي في هذا القبر تألف من ثلاث جرار
فخارية وضعت عند القدمين.

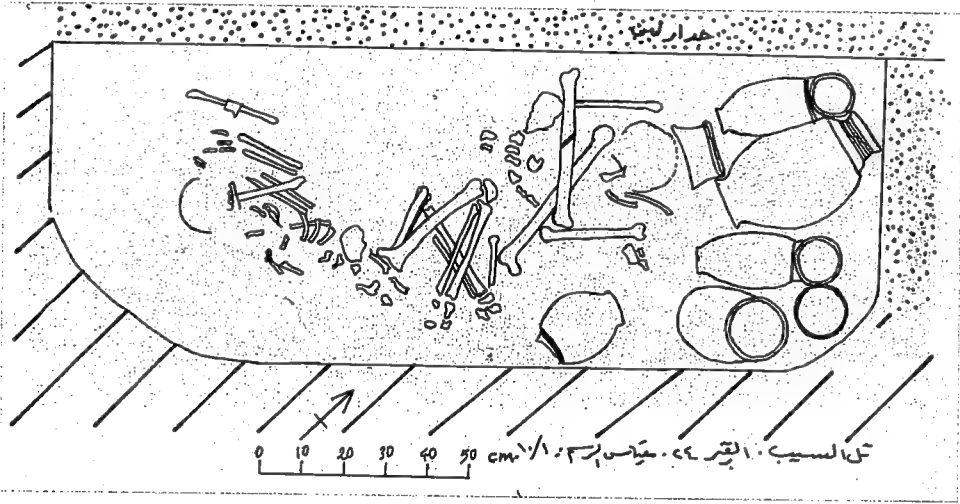


الشكل رقم (25): رسم للقبر رقم 23.

القبر رقم 24: حفرة كبيرة مستطيلة الشكل تقريباً تبلغ أبعادها 200×75 سم. وُجد هذا القبر في وسط الغرفة رقم 7 ويعود إلى دور مبكر من الطبقة الثالثة. اتجاه القبر من الشمال-الشرقي إلى الجنوب-الغربي. استُعمل هذا القبر للدفن المتكرر، إذ وُجد بداخله هيكلان عظميان -الشكل رقم (26)- كان الأقدم منهما بحالة سيئة وقد أزيحت عظامه إلى الطرف الشمالي-الشرقي من القبر حيث توجد الجمجمة. ويلاحظ أن عظم الساعد التابع لهذا الهيكل تُرك في موضعه عند الطرف الجنوبي-الغربي من القبر قرب جمجمة الهيكل الثاني. والهيكل الثاني

كان قد دُفن في وقت متأخر بعد أن أُزيحت عظام الهيكل الأول. واتجه الهيكَل الثاني من الجنوب-الغربي إلى الشمال-الشرقي، وقد مُدّد على جنبه الأيسر ويده مرفوعتان أمام الوجه والرجلان مثنيتان.

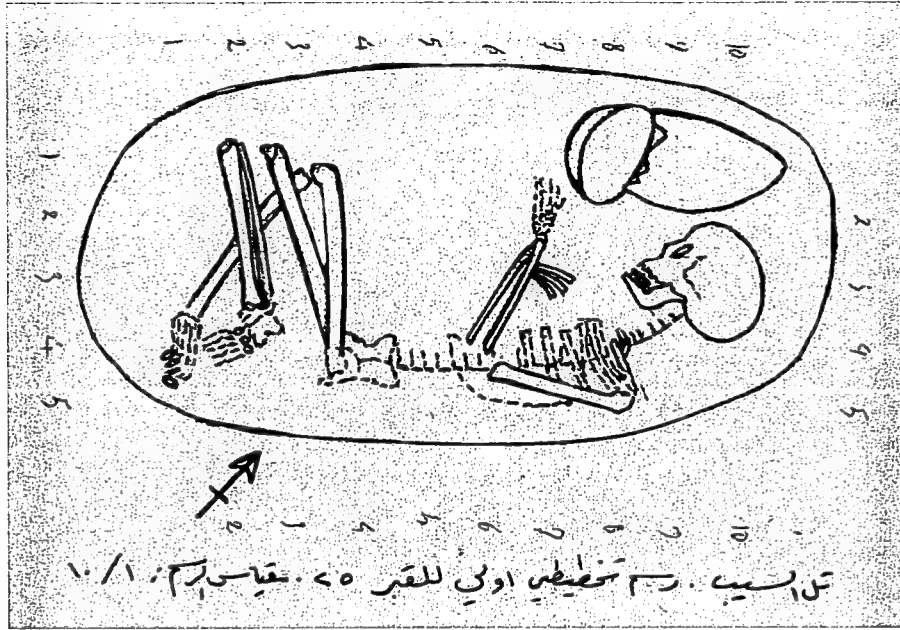
اشتمل الأثاث الجنائزي في هذا القبر على سبع جرار فخارية، وُجدت اثنتان منها بحالة تَشَم، وإناء برونزي. وجميع هذه القطع متجمعة في الطرف الشمالي-الشرقي من القبر. وقد عُثر على بقايا سوار فضي عريض يلتف حول عظم الساعد للهيكل الأول الذي بقي في موضعه الأصلي عند الطرف الجنوبي-الغربي من القبر.



الشكل رقم (26): رسم للقبر رقم 24

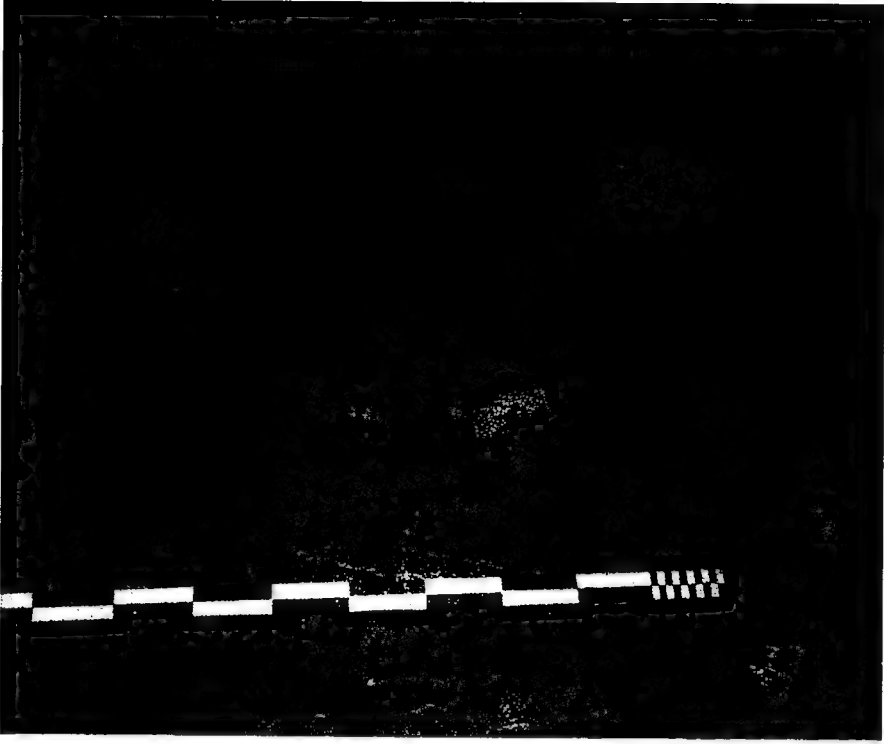
القبر رقم 25: حفرة شبه مستطيلة أبعادها 120×60 سم. الاتجاه من الشمال-الشرقي إلى الجنوب-الغربي. اكتُشف هذا القبر في امتداد الطبقة الثالثة عند الطرف الجنوبي-الغربي من التل. الهيكل يعود لأنثى بالغة على الأرجح وقد مُدّدت على جنبها الأيمن. اليدين أمام الوجه والرجلان مثنيتان بشدة-الشكل رقم (27).-

الأثاث الجنائزي تألف من جرّة فخاريّة وُجدت مهشمةً وإناء برونزي. وتحت هذا الإناء وُجدت قطع مزخرفة من العظم. وعند أصابع القدمين وُجد خاتم برونزي.



الشكل رقم (27): رسم تخطيطي أولي للقبر رقم 25.

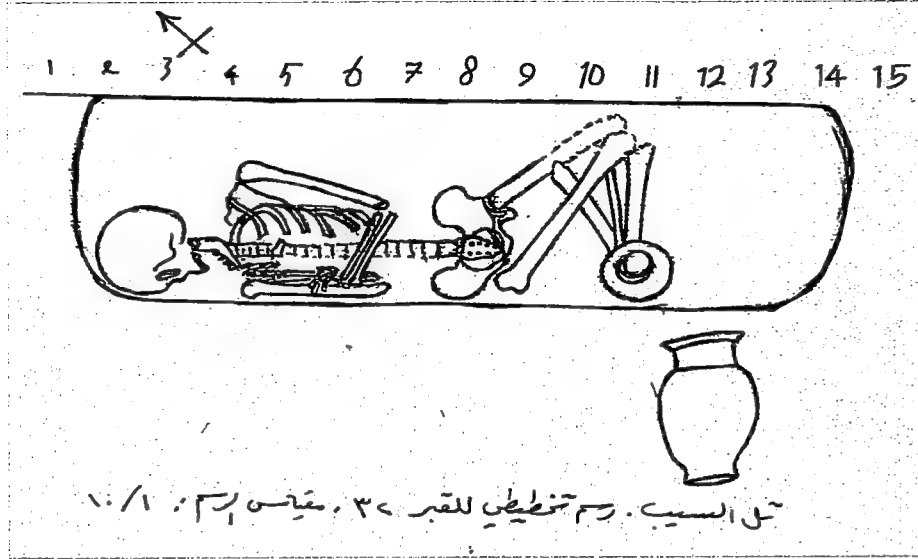
القبر رقم 30: حفرة شبه مستطيلة أبعادها 50×140 سم. الاتجاه من الجنوب-الشرقي إلى الشمال-الغربي. وُجد هذا القبر تحت الجدار الجنوبي-الشرقي للغرفة رقم 5. الهيكل يعود إلى رجل دفن على جنبه الأيسر. اليدين مرفوعتان أمام الوجه حيث وضع قدح فخاري والرجلان مثنيتان -الصورة رقم 5-. لم يُعثر على



الصورة رقم -5-: القبر رقم 30

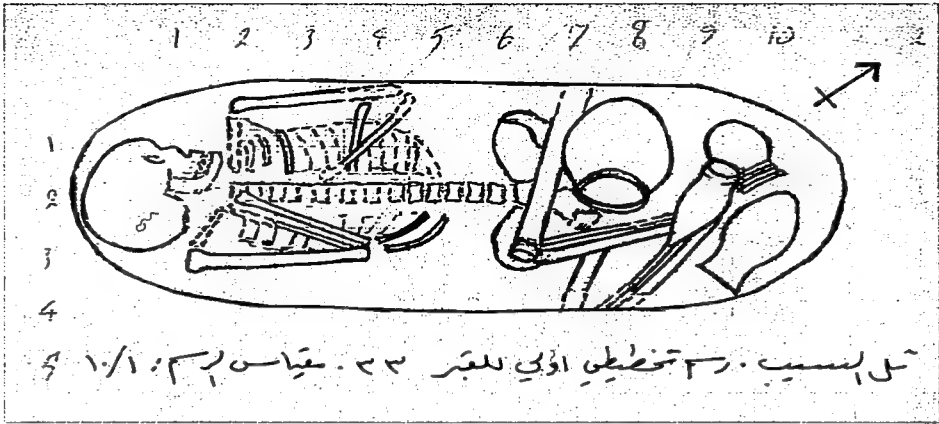
القبر رقم 32: حفرة مستطيلة الشكل تقريباً أبعادها 40×130 سم. القبر ممتد لصق الجدار الشمالي-الشرقي للغرفة رقم 76 الكائنة في الامتداد الجنوبي-الغربي للتل (انظر الصورة رقم -1-). الهيكل المدفون في هذا القبر يعود إلى رجل مدّد على ظهره واتجاهه من الشمال-الغربي إلى الجنوب-الشرقي، والرأس مستقر على الجانب الأيمن. اليد اليسرى مثنية بزاوية قائمة وموضوعة فوق الصدر، أما اليد اليمنى فقد وُضعت تحت الحنك. الرجلان مثنيّتان والركبتان إلى الأعلى -الشكل

رقم (28) - الأثاث الجنائزي يشمل جرّتين إحداهما في داخل القبر عند القدمين والأخرى في خارجه. وقد وُجدت تحت الجرة الثانية بقايا ذبيحة يُرجّح أنها كانت خروفاً.



الشكل رقم (28): رسم تخطيطي أولي للقبر رقم 32.

القبر رقم 33: حفرة بشكل بيضوي، أبعادها 40×115 سم. وُجد هذا القبر لصق الجدار الشمالي-الغربي للغرفة رقم 35 قرب الزاوية الغربية وذلك تحت مستوى الأرضية الثانية المكتشفة في هذه الغرفة. اتجاه الدفن من الجنوب-الغربي إلى الشمال-الشرقي. الهيكل يعود إلى رجل مُدّد على ظهره والرأس مستقر على الجانب الأيسر، في حين أن الرجلين مثنيتين ومائلتين على الجانب الأيمن. اليدان موضوعتان بشكل متقاطع على الصدر -الشكل رقم (29). تألف الأثاث الجنائزي في هذا القبر من أربع جرار فخارية مختلفة الأشكال والأحجام.



الشكل رقم (29): رسم تخطيطي أولي للقبور رقم 33

في ختام هذا الحديث عن القبور المكتشفة في تل السيب تجدر الإشارة إلى أن القبر رقم (8)، الذي اكتشف لصق الجدار الشمالي-الشرقي للساحة رقم 6 في الطبقة الثالثة، لم يكن قبراً لبشر وإنما لحماز دُفن بالطريقة نفسها التي كان يُدفن بها المتوفون من البشر. وقد مُدد هذا الحماز على جنبه الأيمن وأُثبتت أرجله ودُفن مع أثاث جنازي متميز يشتمل على وعاء برونزي مع عدّة للحيوان من البرونز والجلال وبقيت آثارها في صدى البرونز، الصورة رقم 6-6. ويمثل هذا القبر مثلاً ربما يكون فريداً في بلاد الرافدين. ولعل الدافع لدفن ذلك الحماز بهذه الطريقة، المشابهة لطريقة دفن الموتى من البشر، عاطفي أكثر من كونه ديني، أو أنه كان نتيجة للرغبة في نزول الحماز مع روح صاحبه، الذي لا بد أن يكون هو صاحب البيت، إلى العالم السفلي.



الصورة رقم -6-: هيكل الحمار المدفون في القبر رقم 8 في تل السيب.

قبور من بابل

في أثناء عمل المؤلف في التنقيب الآثاري في موقع مدينة بابل خلال العام 1978م اكتُشف جملة قبورٍ من العصور المتأخرة، يعود تأريخها إلى النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، في التل الشرقي الذي يمتد في خارج السور الداخلي لبابل حيث توجد بوابة عشتار، وذلك على مسار شارع الموكب المؤدي إلى معبد بيت أكيثو. وهذا المعبد كان الموضع المقدس لإقامة شعائر الاحتفال برأس السنة البابلية. لقد تم التنقيب في ثلاثة مواضع من التل الشرقي أُشير إليها بالحلقات الأولى، الثانية والثالثة. والحارة الثالثة تأتي بعد السور الداخلي مباشرة، وكانت معظم القبور قد اكتُشفت في هذا الموضع.

لقد كُشِفَ في الحارة الثالثة عن ثلاث طبقات يمكن تحديد تاريخ أحدثها. وهي الطبقة الأولى، في العهد الفرثي. أما الطبقة الثانية فتعود إلى العهد السلوقي في العراق، وتسبقها زمنياً الطبقة الثالثة التي تأتي تحتها. كان أحد القبور المكتشفة في الطبقة الأولى عبارة عن حفرة بسيطة غُطِّيت بآجرٍ مختلف الأحجام، الصورة رقم 7-.

وهناك قبر آخر من الطبقة نفسها تم الدفن فيه بتابوت فخاري بشكل المدرجة، الصورة رقم 8-، اتجأه من الشرق إلى الغرب والهيكل فيه ممدد على ظهره. ويبدو أن الرجلين أدخلتا أولاً من الفوهة الكبيرة وسحبنا بجبلٍ من خلال الفتحة الصغيرة الموجودة في الطرف الأمامي للتابوت. وبعد أن مُدِدَت الجثة، غُطِّيت الفوهة البيضوية الكبيرة للتابوت، حيث يوجد رأس الهيكل، بقطع من الآجر.



الصورة رقم 7-: قبر من الحارة الثالثة، الطبقة الأولى في التل الشرقي، بابل



الصورة رقم -8-: تابوت فخاري بشكل المدرجة، الحارة الثالثة،
الطبقة الأولى، التل الشرقي، بابل.

وفي الطبقة الثانية في الحارة الثالثة وُجد قبر تم الدفن فيه داخل تابوت
فخاري طويل يشبه حوض الاستحمام وله زوايا دائرية. وللتابوت غطاء فخاري
أيضاً يتألف من قطعتين. اتجه الدفن من الشرق إلى الغرب. وقد وضعت عند الرأس،
في خارج التابوت، جرة فخارية وجدت مهشمة، الصورة رقم -9-.

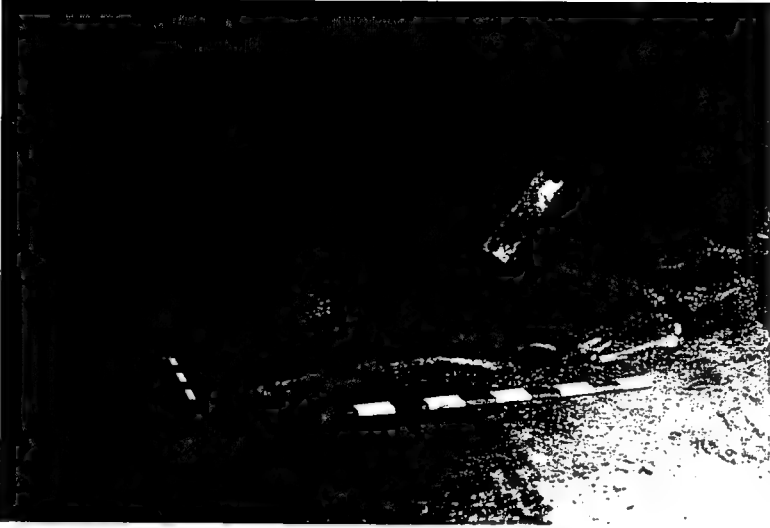


الصورة رقم -9-: تابوت فخاري، الطبقة الثانية، الحارة الثالثة، التل الشرقي، بابل

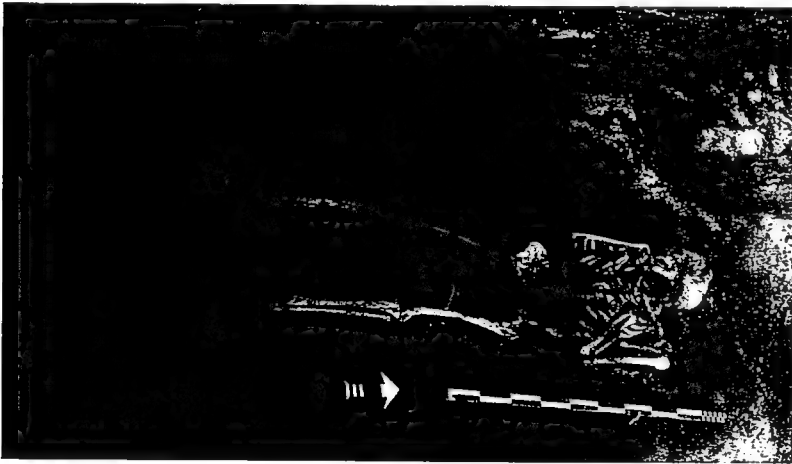
وبعد رفع الغطاء وتنظيف التابوت ظهر الهيكل العظمي الذي يعود إلى رجل ممدّد على ظهره. الرأس مائل على الجانب الأيمن واليدين متقاطعتان على الصدر، الصورة رقم -10-. وإلى الطبقة نفسها يعود أيضاً قبرٌ وُجد مغطى بالآجر، الصورة رقم -11-، وبعد أن رُفِع الآجر ونُظِّف القبر ظهر فيه هيكلٌ عظمي ممدّد على ظهره باتجاه شمالي-جنوبي والرأس مائل على الجانب الأيمن واليدين متقاطعتان على الصدر، الصورة رقم -12-. ولم يُعثر على أثاث جنائزي في هذا القبر.



الصورة رقم -10-: التابوت الفخاري الذي ظهر في الصورة رقم -9- وقد كشف
عن الهيكل العظمي المدفون فيه.



الصورة رقم -11-: قبر من الطبقة الثانية، الحارة الثالثة، التل الشرقي، بابل

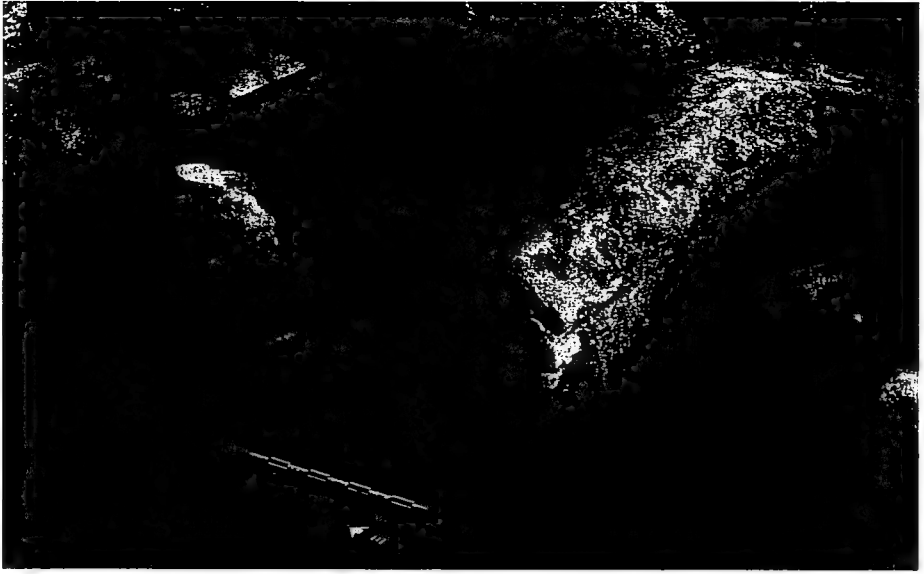


الصورة رقم -12-: القبر الذي ظهر في الصورة رقم -11- بعد تنظيفه واستظهار الهيكل المدفون فيه.

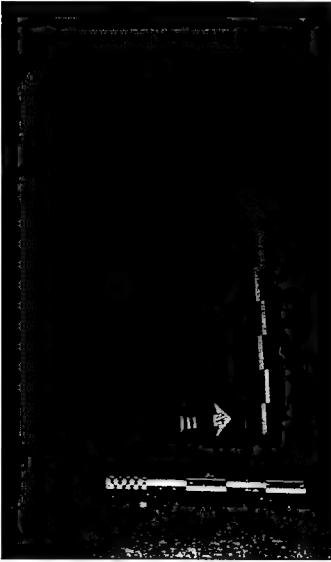
وفي الطبقة الثالثة اكتُشف قبرٌ يضمّ هيكلاً عظيماً ممدّاً على ظهره والرأس مائلٌ على الجانب الأيمن واليدان موضوعتان على الصدر، الصورة رقم -13-. ولم يُعثر على أثاث جنازتي في هذا القبر.



الصورة رقم -13-: قبر من الطبقة الثالثة، الحارة الثالثة، التل الشرقي، بابل.
ومن العهد السلوقي في العراق (311-126 ق.م) اكتُشف في الحارة الثالثة أيضاً مدفنٌ مُشيّد بالآجر. وهذا المدفن من نوع سراديب الدفن (Catacomb) يُقرّل إليه بسلمٍ يُوصِل إلى فسحةٍ مستطيلةٍ وعلى جانبيها توجد ستة قبور، ثلاثة على كل جانب، ويفصل ما بين قبر وآخر جدار، ولكل قبر مدخل مُغلق بالآجر، الصورة رقم -14-. وكلُّ قبرٍ مسقوفٌ بقبوٍ معقودٍ بالآجر، الصورة رقم -15-. لقد وُجد هذا المدفن مهتماً ومفرّغاً من محتوياته. ولكن عملية التنقيب وغربة الأتربة التي كانت تملأ المدفن أدّت إلى عثور المؤلف على كمية من الحلبي الذهبية التي شملت خيوطاً وقرطاً طويلاً وخاتماً كبير الحجم. وقد عُرضت هذه المواد في متحف بابل بعد انتهاء التنقيب.



الصورة رقم -14-: الجانب الشرقي من المدفن السلوقي في الحارة الثالثة، التل الشرقي، بابل



الصورة رقم -15-: أحد القبور المعقودة في الجانب الغربي من المدفن السلوقي في الحارة الثالثة، التل الشرقي، بابل.

اكتشاف القبور الملكية في نمرود

من المكتشفات الآثارية التي أثارت اهتماماً واسعاً منذ عام 1988م الكنوز الأثرية التي وُجدت في نمرود، موقع العاصمة الآشورية كَلخ. ورافق هذا الاهتمام ضجةٌ كبيرةٌ تركّزت على كمية القطع الذهبية النفيسة التي احتوتها تلك الكنوز، وهو ما لم يُكتشف مثيل له منذ عشرينيات القرن العشرين حين اكتُشفت المقبرة الملكية في أور. وهي المقبرة التي نُقبت بشكل دقيق وعلمي مما وفرّ لنا معلومات أثرية مهمة سنأتي على عرضها في الفصل التالي من الكتاب.

لقد بدأ هذا الاكتشاف على يد المؤلف في شهر نيسان من عام 1988م حين أمكن بنجاح تحديد موضع القبور الملكية المخصصة لأعضاء الأسرة الملكية الآشورية في جناح المعيشة في قصر آشور ناصر بال الثاني (883-859ق.م) واكتُشف القبر الأول وأنجزت عملية التنقيب فيه. وبعد أن تحقق ذلك الاكتشاف تهاقت بعض المسؤولين والعاملين في دائرة الآثار والتراث العراقية آنذاك للحصول على الكسب الرخيص والشهرة الجوفاء، في وقت كان الفساد الإداري والعلمي ينخر رأس تلك الدائرة التي كانت من المفاخر العلمية، منذ تأسيسها حتى أواخر الستينيات من القرن العشرين. وفي ظل ما كان يجري بعد اكتشاف موضع القبور الملكية في نمرود وإنجاز تنقيب القبر الأول أثر مؤلف هذا الكتاب الانسحاب بهدوء من العمل في دائرة الآثار والتراث وانتقل للعمل في الجامعة والتمسك بأصول العمل الآثاري الصحيح في التنقيب عن الآثار.. وكان هذا ما قام به حين نُقِبَ على رأس الهيئة الآثارية لجامعة القادسية، موقع ونه والصدوم (مدينة مرد القديمة) ونُشر نتائج التنقيب فيها في مجلة "سومر". وبعد انسحابه من نمرود تواصل العمل في حفر قبرين آخرين في الموضع نفسه واستُخرجت بقية الكنوز الموجودة فيها بأسلوب غير علمي، منحرفٍ عن أساليب العمل الآثاري الصحيحة. وهذا ما أدى إلى غياب النشر

ففي بداية عام 1988م قررت دائرة الآثار والتراث العراقية تشكيل فريق عمل لصيانة الأبنية الأثرية الشاخسة في نمرود، موقع العاصمة الآشورية كلخ. وصدر الأمر الإداري ذي العدد 251 في 1988/1/11م (نسخة مصورة من الأمر الإداري في الشكل رقم 30: أ، وب) بتشكيل فريق العمل بإشراف المؤلف.

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠
 ٢٠١
 ٢٠٢
 ٢٠٣
 ٢٠٤
 ٢٠٥
 ٢٠٦
 ٢٠٧
 ٢٠٨
 ٢٠٩
 ٢١٠
 ٢١١
 ٢١٢
 ٢١٣
 ٢١٤
 ٢١٥
 ٢١٦
 ٢١٧
 ٢١٨
 ٢١٩
 ٢٢٠
 ٢٢١
 ٢٢٢
 ٢٢٣
 ٢٢٤
 ٢٢٥
 ٢٢٦
 ٢٢٧
 ٢٢٨
 ٢٢٩
 ٢٣٠
 ٢٣١
 ٢٣٢
 ٢٣٣
 ٢٣٤
 ٢٣٥
 ٢٣٦
 ٢٣٧
 ٢٣٨
 ٢٣٩
 ٢٤٠
 ٢٤١
 ٢٤٢
 ٢٤٣
 ٢٤٤
 ٢٤٥
 ٢٤٦
 ٢٤٧
 ٢٤٨
 ٢٤٩
 ٢٥٠
 ٢٥١
 ٢٥٢
 ٢٥٣
 ٢٥٤
 ٢٥٥
 ٢٥٦
 ٢٥٧
 ٢٥٨
 ٢٥٩
 ٢٦٠
 ٢٦١
 ٢٦٢
 ٢٦٣
 ٢٦٤
 ٢٦٥
 ٢٦٦
 ٢٦٧
 ٢٦٨
 ٢٦٩
 ٢٧٠
 ٢٧١
 ٢٧٢
 ٢٧٣
 ٢٧٤
 ٢٧٥
 ٢٧٦
 ٢٧٧
 ٢٧٨
 ٢٧٩
 ٢٨٠
 ٢٨١
 ٢٨٢
 ٢٨٣
 ٢٨٤
 ٢٨٥
 ٢٨٦
 ٢٨٧
 ٢٨٨
 ٢٨٩
 ٢٩٠
 ٢٩١
 ٢٩٢
 ٢٩٣
 ٢٩٤
 ٢٩٥
 ٢٩٦
 ٢٩٧
 ٢٩٨
 ٢٩٩
 ٣٠٠
 ٣٠١
 ٣٠٢
 ٣٠٣
 ٣٠٤
 ٣٠٥
 ٣٠٦
 ٣٠٧
 ٣٠٨
 ٣٠٩
 ٣١٠
 ٣١١
 ٣١٢
 ٣١٣
 ٣١٤
 ٣١٥
 ٣١٦
 ٣١٧
 ٣١٨
 ٣١٩
 ٣٢٠
 ٣٢١
 ٣٢٢
 ٣٢٣
 ٣٢٤
 ٣٢٥
 ٣٢٦
 ٣٢٧
 ٣٢٨
 ٣٢٩
 ٣٣٠
 ٣٣١
 ٣٣٢
 ٣٣٣
 ٣٣٤
 ٣٣٥
 ٣٣٦
 ٣٣٧
 ٣٣٨
 ٣٣٩
 ٣٤٠
 ٣٤١
 ٣٤٢
 ٣٤٣
 ٣٤٤
 ٣٤٥
 ٣٤٦
 ٣٤٧
 ٣٤٨
 ٣٤٩
 ٣٥٠
 ٣٥١
 ٣٥٢
 ٣٥٣
 ٣٥٤
 ٣٥٥
 ٣٥٦
 ٣٥٧
 ٣٥٨
 ٣٥٩
 ٣٦٠
 ٣٦١
 ٣٦٢
 ٣٦٣
 ٣٦٤
 ٣٦٥
 ٣٦٦
 ٣٦٧
 ٣٦٨
 ٣٦٩
 ٣٧٠
 ٣٧١
 ٣٧٢
 ٣٧٣
 ٣٧٤
 ٣٧٥
 ٣٧٦
 ٣٧٧
 ٣٧٨
 ٣٧٩
 ٣٨٠
 ٣٨١
 ٣٨٢
 ٣٨٣
 ٣٨٤
 ٣٨٥
 ٣٨٦
 ٣٨٧
 ٣٨٨
 ٣٨٩
 ٣٩٠
 ٣٩١
 ٣٩٢
 ٣٩٣
 ٣٩٤
 ٣٩٥
 ٣٩٦
 ٣٩٧
 ٣٩٨
 ٣٩٩
 ٤٠٠
 ٤٠١
 ٤٠٢
 ٤٠٣
 ٤٠٤
 ٤٠٥
 ٤٠٦
 ٤٠٧
 ٤٠٨
 ٤٠٩
 ٤١٠
 ٤١١
 ٤١٢
 ٤١٣
 ٤١٤
 ٤١٥
 ٤١٦
 ٤١٧
 ٤١٨
 ٤١٩
 ٤٢٠
 ٤٢١
 ٤٢٢
 ٤٢٣
 ٤٢٤
 ٤٢٥
 ٤٢٦
 ٤٢٧
 ٤٢٨
 ٤٢٩
 ٤٣٠
 ٤٣١
 ٤٣٢
 ٤٣٣
 ٤٣٤
 ٤٣٥
 ٤٣٦
 ٤٣٧
 ٤٣٨
 ٤٣٩
 ٤٤٠
 ٤٤١
 ٤٤٢
 ٤٤٣
 ٤٤٤
 ٤٤٥
 ٤٤٦
 ٤٤٧
 ٤٤٨
 ٤٤٩
 ٤٥٠
 ٤٥١
 ٤٥٢
 ٤٥٣
 ٤٥٤
 ٤٥٥
 ٤٥٦
 ٤٥٧
 ٤٥٨
 ٤٥٩
 ٤٦٠
 ٤٦١
 ٤٦٢
 ٤٦٣
 ٤٦٤
 ٤٦٥
 ٤٦٦
 ٤٦٧
 ٤٦٨
 ٤٦٩
 ٤٧٠
 ٤٧١

العدد / ١٥٦
الطابق / ١٩٨٨ / ١٩٨٨

وزارة الشؤون
الإسلامية والشؤون
الدينية

أبواب

استناداً إلى الملاحظات المبجلة لنا بموجب كتاب وزارة الشؤون والإسلام
الرقم ١٩٨٨/١/١١ في ١٩٨٨/١/١١

١- نشر تقرير "مقدمة" في سجل المائدة الأثرية في ترميز
من المائدة الدرجة أ س و ز - أ س و ز

٢- زاهد محمد حسين
٣- محمد عبد علي أفسر
٤- عادل عبد الرحمن
٥- محمد حميد حيدوي

أحمد علي
عبد الله
أحمد علي
أحمد علي
أحمد علي

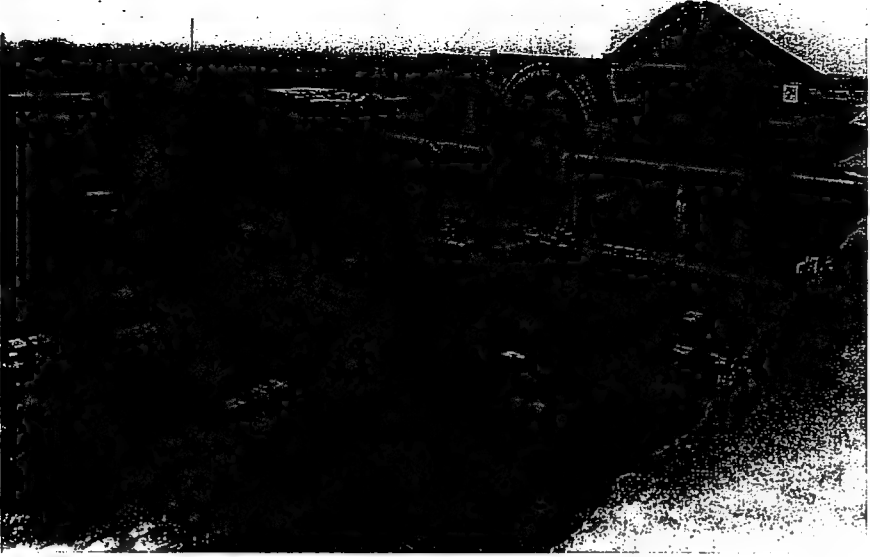
—U—

—f—

127

[illegible]

128

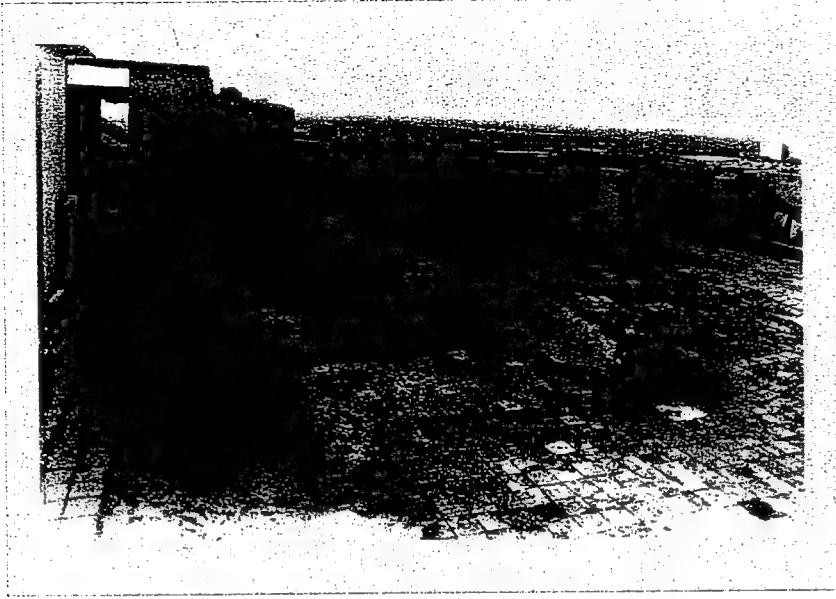


لصورة رقم -16-: منظر عام للساحة الرئيسة في قصر آشور ناصر بال الثاني (القصر الشمالي-الغربي) وتظهر في الصورة بقايا زقورة نمرود.

والساحات والغرف التي كان الملك آشور ناصر بال الثاني ومن بعده ابنه شلمنصر الثالث (824-858 ق.م) يديران شؤون الدولة منها. وفي الجهة الجنوبية من ساحة القصر الرئيسة (Y) توجد غرف تؤدي إلى جناح المعيشة خلف ردهات القصر، الصورة رقم -17-.

وحين بدأت أعمال الصيانة في أجزاء القصر الرئيسة لم يكن مخططاً القيام بأي تنقيبات أثرية. ولكن المؤلف، بصفته مشرفاً على المشروع اتخذ قراراً بتهيئة ما تبقى من جدران جناح المعيشة لأعمال الصيانة المستقبلية للمحافظة على معالمه التي

استظهرت خلال التنقيبات البريطانية والعراقية السابقة. ولذلك خصص عدد لا يزيد على بضعة عمال للقيام بهذه المهمة. وكانت جدران معظم غرف ذلك الجناح



الصورة رقم 17-: القسم الجنوبي من الساحة المركزية لقصر آشور ناصر بال الثاني، وهو القسم المؤدي إلى جناح المعيشة في الجزء الخلفي.

وأرضياتها قد استظهرت سابقاً على يد المنقب البريطاني ماكس ملوان الذي عمل لعدة سنوات في الموقع منذ عام 1949م⁽¹¹⁾، وكانت ترافقه في أثناء تلك التنقيبات زوجته الروائية المشهورة أجاثا كريستي. ويُفهم مما كتبه ماكس ملوان عن تنقيباته في جناح المعيشة أن الغرفة (MM)، بحسب التسميات التي أطلقها المنقبون على غرف القصر ومرافقه المختلفة، لم يتم استظهار أرضيتها بشكل كامل مثلما جرى في الغرف الأخرى المجاورة، ومنها الغرفة (DD) التي عثر فيها على قبرين لامرأتين

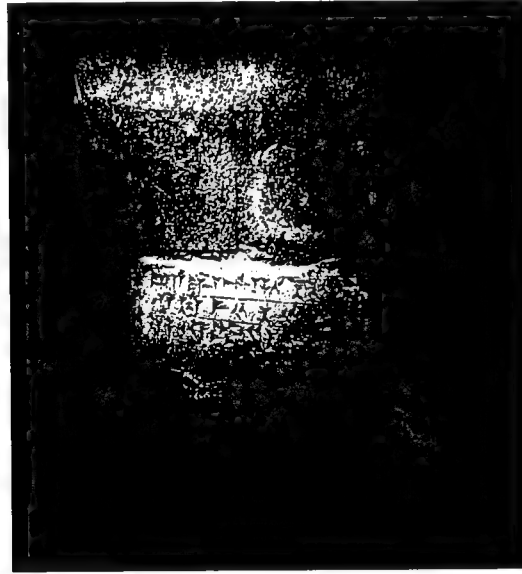
احتويًا على أثاث جنائزي فخم، والغرفة (HH) التي وجدت مُمتلئةً بقطعٍ من العاجيات التي كانت تُزيّن الأثاث، والغرفة (NN) التي اكتُشفت فيها بئر عثر في قاعها على مجموعة من قطع العاج، ومن بينها القطعة التي اشتهرت باسم "موناليزا نرود". ولذلك ارتوي من قبل المشرف على الفريق، وهو مؤلف هذا الكتاب، أن يبدأ العمل في الغرفة (MM) ويُستكمل استظهار أرضيتها.

وفي أثناء عملية استظهار أرضية الغرفة (MM)، في يوم 1988/4/5م، ظهرت في القسم الشمالي من الغرفة، على مقربة من الزاوية الشمالية-الشرقية للغرفة، بداية سَلَمٍ ضيّقٍ من الآجرٍ ينزل تحت الأرضية. وباستمرار العمل ظهر تحت أرضية الغرفة قبوٌ معقود بالآجر يصل ارتفاعه إلى مترٍ ونصفٍ عن أرضية القبو، الصورة رقم-18-. وفي الجدار الشمالي، المقابل للسلم، وجدت آجرة تحمل نصاً مسمارياً للملك آشور ناصر بال الثاني، الصورة رقم -19-. وهذا النص يتألف من ثلاثة أسطر مدونة باللغة الأكديّة-الآشورية ولكن بالعلامات المسمارية الرمزية السومرية التي ترمز إلى الكلمات الأكديّة. وكان هذا نوع من التقاليد الكتابية المتبعة في بلاد الرافدين القديمة فلا تكتب الكلمات بالمقاطع الصوتية الأكديّة ولكن، بما يشبه نوعاً من الاختزال، بالعلامات التي ترمز لمرادف كل كلمة باللغة السومرية فتكون هناك علامة مسمارية واحدة لكل كلمة أكديّة، مثلما هو متبع في الكتابات السومرية، ولكن قراءة تلك العلامات تكون باللغة الأكديّة. وكانت كلمات هذا النص جميعها مدونة بهذه الطريقة (Ideography) باستثناء المقطع الأخير في نهاية السطر الثالث (م).

وفيما يأتي قراءة للعلامات الرمزية السومرية في السطور الثلاثة، ثم قراءتها باللغة الأكديّة، وأخيراً ترجمتها باللغة العربية:



الصورة رقم-18:- القبو المعقود تحت أرضية الغرفة (MM) الذي ضمَّ أول قبور
الأميرات الآشوريات في اكتشاف عام 1988 في نمرود.



الصورة رقم-19:- الآجرة المدونة بنص الملك الآشوري آشور ناصربال الثاني في الجدار
الشمالي الداخلي للقبور الأول تحت أرضية الغرفة (MM) في نمرود.

قراءة العلامات الرمزية:

- 1: أي². غال أش. ياب. أ مان كور أش
- 2: توكول. ماش مان شو مان كور أش
- 3: أ 10. أيرن². تاخ² مان شو مان كور أش-ما

قراءة العلامات باللغة الأكديّة-الآشورية:

- 1: أيكل آشور-ناصر-أبل شر كيشة شر مات آشور
- 2: أبل توكلي-نورتا شر كيشة شر مات آشور
- 3: أبل أدد-ناراري شر كيشة شر مات آشور-ما

والترجمة العربية لهذه السطور:

- 1: قصر آشور ناصر بال (الثاني)، ملك العالم، ملك بلاد آشور
- 2: ابن توكلي-نورتا (الثاني)، ملك العالم، ملك بلاد آشور
- 3: ابن أدد-ناراري (الثاني)، ملك العالم، ملك بلاد آشور أيضاً.

ولما كان معروفاً أن الملك آشور ناصر بال الثاني كان مدفوناً في الأضرحة الملكية الموجودة تحت أرضية "القصر الملكي القديم" في العاصمة الآشورية القديمة آشور (قلعة الشرجاء حالياً)، وهو ما تحدثنا عنه في الفصل السابق، فإنه من المؤكد أن هذا القبر الملكي لم يكن قبر الملك نفسه وإنما لأحد أعضاء الأسرة المالكة. لقد كان القبر ممتلئاً بالركام وبما تبقى من الأثاث الجنائزي الفخم الذي كان يملؤه. ولذلك استمرت عملية التنقيب فيه واستخراج القطع الأثرية أكثر من ثلاثة أسابيع. وقد دلت المكتشفات من هذا القبر على أن الأثاث الجنائزي اشتمل على قطع أثاث

و بموجب المذكرة الرسمية التي بعث بها المؤلف إلى مديرية الآثار والتراث العراقية في بغداد (انظر نسختها المصورة في الشكل رقم 32: أ، ب، ج)، بتاريخ 13/4/1988م، بلغ عدد القطع الأثرية المستخرجة من هذا القبر أكثر من مئة قطعة.

[illegible]

134

- ١- سلسلة ذهبية بطول ١٢ سم *
- ٢- خرز ذهبية يصل عددها إلى ٢٨ خرزة بأحجام مختلفة تتراوح أطوارها ما بين ٢ ملم و ١٥ ملم *
- ٣- أربعة الخراط ذهبية بطول ١٢ جرس مخروطي من النحاس منها و ١١ جرس من النحاس و ١٠
أجراس من النحاس *
- ٤- دلاية ذهبية مربعة بأربع زوائد يبلغ طول الدلاية ٢ سم وطولها ١٨ ملم *
- ٥- حلقة ذهبية قد تكون موزاة " تتألف من ١١ حبة من النحاس الذهبية الأسطوانية المصقفة
وكل حبة يحقون من صنع خرز يبلغ طول كل حبة حوالي ٢٤ ملم وجرس ٨ ملم طريرا *
- ٦- سبع خرز أسطوانية من النحاس كريمة منطقة وقد غلقت رؤوسها بالذهب *
- ٧- قناعة من خرز من النحاس كريمة منطقة *
- ٨- قطعة برؤوسه من أسطوانية تلك طرورها بالذهب * يبلغ طولها حوالي ٢٧ ملم *
- ٩- خرز أسطوانية من جرس كريمة تلك طرورها بالذهب * يبلغ طولها ٢٧ ملم وطر ٧ ملم *
- ١٠- دلاية بشكل ذهبية من النحاس الأبيض المصقفة شكل كلب صغير *
- ١١- دلاية بشكل ذهبية من النحاس الأبيض المصقفة شكل قريد *
- ١٢- زينة ذهبية بطول ٥ سم يبلغ طولها (مع مكان الزهرة) ٦ سم *
- ١٣- حلقة ذهبية بشكل سلسلة تفرع منها سلسلة صغيرة تتعشى إلى منها جرس مخروطي ذهبي
عدد الأجراس ١٧ إضافة إلى ثلاثة أجراس أخرى وبتحلاحة " وهي صورة للنفس الحسية *
- ١٤- سبع كرات ذهبية بأطوار تتراوح ما بين ٥ ملم طريرا " إلى ١٥ ملم طريرا *
- ١٥- زينة ذهبية من طريرها ١ سم و ١٢ ملم *
- ١٦- ديسون ذهبية ذهبية تتألف من صالين صغيرين لغير ولا صراة يتكونان زينة * ثنية طول دراجتها
٢٤ ملم و ٢٢ ملم مع ديسون يكون شكله مخطط وطول الديسون ٢١ ملم مع طرف حلزوني له *
- ١٧- مواد برؤوسه متعددة من بينها قطع يحصل أنها تعود إلى صال لحيوان وهي تحت المعالجة
حاليا *
- ١٨- أربع خرزات من النحاس الكريمة *
- ١٩- ديسون صغيرة لرجل وأجزاء *

(ب)

- ١- اطلال المكتشفات اليوم الأربعة ١٩٨٨/٤/١٢ لقد تمكنت :-
- ٢- دلائل تطلت لثرد من الحجر مع حزام وطبق رقبه من الذهب *
- ٣- حلة عسك من الخز الذهبية مشابهة لطل هو موجود في الفترة * من اللاتبة السابقة *
- ٤- قرط ذهبي بنقوش يهودية من الذهب * اينما *
- ٥- ١١ خرقة ذهبية كريمة باستطاعة واحدة استوائية *
- ٦- مجموعة من الخز الذهبية وعمل من الاحجار الكريمة *
- ٧- مجموعة من الخز المستوية من الاحجار الكريمة وقد نلت اطلالها بالذهب *
- ٨- رقائق ذهبية تطلت اجزاء من حلية ذهبية *
- ٩- قطعتان من الخز من الاحجار الكريمة *
- ١٠- دلائل اخرى من الحجر المكشوف مثل قردا *

(ج)

ملحق المذكرة (أ): قائمة بالقطع الأثرية المكتشفة بعد مرور تسعة أيام على اكتشاف القبر الملكي في نمرود

ولم يكتمل التنقيب في القبر حتى يوم 1988/4/30م حين بعث المؤلف بمذكرة رسمية أخرى إلى مديرية الآثار والتراث (انظر نسختها المصورة في الشكل رقم 33)



الي / دائرة الآثار والمتاحف

م / المكتبات الجديدة في بيروت
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

يود اعلامكم بأنه قد تم تلقي العرض المكني الذي اكتشف مؤخرا
في جناح المتحف في طر اشير ناصريال الثاني (الغرفة ١٨٨/٨)
وقد استخرجت بعض القطع من على زخمة واجدار غرفة موزون خشبات
كما تم احطها بالفاوس الاخاري الذي تم الهيك المكني والذي يرجع
بأنه يعود الي عهدة ملكية ربما تكون ملكة نفسها (زوجة اشير ناصريال
الطبي ١)

ولم يتو ذلك لتخرج الاعلان في هذا الاكتشاف والتد بالاعلام منه / ولتتم

الشكر

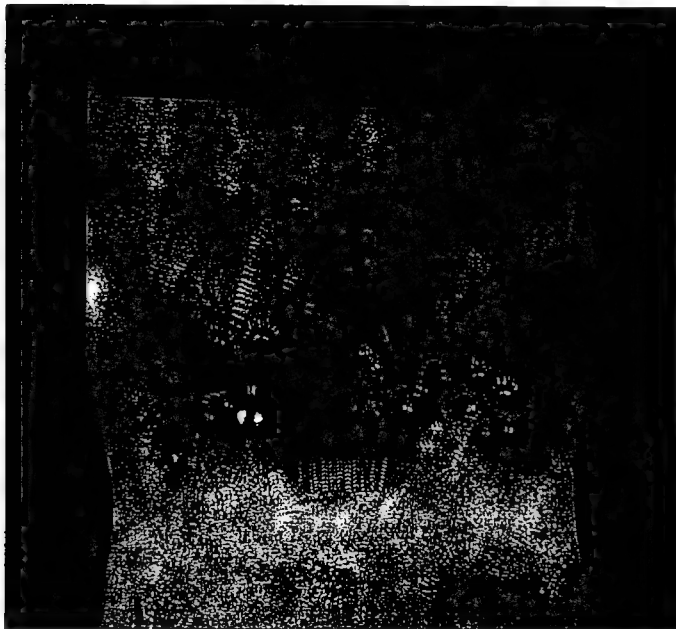
د. لائل حسيبي

المفتي على المعارف والآثار

٤/٢٨ صها

الشكل رقم (33): المذكرة الرسمية التي تعلن الانتهاء من التنقيب في القبر الملكي
الأول واستخراج القطع الأثرية منه.

يُبلغ فيها بإنجاز عملية النقيب في القبر واستخراج محتوياته من حلي ذهبية، الصورة رقم -20-، وأحجار كريمة ومواد مختلفة وكذلك اكتشاف التابوت الفخاري الذي وُجد منسحقاً تحت الركام الثقيل المتكدّس في داخل القبر. وكان في داخل التابوت بقايا هيكل عظمي بحالة سيئة. ومن خلال طبيعة الأثاث الجنائزي والحليّ الكثيرة التي تضمّنها أمكن التوصل إلى أن الهيكل المدفون في هذا القبر يعود إلى إحدى الأميرات من الأسرة المالكة الآشورية.



الصورة رقم -20-: مجموعة من الحلي الذهبية التي كانت جزءاً من الكثر المكتشف في القبر الملكي الأول في نمرود.

وفيما يأتي قائمة بعدد المكتشفات المهمة التي كانت ضمن الأثاث الجنائزي في هذا القبر بحسب المذكرة المؤرخة في 1988/4/13:

- 1- سلسلة ذهبية طولها 92 سم.
- 2- أكثر من ثلاثين خرزة ذهبية تتراوح أقطارها ما بين 3 و15 ملم.
- 3- أربعة أقراط ذهبية يتدلى منها 45 جرس ذهبي مخروطي الشكل.
- 4- دلالة ذهبية مزينة بأربع وردات ذهبية، يبلغ طول الدلالة 35 ملم وقطرها 18 ملم.
- 5- جزء من حزام ذهبي يتكون من خرز اسطوانية ذهبية عثر على 17 صف منها، وعرض هذا الحزام 34 ملم.
- 6- تسع خرز اسطوانية من الأحجار الكريمة ورؤوسها مغلقة بالذهب.
- 7- اثنتان وعشرون خرزة من أحجار كريمة مختلفة.
- 8- خرزة برونزية شبه اسطوانية غُلفَ طرفاها بالذهب، ويبلغ طولها 27 ملم.
- 9- مجموعة خرز اسطوانية من الأحجار الكريمة، وقد غُلفَت أطرافها بالذهب.
- 10- دلالة من الحجر الأبيض الشفاف بشكل كلب.
- 11- دلالتان من الحجر الأبيض الشفاف بشكل قرد.
- 12- ثلاث رمانات ذهبية بأقطار تبلغ 50، 12، و10 ملم.
- 13- حلقة ذهبية بشكل سلسلة تتفرع منها سلاسل صغيرة تنتهي كل واحدة منها بجرس ذهبي مخروطي الشكل. وعدد الأجراس بلغ عشرين جرساً.
- 14- إحدى وعشرون كرة ذهبية بأقطار تتراوح ما بين 5 و15 ملم.
- 15- دبوس زينة ذهبي يتألف من تمثالين صغيرين لصقر وامرأة يكوّنان زاوية قائمة طول ذراعيها 24 و27 ملم ومعهما إبرة ذهبية أيضاً طولها 29 ملم وتأخذ شكلاً حلزونياً في أحد طرفيها.

- 16-قطع برونزية كانت تغلف أجزاءً من قطع الأثاث الخشبي.
- 17-دمية حجرية صغيرة لامرأة ورجل.
- 18-دلاية حجرية بشكل قرد وعليه حزام وطوق رقبة ذهبيان.
- 19-مجموعة رقائق ذهبية متبقية من حلية.
- 20-قرط ذهبي ينتهي بوردين من الذهب.
- 21-قطعتان مزخرفتان من الأحجار الكريمة.
- 22-جرة كبيرة من المرمر الوردي اللون.

هوامش الفصل الثاني من الجزء الأول

- (1) حول التنقيب في القبور واستظهار الهياكل العظمية والخطوات التي تتخذ لمعالجتها ميدانياً أو لنقلها إلى المختبرات، يمكن الاطلاع على المرجع الآتي:
Bass, William M., **Human Osteology**, 2nd ed. (1971), pp.258-67; Appendix 3.
- (2) انظر كتاب المؤلف عن التوثيق الآثاري:
حنون، نائل، نظام التوثيق الآثاري، (دار الحكمة للطباعة والنشر، جامعة بغداد، 1992م).
- (3) حنون، نائل، نظام التوثيق الآثاري، ص ص 163-169.
- (4) Bass, William M., **Human Osteology**, p 259.
- (5) انظر: حنون، نائل، نظام التوثيق الآثاري، ص ص 175-181.
- (6) انظر المصدر نفسه في الهامش السابق، ص ص 183-221.
- (7) Meindl, Richard S. and C.
closure: A revised method for the determination of skeletal age at
American Journal of physical Anthropology, 68 (1985), pp.57-66.
- (8) Ibid., p. 60; Fig.1.
- (9) Jepson, Maud, **Anatomical Atlas**, (London, 1970), p.1.
- (10) عن نتائج التنقيبات الآثارية في تلي السيب وحداد، راجع أعمال المؤلف المنشورة الآتية:
- حنون، نائل، "تل السيب (Himrin Basin)", في **سومر** 35 (1979)، ص ص 433-439.
- حنون، نائل، "تلول بردان، السيب وحداد"، في **سومر** 40 (1980)، ص ص 65-71.
Excavations in the Hirmin Basin: Tell al
Bulletin, the Society for Mesopotamian Studies 2 (1982), pp. 5-6 with 4 plates.
- (11) من أهم ما كتبه ماكس ملوان عن تنقيباته في نمرود المرجع الآتي:
Mallowan, M. E. L., **Nimrud and its Remains**, (London, 1966).

الجزء الأول-الفصل الثالث

الموت في المراسم والشعائر والمراثي

لم تشهد بلاد الرافدين القديمة مراسم أو شعائر لدفن الأموات مثل تلك التي شهدتها حضارة وادي النيل القديمة من حيث جسامتها وأهميتها. فهذه المراسم والشعائر لم تتعد الإطار التقليدي العام للديانة القديمة في بلاد الرافدين⁽¹⁾. ولكن هذا لا يعني عدم وجود أهمية خاصة لأساليب الدفن والشعائر الجنائزية في العقائد الدينية والأعراف الاجتماعية لحضارة بلاد الرافدين القديمة، فلقد اعتبرها السكان القدماء جزءاً مهماً من تقاليدهم وممارساتهم الدينية وعدّوها خاصية حضارية تميّز القوم المتحضّرين عن غير المتحضّرين. ولعلّ أبلغ دلالة على ذلك ما يردّ في أحد النصوص المسمارية السومرية عن البدو من الأمورين، إذ يقرن النص بداوتهم بعيشهم في الخيام وعدم امتلاك أفرادهم للبيوت طيلة حياتهم وأكلهم للحم نيئاً وعدم توفر الفرصة لأحدهم لكي يحظى بدفن لائق⁽²⁾.

وقبل أن نعرض، من خلال مادة هذا الفصل، المراسم والشعائر الجنائزية التي مورست في حضارة بلاد الرافدين القديمة، وهي التي أشرنا إلى اتساقها مع الإطار العام لتلك الحضارة، لابد لنا من ذكر المثال المتميز الفريد الذي كشفت عنه التنقيبات الأثرية في موقع مدينة أور القديمة، أي ما عرف باسم "المقبرة الملكية" الشهيرة في أور. فهذه المقبرة اشتملت على أضرحة شهدت مراسم جنائزية ضخمة وخطيرة وتبدو مختلفة عما مورس في مدافن بلاد الرافدين القديمة الأخرى. ومن الواضح أن مراسم الدفن التي مورست في "المقبرة الملكية" في أور في الألف الثالث قبل الميلاد، ومن ضمنها التضحية البشرية، لم تتكرر في جميع العصور التاريخية اللاحقة. ولذلك فإننا نبتدئ هذا الفصل بدراسة موضوع هذه المقبرة لتوضيح المراسم الجنائزية التي أنجزت فيها محاولين تقديم التفسير المقبول لطبيعة تلك المراسم.

"المقبرة الملكية" في أور

تكررت الإشارة في الفصل الأول من هذا الكتاب إلى القبور المكتشفة في أور من عصور مختلفة بدءاً من دور العبيد وامتداداً إلى عصر فجر السلالات والعصر الأكدي وعصر سلالة أور الثالثة. ولكن ما يعنينا في هذا الموضع من البحث هو "المقبرة الملكية" التي كشفت عنها تنقيبات ليونارد وولي Leonard Woolley في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من القرن العشرين. وكان وولي قد حدد تاريخ هذه المقبرة، حين اكتشافها، في ما بين 3500 و3200 قبل الميلاد⁽³⁾ وذلك استناداً للتخمينات القديمة لأدوار حضارة بلاد الرافدين. أما في الوقت الحاضر فإن التاريخ الذي يُقدَّر للمقبرة الملكية هو في حدود القرنين السادس والعشرين والخامس والعشرين قبل الميلاد (2600-2400 ق.م) وذلك في عصر فجر السلالات الثالث، وقد انتهى استعمالها قبل قيام سلالة أور الأولى التي أسسها الملك ميس-آنييذا، وسنعود لمناقشة ذلك لاحقاً. لقد أطلق المنقب اسم "المقبرة الملكية" على هذه المقبرة على افتراض أن ما لا يقل عن ستة عشر ضريحاً فيها كانت مخصصةً لدفن أشخاص لهم صفة الملوك، على الرغم من أنه لم يقترن اسم أي ملك ممن ذكروا في "أثبات الملوك السومرية" بهذه الأضرحة. و"أثبات الملوك السومرية" هي قوائم أسماء الملوك القدامى المدونة باللغة السومرية.

ومن أجل التعرف على طبيعة المراسم الجنائزية التي مورست في أثناء الدفن في المقبرة الملكية وتقدم التفسير المقبول لها، يجدر بنا تقديم عرض ملخص لأهم القبور المكتشفة في هذه المقبرة، وهي ستة قبور نشير إليها هنا بالأرقام التي وضعت لها من قبل المنقب حين اكتشافها:

أولاً- القبر رقم (1054): قبر مسقف بقبو معقود من الحجر عُثر فيه على كمية من الرماد وقدر فخارية مهشمة وعظام حيوانات مختلفة. وأمام الباب

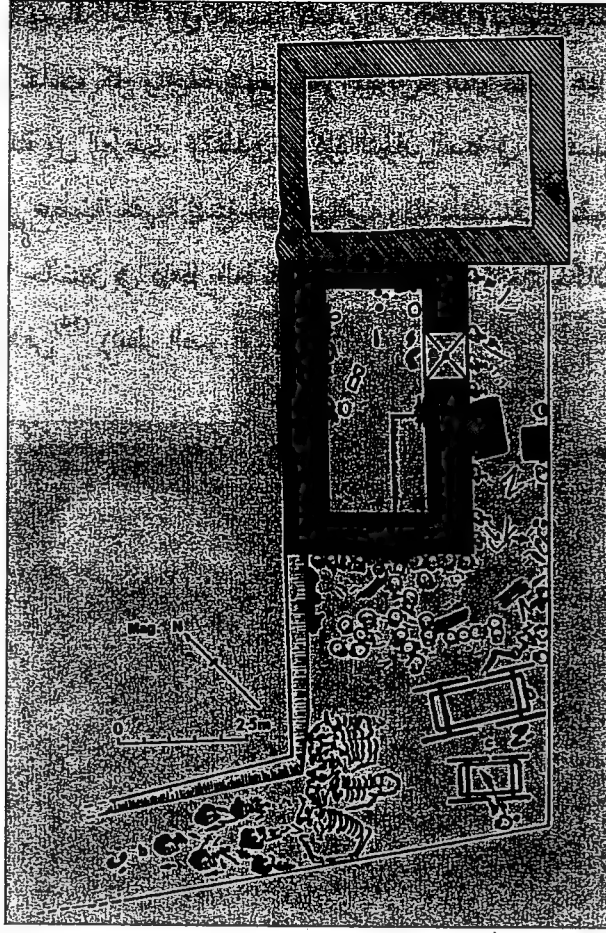
الحجري للضريح وُجدت هياكل ثلاثة خراف. عُثر في داخل الضريح على خمسة هياكل عظمية بشرية أربعة منها لرجال يبدو أنهم من الخدم، بدليل عدم وجود شيء ثمين بقربهم، والخامس لامرأة يُرجَّح أنها ملكة أو أميرة، ذلك أنه وُجد على جمجمتها غطاءً رأسٍ ذهبي وعلى صدرها دبوسٌ ذهبي من الواضح أنه استخدم لتثبيت ملابسها، وبالقرب من عظام اليد وجد قدح ذهبي مزين بجوز. وعُثر بجانب هذا الهيكل على ختم أسطواني من الذهب⁽⁴⁾ يحمل اسم "ميس-كلام-دك" مقترباً بلقب "لو؟ال"، أي الملك⁽⁵⁾. ومما يجدر ذكره عن هذا القبر أنه عُثر فيه على منفذٍ خاص تُسكب منه السوائل إلى القبر في أثناء إقامة الشعائر الجنائزية⁽⁶⁾، وهذا ما يذكرنا بالفتحة الموجودة في القبر الذي اكتشفه المؤلف في تل السيب (موقع مدينة ميتورناة القديمة) في منطقة دبالى ويعود تاريخه إلى العصر البابلي القديم، وقد سبق الحديث عنه في الفصل السابق من الكتاب.

ثانياً- القبر رقم (775): يعود إلى الملك "ميس-كلام-دك" الذي نُقش اسمه على قدحين ومسرحة من الذهب عثر عليها في داخل القبر. ولهذا القبر أرضية مستوية وُضع عليها تابوتٌ خشبي ضَمَّ جثمان الملك الذي مُدّد على جنبه الأيمن وهو يرتدي خوذة من الذهب المطروق صُوِّرَ عليها شكل لمة الشعر بهيئة حوزوز وصُوِّرَت العصاة التي يُلف بها الشعر بهيئة شريط بارز على الخوذة تتدلى عقدته من الخلف على العنق، وصُوِّرَت الأذنان بشكل دائري. وقد وُجدت آثار حزام فضي عريض حول الخصر عُلق فيه خنجرٌ ذهبي ومشحذٌ من اللازورد مثبت على حلقة ذهبية. وأمام الخصر تكدست العشرات من الخرز اللازوردية والذهبية. ووجد بين اليدين قدحان ذهبيان ثقيلان. وعُثر بالقرب من المرفق على مسرحة ذهبية لها شكل الصدف. وكما سبقت الإشارة نُقش اسم ميس-كلام-دك على هذين القدحين والمسرحة بدون لقب "ملك". وعثر كذلك على فأسين من الألكترولوم (مزيج الذهب

والفضة) بالقرب من الكتف الأيسر للملك فضلاً على كميات مختلفة من الحلي والأدوات الشخصية تشتمل على عقود من الخرز الذهبية واللازوردية وأقراط وأساور من الذهب والفضة وتعويذتين، إحداها بمهية ثور من الذهب والأخرى من اللازورد بمهية عجل جالس على الأرض، وكذلك مسرجتين فضيتين لهما أشكال صدفية ودبوس ذهبي له رأس من اللازورد. أما خارج التابوت فقد وجدت مواد أخرى من أهمها قلدح ذهبي محرز وحوالي خمسين كوباً وقدحاً من الفضة والنحاس فضلاً على عدد كبير من الأسلحة التي تشمل رماحاً لها رؤوس من الذهب وخناجر لها مقابض مزينة بالذهب والفضة، ورماحاً نحاسية وفؤوساً متنوعة ومجموعة من الحراب لها رؤوس صوانية مثلثة⁽⁷⁾. ومما يجدر ذكره أخيراً عن هذا القبر أنه لم يُعثر فيه على أي دليل على التضحية البشرية، إذ لم يدفن فيه سوى الملك⁽⁸⁾.

ثالثاً- القبر رقم (1050): يعود إلى "آ-كلام-دك" بن "ميس-كلام-دك". ضمَّ القبر أربعين هيكلاً عظيماً بشرياً يُفترض أنها تعود إلى أعضاء الحاشية. وقد احتوى هذا القبر على أثاث جنائزي نفيس، ووجد فيه ختم أسطواني من حجر اللازورد نُقش عليه اسم "آ-كلام-دك" ولقبه بصفته ملكاً على أور⁽⁹⁾.

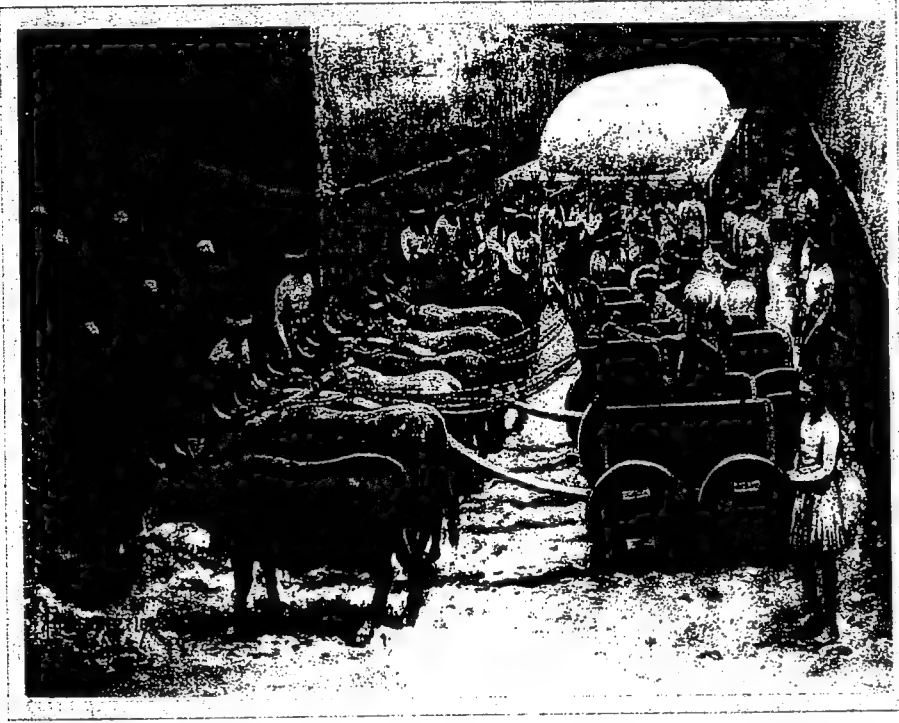
رابعاً- القبر رقم (789): نسب ليونارد وولي هذا القبر إلى الملك "آ-بار-؟"⁽¹⁰⁾. وهذا القبر يتكون من قسمين (انظر الشكل رقم 34)، القسم الأول هو غرفة الضريح ذات السقف المعقود في الزاوية الشمالية من القبر، وكانت مخصصة لدفن الملك وقد عُثر فيها على بقايا متفرقة لهياكل عظمية تغود لثلاثة أشخاص⁽¹¹⁾. ويبدو أن هذه الغرفة تعرضت للنهب في العصور القديمة عن طريق النزول من سقفها وكان موضع جثة الملك فيها حالياً وكذلك معظم الأثاث الجنائزي الثمين الذي كان في داخلها. أما القسم الثاني فيشمل المساحة الموجودة في خارج غرفة الضريح وتتصل بمنحدر المدخل الكائن في الزاوية الغربية منها. وهذا القسم له شكل



الشكل رقم -34-: رسم تخطيطي للقبر رقم (789) في "المقبرة الملكية" في أور.

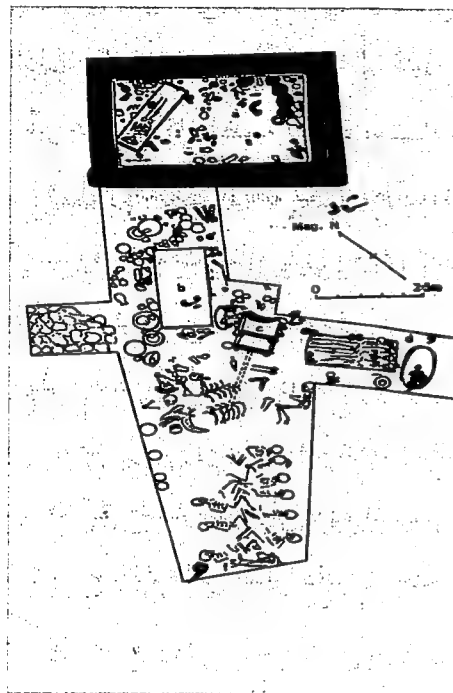
حفرة كبيرة ردمت بالتراب، وقد عُثر فيها على بقايا (62) هيكلًا عظيمًا⁽¹²⁾ من بينها هياكل ستة جنود وتسع نساء⁽¹³⁾. وكانت هياكل النساء بموازاة الجدار الأمامي لغرفة الضريح حيث يُوجد مدخل الغرفة. وأمام الغرفة تكدّست هياكل الجنود، مع أسلحتهم ورماحهم الطويلة، والموسيقين مع آلاتهم الموسيقية، وقد دُفن الجميع

ملايسهم وزيتهم الكاملة. وفي القسم الأمامي من الحفرة، مقابل المدخل عُثر على
حطام عربتين كانت كل واحدة منهما تُجرّ بثلاثة ثيران وجدت هياكلها العظمية
أمام كل واحدة من العربتين. وتتقدم هياكل الثيران الستة في المنحدر المفضي إلى
الحفرة، هياكل عظمية بشرية لستة من الحراس. وقد دلّت التنقيبات على أن
الحوذين كانوا جالسين في داخل العربتين وأن السائسين كانوا يمسكان بأزمة الحيوانات
الستة لحظة الدفن⁽¹⁴⁾ (انظر الصورة رقم -21-).



الصورة رقم -21-: صورة للوحة زيتية قام برسمها الفنان أ. فورستير A.Forestier عام 1928م وفيها مشهد متخيل للقبر رقم (789) في اللحظات الأخيرة قبل ردم حفرة القبر استناداً لما كشفت عنه التنقيبات الأثرية في هذا القبر.

خامساً-القبر رقم (800): كان هذا القبر مجاوراً للقبر رقم (789) ويشابهه في مخططه العام، إذ يتألف أيضاً من غرفة الضريح في طرف حفرة الدفن الكبيرة التي ضمت الضحايا البشرية. خُصص هذا القبر لدفن الملكة "بو-آبي" (وكان اسمها يُقرأ سابقاً بصيغة شعباد)، وقد عُثر على هيكلها العظمي في غرفة الضريح (انظر الشكل رقم-35-) ممدداً على بقايا محفة خشبية ويدها قدح ذهبي. وكان



الشكل رقم -35-: رسم تخطيطي للقبر رقم (800) في "المقبرة الملكية" في أور

الجزء الأعلى من هيكل الملكة مغطى بأكداس من خرز الذهب والفضة واللازورد والأحجار الكريمة والعقيق التي كانت منتظمة في خيوط طويلة معلقة من الياقة بشكل عباءة تصل إلى الخصر وتنتهي بشريط عريض من الخرز الأنبوية اللازوردية والذهبية. وعُثر بالقرب من الذراع اليمنى على ثلاثة دبائيس ذهبية طويلة تنتهي

برؤوس لازوردية وثلاثة تعاويذ لكل واحدة منها شكل السمكة وقد صُنعت اثنتان منها من الذهب والثالثة من اللازورد فضلاً على تعاويذة أو حلّة ذهبية أخرى بشكل طبيّتين جالستين⁽¹⁵⁾. وقد بلغ مجموع القطع التي تألفت منها التجهيزات الجنائزية في غرفة الضريح فقط (267) قطعة. وكذلك ضمت غرفة الضريح ثلاثة هياكل عظمية بشرية أخرى مُدد أحدها عند رأس المحفة الخشبية التي حملت جثة الملكة، والثاني عند الطرف الآخر من المحفة، والهيكل الثالث على مقربة منها⁽¹⁶⁾.

وفي الحفرة الخارجية للقبر عُثر على هياكل عظمية لعشرة نساء مرتبة في صفّين عند الطرف الجنوبي-الغربي، وفي آخر الصفّين توجد قيثارة مطعّمة بالأصداف ومزينة برأس ثور من اللازورد والذهب وقد امتدت عظام يدي إحدى النساء من خلال حطام القيثارة⁽¹⁷⁾. وفي وسط الحفرة توجد بقايا صندوق كبير يبدو أن محتوياته سُرقَت في وقت قريب من وقت الدفن أو أنه دُفِن فارغاً. وبالقرب من هذا الصندوق يُوجد حُطام عربية كانت مربوطة إلى ثورين وُجد هيكلاهما العظيميان في موضعهما. وإلى جانب العربية صُفّت هياكل خمسة جنود من جهة الممر المنحدر الذي كان يؤدي إلى الحفرة. وكان مجموع الأشخاص الذين دُفِنوا في هذا القبر، من الوصيفات والأتباع، (25) شخصاً⁽¹⁸⁾.

سادساً-القبر رقم (1237): احتوى هذا القبر، الذي لم يُعرف اسم صاحبه، على أكبر عدد من الهياكل العظمية البشرية بالمقارنة مع القبور الأخرى، فقد عُثر فيه على بقايا (74) هيكلًا عظمياً منها (68) هيكلًا لنساء⁽¹⁹⁾. ومن بين الهياكل العظمية توجد ستة هياكل لجنود كانوا متكئين على الجدار وهم يحملون السكاكين والفؤوس وقد وضع أمامهم قدر نحاسي كبير. وهناك أربعة هياكل عظمية لنساء وضعت أمام كلٍ منهن قيثارة. ويلاحظ أن مجموعة كبيرة من الحلي كانت مع النسوة المدفونات في هذا القبر، ومن الواضح أن تلك الحلي كانت تزين الثياب البهيّة التي كن يرتدينها

لحظة الدفن. وكانت جدران القبر مغلقة من الداخل بالملاط، وبعض أجزائها غُلِّفت بالحُصُر⁽²⁰⁾.

وبعد أن اطلعنا، من خلال ما تقدم، على الصورة التي بدت عليها أهم القبور في "المقبرة الملكية" نأتي هنا على محاولة تحديد تاريخ هذه المقبرة وتفسير طبيعة المراسم والشعائر التي تَمَّت فيها عند الدفن وصلة ذلك بالعقائد الدينية الخاصة بالموت والحياة الأخرى في حضارة بلاد الرافدين القديمة.

تاريخ "المقبرة الملكية" وتفسير مراسمها

لقد واجهت محاولة تحديد تاريخ "المقبرة الملكية" في أور صعوبة تتمثل في أن أسماء الشخصيات الملكية التي دُفنت في أضرحتها، وعُرفت أسمائها، لم ترد في أثبتت الملوك السومرية التي تَصُمِّت أسماء الملوك والأمراء في جنوب بلاد الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد. ولكن ليونارد وولي، مُكتشف "المقبرة الملكية"، ذكر أنه اكتشف عدة طبعات لأختام تحمل اسم "ميس-آنييدا" في الأنتقاض المتراكمة فوق "المقبرة الملكية" في أور⁽²¹⁾. وبحسب أثبات الملوك السومرية فإن "ميس-آنييدا" هو مؤسس سلالة أور الأولى، ومن المحتمل أن يكون قد حكم في مدينة أور في حوالي 2600 ق.م وأنه عاصر في أواخر أيامه جلجامش، ملك أوروك. فإذا كان الملوك المدفونون في المقبرة الملكية سبقوا "ميس-آنييدا"، وفقاً لما ذهب إليه وولي، فإنهم يكونون قد دُفِنوا قبل عام 2600 ق.م. أما إذا أخذنا الدليل الأثري الذي تنم عنه صناعة المواد المكتشفة في "المقبرة الملكية" فإن تاريخ الدفن قد يتقدم إلى ما بعد عام 2500 ق.م، وعلى وجه التحديد إلى الدور الثالث من عصر فجر السلالات⁽²²⁾. وبشكل عام فإن القرن السادس والعشرين قبل الميلاد هو التاريخ الأكثر احتمالاً للمقبرة الملكية حين توفر دليل قاطع على ذلك.

واختلفت آراء الباحثين حول تفسير المراسم التي أُتُبعت في "المقبرة الملكية" في أور وحول تحديد الغاية من التضحية بتلك الأعداد من البشر الذين دُفِنوا في قبورها بشكل جماعي. وقد برز تفسيران لذلك وحظي كل تفسير بتأييد فريق من الباحثين. التفسير الأول قدمه ليونارد وولي، مُكتشف المقبرة، ويتلخص في أن ما حدث في تلك المقبرة كان مراسم دفن تقضي بالتضحية بأتباع الملك، أو الملكة، وحاشيتهما ودفنهم مع أي منهما حين وفاته وذلك حتى ينزلوا معه إلى العالم السفلي ليستمروا في خدمته هناك مثلما خدموه في حياته⁽²³⁾. أما الطريقة التي كلنت تتمّ بها هذه التضحية فيوجزها وولي في أنه بعد أن تنزل جثة الملك، أو الملكة، إلى الضريح ينزل معه أتباعه وحاشيته ويستقرون على الأرض أو على مقاعد مثبّطة بالجدران، وبعد أن يقتلوا الحيوانات الموجودة معهم في القبر يبدؤون بتناول السمّ من قدرٍ مليء به، مثل القدر الذي عُثر عليه في القبر رقم (1237). وفي تلك الأثناء يكون الموسيقيون مستغرقين بالعزف على القيثارات، ومن المحتمل أن تكون هنالك ترانيم جنازية خاصة يرددها المضحّي بهم. وحين يسري مفعول السمّ بأجسامهم يضطجعون كلٌّ في مكانه ثم يدخل أحد الأشخاص ويرتب الجثث ومحتويات القبر ويخرج لتبدأ عملية ردم الحفرة بمراحل في احتفال ديني خاص بالمناسبة⁽²⁴⁾.

أما التفسير الثاني فيعتمد على رأي قدمه أنطون مورتكات A. Moortgat⁽²⁵⁾ يرجح فيه اعتبار التضحية البشرية التي مورست في "المقبرة الملكية" في أور جزءاً من الاحتفالات الخاصة بالزواج المقدس (Hieros Gamos) الذي يُعتقد أنّه كان يجري سنوياً ويقوم الملك فيه بدور الإله دموزي (عموز) في حين تقوم الكاهنة العليا أو الملكة بدور الآلهة إنانا (عشتار). ويذهب مورتكات إلى افتراض غريب يقول أن كلاً من الملك والكاهنة العليا، أو الملكة، كانا يُسقيان السمّ بعد الانتهاء من مراسم الزواج المقدس، وكذلك يُسقى أتباعهما المرافقون لهما السمّ، ويُدفن

الجميع في احتفال ديني. ثم أن جسد الملك يخرج من سقف الضريح بينما يبقى جسد القرينة في ذلك الزواج الشعائري في قبرها. لقد بات رأي أنطون مورتكات، المستند على الافتراض فقط، غير مقبول وكذلك تفسيره لشعائر التضحية البشرية في "المقبرة الملكية" في أور باعتبارها جزءاً من شعائر "الزواج المقدس". وقد سبق لمؤلف هذا الكتاب أن أثبت، من خلال عدة بحوث منشورة⁽²⁶⁾، عدم وجود شعائر ما يسمى بالزواج المقدس في بلاد الرافدين القديمة وإنما هي شعائر خاصة بالحضارة الإغريقية القديمة ومعتقداتها الدينية. إن ما افترضه مورتكات عن كون ما جرى في "المقبرة الملكية" في أور تقليداً لزواج الإلهين دموزي (تموز) وإنانا (عشتار) لضمان خصب الطبيعة يَطل إذا ما عرفنا أن دموزي لم يكن إلهاً للخصب في عقائد بلاد الرافدين القديمة، وإنما من آلهة العالم السفلي، وإن إنانا لم تكن "الإلهة-الأم" في تلك العقائد التي أسندت هذا الدور إلى الإلهة ننخرساك (ننتو)، إحدى الآلهة الخالقة الأربعة في ديانة بلاد الرافدين القديمة. إننا حتى لو تجاوزنا هذه المعطيات الجديدة في دراسة المعتقدات الدينية في حضارة بلاد الرافدين القديمة لوجدنا نقاط ضعف وتناقض أساسية في فرضية أنطون مورتكات تجعلنا نرفض تفسيره للمراسم التي تضمنت القيام بالتضحية البشرية في "المقبرة الملكية" في أور. وتتمثل نقاط الضعف الأساسية هذه في ما يأتي:

1- إن شعائر "الزواج المقدس" التي افترض إقامتها سنوياً ما كان مقدراً لها أن تتم في المقابر وإنما في المعابد وإن خاتمتهما، إن صح حدوثها، كانت ينبغي أن تكون مكللة بالفرح والابتهاج وليس بمراسم دفن وتضحية بشرية لا تقتصر على العروسين المفترضين وإنما تشمل أفراداً من الحاشية الملكية والمحاربين والموسيقيين وغيرهم. ولو صحَّ تفسير مورتكات لكان علينا أن نتوقع تكرار مشهد التضحية البشرية سنوياً. وبالتالي وجود عدد كبير من القبور خلال عهد حكم سلالة واحدة

أو حتى ملك واحد، وليس مشهداً لا يحدث سوى عند وفاة الملك أو الملكة كما هو حاصل فعلاً في "المقبرة الملكية" في أور.

2- إن التفسير القائل بكون التضحية البشرية جزءاً من شعائر "الزواج المقدس" التي يشارك فيها عروسان يُهمل حقيقة واضحة جداً وهي أن القبور الملكية التي شهدت ممارسة التضحية البشرية كانت أضرحةً منفردةً تضمُّ في داخلها جثمان ملك أو ملكة دُفن كل منهما مع حاشيته وحراسه. في حين أنه يُفترض أن تكون القبور ثنائية الملك وملكة معاً. وحتى في حالة القبرين المتجاورين (789) و(800)، اللذين استند إليهما مورتكات في بناء افتراضه، فقد دلت التنقيبات الأثرية على أنهما لم يشيدا في وقت واحد وإنما كان قبر الملكة متأخراً في زمن بنائه عن زمن بناء قبر الملك⁽²⁷⁾. وبحسب تفسير وولي، الذي اكتشف كلا القبرين، كان الملك هو الذي مات أولاً ودُفن في ضريحه وأن الملكة ربما رغبت في أن تُدفن، حين وفاتها، في قبر قريب من قبره، وتنفيذاً لرغبتها دُفنت في القبر رقم (800) بجوار قبر زوجها (أي القبر رقم 789)⁽²⁸⁾.

3- وبخصوص ما يذكره مورتكات عن عدم العثور على هيكل الملك في القبر (789) على الرغم من عدم تعرض القبر للسرقة واستبعاده أن يكون اللصوص قد أخرجوه، فينبغي أن نشير إلى أن هذه الحالة لم تتكرر في الأضرحة الملكية السليمة الأخرى التي عرضناها آنفاً، إذ كانت هياكل الملوك الآخرين باقيةً في أماكنها ولم تخرج. أما السبب في عدم العثور على هيكل الملك في القبر (789) فيمكن أن يُعزى إلى تعرض غرفة الضريح تلك إلى اختراق من سقفها أدى إلى تعرض محتوياتها للنهب قديماً والعبث بهيكل الملك وأي هياكل يُحتمل وجودها في الضريح نفسه. ولكن الأشخاص الذين اخترقوا سقف غرفة الضريح لم يستطيعوا التوصل إلى اكتشاف حفرة الدفن في خارج تلك الغرفة.

4- ثم أن الدليل الحاسم على ممارسة التضحية البشرية عند موت الملك في بلاد الرافدين القديمة، في زمن مقارب من زمن "المقبرة الملكية" في أور جاءنا من النصوص المسمارية وازداد وضوحاً في السنين الأخيرة لينفي نهائياً صحة التفسير الذي قدمه مورتيكات وربط فيه بين التضحية البشرية في تلك المقبرة وشعائر الزواج المقدس. فالدليل الكتابي الذي جاءنا من خلال النص السومري الذي يدور موضوعه حول "موت جلجامش" يُبين بوضوح أن التضحية البشرية مورست بهدف إرسال حاشية الملك وأتباعه المقربين معه إلى العالم السفلي ليواصلوا خدمتهم له، وأن هذه التضحية كانت تتم عند وفاة الملك ودفنه. وأصبحنا نعلم، من خلال هذا النص، أن تضحية بشرية مشابهة لما حدث في "المقبرة الملكية" في أور قد مورست عند وفاة جلجامش، ملك أوروك وبطل الملحمة الشهيرة. وبسبب أهمية هذا النص والإضافات التي ألحقت به، نتيجة للاكتشافات الأثرية، وصلته الوثيقة بموضوع هذا الكتاب فقد أفردنا له موضعاً خاصاً في هذا الفصل.

وقبل أن نأتي على موضوع نص "موت جلجامش"، وما يمكن أن يُلقيه من ضوء على مراسم الدفن والتضحية البشرية، المتبعة عند موت الملوك لحقبة قصيرة من تاريخ بلاد الرافدين القديمة، نورد هنا ذكر الحالات التي قد تكون شهدت مراسم مماثلة ولكن أعمال النهب في العصور القديمة أزال ما كان يفترض أن يصلنا من أدلة. إن أولى الأمثلة التي نوردها هنا المقبرة التي رمز لها بالحرف Y في موقع مدينة كيش القديمة⁽²⁹⁾ (تلول النغرة حالياً). ويعود تاريخ هذه المقبرة إلى عصر فجر السلالات الثاني، وقد عُثر في بعض قبورها على أجزاء من عربات وأدوات معدنية مهمة من بينها خنجر دقيق الصنع⁽³⁰⁾. ويرجح بعض الباحثين ممارسة التضحية البشرية في ثلاثة أضرحة كبيرة اكتُشفت فارغة من محتوياتها تحت معبد عشتار في مدينة ماري⁽³¹⁾ (تل الحريري في سورية حالياً) وكذلك في بعض الأضرحة المعقودة

بالآجر تحت معبد عشتار في نينوى (تل قوينجق)، وربما كانت هذه الأضرحة خاصة ببعض الملوك المحليين القدامى وقد تعرضت للنهب في العصور القديمة⁽³²⁾. والآن نلّقي على عرض موضوع نص "موت جلعامش" والدليل الكتابي الذي يقدمه على ممارسة التضحية البشرية.

موت جلعامش ومراسم دفنه

قبل أكثر من ربع قرن أشار المؤلف إلى النص المدون باللغة السومرية والمعنون "موت جلعامش" وذلك في معرض الإشارة إلى دلالاته على ممارسة التضحية البشرية عند موت جلعامش⁽³³⁾. وكانت تلك الإشارة تستند إلى ما نشره قبل ذلك صموئيل نوح كريم⁽³⁴⁾ عن النص والترجمة التي قدّمها لما تبقى من أسطره التي وُجدت على ثلاثة ألواح عُثر عليها في موقع مدينة نمر القديمة في جنوب العراق. ويعود تاريخ تلك الألواح إلى النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد. وعلى الرغم من الجهد الذي بذله كريم في إعادة تكوين النص من السطور الموجودة على الألواح الثلاثة لم تنهياً في حينه سوى ترجمة مجزأة لمقطعين لا يمكن تقدير حجم الخرم الذي أزال السطور التي كانت تربط فيما بينهما. واستناداً إلى الترجمة المتقطعة التي قدمها كريم آنذاك أمكن تلخيص محتويات سطور المقطعين على النحو الآتي:

المقطع الأول: يتدئ بجملة غامضة يبلغ جلعامش بعدها بأنه ينبغي أن لا يتعلق بأمل الخلود في الحياة إذ أن الإله أنليل لم يقرر له ذلك. ثم يشير النص، بأسلوب شعري، إلى وفاة جلعامش. وينتهي المقطع بوصف الحزن الذي سببه موته. المقطع الثاني: يشتمل على 43 سطراً من النص، ويتدئ بذكر أفراد عائلة جلعامش وأتباعه الذين دُفِنوا معه، ثم يرد ذكر الهدايا التي قدمها جلعامش، نيابة

عن الذين دُفِنوا معه، إلى آلهة العالم السفلي وإلى بعض الموتى المهمين فيه مثل كبار الكهّان والكاهنات المتوفّين.

وفي عام 1979م كان المؤلّف يقوم بأعمال التنقيب الآثاري في حوض سد حميرين في منطقة ديالى في شرقي العراق. وفي حينها كانت تلك التنقيبات قد نجحت في الكشف عن مدينة ميتورنات (Mt urnat) القديمة التي ضمت بقاياها تلّول السيب وحداد. وقد أثمرت التنقيبات في هذا الموقع عن اكتشافات مهمة جداً من بينها أعداد كبيرة من النصوص المسمارية التي تعود إلى العصر البابلي القديم والعصور اللاحقة. ومن بين ألواح العصر البابلي القديم اكتُشفت نسخ بحالة جيدة من النص السومري "موت جلجامش". وقد اهتمك اثنان من علماء المسماريات بدراسة ألواح هذا النص المكتشفة في تل حداد. وتمكن هذان الباحثان من إنجاز ترجمة النص في عام 1997م⁽³⁵⁾، ونشرت ترجمته الإنجليزية من قبل عالم المسماريات أندرو جورج في عام 1999م⁽³⁶⁾. وكان قد اتّضح خلال السنوات الأولى من العمل على هذه الأواح أنّها تحمل نسخة من نص "موت جلجامش" تكملّ النسخة المشوّهة التي اكتُشفت سلباً في ألواح نمر.

ونظراً لأهمية هذا النص بالنسبة لموضوع التضحية البشرية، ومراسم الموت وشعائره في بلاد الرافدين القديمة عموماً، نقدم هنا عرضاً ملخّصاً للرواية التي يتضمنها مع ترجمة كاملة للنص بشكله الجديد:

ملخص الرواية: يبدأ النص بمرثية على جلجامش المحتضّر الذي وقع بقبضة نمنار، رسول الموت المكلف بقبض الأرواح. ويُصوّر جلجامش وهو طريح الفراش وفي حالة هذيان. ويوحى إليه نوديمود (انكي) برؤيا لجلجامش يرى نفسه فيها في اجتماعٍ لجميع الآلهة، وكان موضوع النقاش في ذلك الاجتماع مصير جلجامش نفسه. يستعرض الآلهة في اجتماعهم السيرة البطولية لجلجامش وما قام به في "غابة

الأرز" وكذلك رحلته إلى أقاصي العالم وأخذه للمعرفة القديمة من زيوسدرا (أوتا-نبشة، أو نوح البابلي). وكان السؤال المطروح أمام الآلهة هو أن جلجامش، على الرغم من كونه بشراً، ابنٌ لإلهة وبالتالي هل يكون من الخالدين أم من الفانين؟ ويبدو أن الجواب الذي توصلوا إليه هو ما اقترحه الإله انكي حول عدم تكرار السابقة الوحيدة التي حصل فيها بشر على الخلود، وهي سابقة زيوسدرا، بطل قصة الطوفان، وذلك لأنها سابقة فريدة حدثت في ظرف خاص لن يتكرر وهو الطوفان. وهكذا يتوجب على جلجامش أن يتعرض للموت وينزل إلى العالم السفلي مثل بقية البشر. ولكن موته هذا لن يكون بدون امتياز خاص يميّزه، إذ يُتَّفَق على أن يكون له مركز خاص في العالم السفلي ويكون حاكماً في عالم الأرواح مثلما يكون الإلهان ننحشزيذا ودموزي، وهما من أعضاء مجمع آلهة العالم السفلي المقيمة فيه. ولا يكفي الآلهة هذا وإنما يقررون لجلجامش خلود الذكر في عالم الأحياء عن طريق إحياء ذكره في "عيد المشاعل" السنوي الذي يتصارع فيه الشباب مع بعضهم، وكان يُقام في الشهر الخامس من السنة البابلية، وهو شهر آب، وتحدث المصارعة في اليوم التاسع منه ويطابق الموعد السنوي للشعائر الجنائزية وسنأتي في الحديث عنه لاحقاً. ثم يظهر الإله أنليل ليوجز قرار الآلهة الذي يقضي بأن جلجامش، حتى وإن كان قد وُلد ليكون ملكاً، لا يمكن أن يتجنب المصير المحتوم على البشر جميعاً، ولكن لا ينبغي أن يكون قانطاً. ذلك أنه سيكون ثانية مع عائلته وصديقه أنكيدو في العالم السفلي وسيحظى بمكانة أحد الآلهة الصغرى في ذلك العالم.

يصحو جلجامش مذهولاً ممّا رآه. ويلي ذلك خرم في النص ولكن يبدو أن السطور المخرومة تتحدث عن طلب جلجامش للمشورة وتفسير تلك الرؤيا. يتلقّى جلجامش إجابةً من مستشاريه يخبرونه فيها أنه لا ينبغي أن يشعر بالحزن، فالموت محتوم على الملوك، وإنما ينبغي على جلجامش أن يشعر بالسعادة للمركز المرموق

الذي سيحتله بعد موته. وبعد انخرام في النص يبدو جلعامش، يدفع من الإله انكي، قد وجه أوامره لبناء ضريحه. ويُفهم من السطور المشوهة في هذا الموضع من النص أن انكي بعث بإيجائه إلى جلعامش بواسطة كلب وفيه إرشاد لجلعامش عن الموضع المناسب للضريح بحيث لا يمكن أن تُنتهك حرمة مستقبلًا. وهكذا، بوحى من حكمة انكي، يوجه جلعامش أتباعه إلى تحويل مجرى نهر الفرات وتشيد الضريح في قاع النهر بالحجر. وتأخذ زوجات جلعامش وحاشيته أماكنهم في الضريح لمصاحبة الملك في رحلته الأخيرة إلى العالم السفلي. وتدخل أيضاً إلى الضريح الهدايا والقربان التي سيقدمها جلعامش إلى إيرش-كيجال، ملكة العالم السفلي، وأتباعها من آلهة ذلك العالم. وأخيراً يضطجع جلعامش في الضريح الذي يُغلق مدخله بحجر ضخّم شكّل لذلك الغرض. ويُعاد نهر الفرات إلى مجراه ليغمر الضريح ويُخفي موضعه إلى الأبد، ويدخل أهل أوروك في حداد على ملكهم. ويُختتم النص بتمجيد جلعامش "الأعظم بين الملوك" وبعبارات توجيحية تلقي ضوءاً على مفهوم الموت في فكر حضارة بلاد الرافدين القديمة. وهذه العبارات تشير إلى أن البشر الماضين والموجودين، يستمرون في العيش بعد موتهم في ذاكرة الأحياء وذلك بطريقتين، الأولى من خلال وضع التماثيل النذرية في المعابد لضمان الذكر المستمر للمتوفى. والطريقة الثانية من خلال التدبير الإلهي بتكوين العائلات والإنجاب لضمان استمرار النسل.

وفيما يأتي ترجمة نص "موت جلعامش" من ألواح نفر وميتورناة، وقد ميّزنا السطور المترجمة من ألواح مدينة نفر بحرف النون، والسطور المترجمة من لوح مدينة ميتورناة بحرف الميم:

"الثور الوحشي العظيم رقد ولن يقوم ثانية

السيد جلجامش رقد ولن يقوم ثانية

المتمكن في التزال رقد ولن يقوم ثانية

المحارب المتحزم بحزام الكتف رقد ولن يقوم ثانية

م 5: المتمكن في الصراع رقد ولن يقوم ثانية

ساحق الأشرار رقد ولن يقوم ثانية

المتفوه بالحكمة رقد ولن يقوم ثانية

الساھر على البلاد رقد ولن يقوم ثانية

مرتقي الجبال رقد ولن يقوم ثانية

م 10: سيد كلاب⁽³⁷⁾ رقد ولن يقوم ثانية

إنه راقد على فراش موته ولن يقوم ثانية

إنه راقد على فراش البلية ولن يقوم ثانية

إنه لا يقو على الوقوف ولا على الجلوس، لكنه قادر على الأنين

إنه لا يستطيع الأكل ولا يستطيع الشرب، لكنه قادر على الأنين

م 15: مشبك غمتار⁽³⁸⁾ يمسك به فلا يقوى على النهوض

مثل... سمكة... في بركة ماء عالقة [بشبكة]

مثل غزال في شرك هو أسير في مرقد

غمتار الذي لا أيدي له ولا أرجل، الذي [يخطف] الإنسان ليلاً

م 19: غمتار الذي يقبر... [أمسك بالسيد جلجامش]

* * *

لسته أيام رقد مريضاً ...

ن² الوجه 5: [انساب العرق] من جسده كالشحم المذاب

السيد جلجامش [رقد] مريضاً ...

أوروك وكلاب

كلمة البلاد

م 45: ثم إن السيد الفتي [جلجامش] ...

ن² الوجه 10: [حين رقد] على فراش المنية ...

.... في المنام [تمثلت له رؤيا]

في تلك الرؤيا [فتح] الإله [نوديمود عينيه:]

في المجمع، موضع شعائر [الآلهة]

م 50: [السيد] جلجامش اقترب

قالوا له، للسيد [جلجامش، عن قضيته]

'هذه قضيتك، يا من سافرت على كل درب وعلى الطرق جميعها

وأحضرت ذلك الأرز الفريد من جبله

وضربت خواوا⁽³⁹⁾ في غابته

م 55: يا من أقمت النُصُب [شواهد] لأيام المستقبل

وأسست المعابد للآلهة

بلغت زيوسدرا في مقامه

طقوس البلاد، المنسية منذ الأيام الخوالي

الشعائر والتقاليد، أنت أعدتها للبلاد

م 60: طقوس غسل اليد وغسل الفم أنت الذي نظمها

[بعد] الطوفان أنت الذي علمت جميع واجبات البلاد...

م 66: ' [الآن يا جلعامش] أنت جُلِبْتَ إلى هنا من أجل ... '

ابلغوا [رغبة الإله انليل إلى الإله انكي]

رد [الإله انكي على الإلهين آنو وانليل]:

' [في تلك الأيام]، في تلك الأيام الخوالي

م 70: [في تلك الليالي]، في تلك الليالي البعيدة

[في تلك السنين]، في تلك السنين السحيقة

بعد أن قرر [المجمع] إحداث الطوفان

لندمر نسل البشرية

بقي في وسطنا إنسان واحد حياً

م 75: زيوسدرا، أحد البشر، بقي حياً

في ذلك الحين أقسمنا بالسموات وبالأرض

في ذلك الحين أقسمنا بأن لا ينال البشر الخلود

والآن نحن ننظر إلى جلعامش هكذا:

على الرغم من (مكانة) أمه لا نستطيع أن نعامله بعطف

م 80: لكن جلعامش، ممثلاً بروحه، حين يكون ميتاً في العالم السفلي

سيكون حاكماً في العالم السفلي، زعيماً للأرواح

سيصدر الأحكام ويقرر القرارات

ما سيقوله سيكون بثقل كلمة ننجشزيذا ودموزي

م 84: ثم إن السيد الفقي، السيد جلعامش ...

" في هذا الموضع تتشوه سطور نص ميتورناة ويحدث فيه خرم كبير، وقد أمكن إعادة تكوين المقطع المشوه من النص بالاستناد إلى ما يمكن قراءته في ألواح نفر حتى الموضع الذي تعود فيه سطور نص ميتورناة إلى الوضوح ثانية":

'[إله الأحلام سِيسْج (Sissig)، ابن الإله اوتو⁽⁴⁰⁾]
[سيوفر له النور في العالم السفلي، موضع الظلمة]
[البشر، بعدد ما حملوا أسماء منهم]
[حين تنصب تماثيلهم الجنازية في قابل الأيام]
[حين يشكل المقاتلون الشبان والمتفرجون نصف دائرة حول المدخل]
[لتقام أمامها مباريات المصارعة واختباراتها]
[في شهر المشاعل، عيد الأرواح]
[سوف لن يضاء نور أمامهم بدون حضوره]'
[الجليل العظيم انليل، أبو الآلهة]
[تحدث في الرؤيا مع السيد جلعامش:]
[يا جلعامش لقد جعلت قدرك قدر الملوكية ولكنني لم أجعله قدر الحياة
الخالدة]
[للبشر، أي حياة يمكن أن تكون (مرغوبة) إلا حياة مع مرض في
القلب]
[فلا يمكن أن يكون يأس، أو فؤاد كسير (مع الحياة)]
[فهكذا يحل هلاك البشر وها أنا قد أبلغتك]
[هكذا يحل ما (تقرر) حين قطع حبلك السري وها أنا قد أبلغتك]

[وها أن اليوم الأشد ظلاماً على البشر الفانين قد أدركك]

[منفى البشر الفانين قد أدركك]

[موجة الفيضان التي لا تقاوم قد أدركتك]

[الواقعة التي لا مناص منها قد أدركتك]

[النزال الذي لا يبارى فيه قد أدركك]

[القتال الذي لا رحمة فيه قد أدركك]

[ولكن لا تنزل إلى المدينة العظيمة⁽⁴¹⁾ بقلب حانق]

[دعه يكون منبسطاً أمام الإله اوتو]

[دعه ينحلّ مثل لحاء النخلة ويتقشر مثل البصل]

م 103: [حينما يجلس آلهة] انوناكي⁽⁴²⁾ [العظام] إلى الوليمة الجنائزية، امض أنت

إلى حيث يرقد كهنة اين، حيث [يرقد كهنة لاجار]

م 105: إلى حيث يرقد كهنة لوماخ وكاهنات نن-دنجر

إلى حيث يرقدن كاهنات نن-دنجر، وحيث يرقد "الشخص الحق"

إلى حيث يرقد كهنة جودا، وحيث يرقد الكهنة متلففون بالكتان

إلى حيث يوجد أبوك وأجدادك،

أملك، أخواتك، أقاربك

م 110: صديقك الغالي، أخوك الصغير

صديقك أنكيدو الفتي، رفيقك

[هناك في "المدينة العظيمة" يقطن] الحكام والملوك

هناك [يقطن] قادة الجيوش فرادى

[هناك يقطن الضباط فرادى]

[حينما رجل في "المدينة العظيمة" ارّلي]

[الرجل ... لن]

[من بيت الأخت ستأتي الأخت إليك]

[من] بيت [القريب سيأتي القريب إليك]

معارفك [سيأتون إليك، الغالي عليك سيأتي إليك]

شبيبة مدينتك سيأتون إليك

م 120: لا تكن قانطاً، لا تكن كسير الفؤاد

والآن ستُحسب مع آلهة انوناكي

ستُحسب واحداً من الآلهة الصغرى

ستصير حاكماً في العالم السفلي

ستصدر أحكاماً، ستقرر قرارات

م 125: وسيكون لما [تقوله] ثقل [كلمة تنجشزيذا] ودموزي⁽⁴³⁾

ثم إن [السيد] الفتي، السيد جلجامش

صحاً، لقد كان [حليماً]، ارتجف، [لقد كان نوماً عميقاً]

[فرك] عينيه بيديه، وكان هناك [صمت] موحش

الرؤيا

م 130: الرؤيا

.....

[السيد جلجامش، سيد] كلاب

ن⁴ الوجه 10: بطل "الجبل الناصع"

[سيد أوروك] حداد الآلهة العظام

م 123: تشاور مع

'بحياة [الأم التي أنجبتني]، الإلهة ننسون

[وأبي الطاهر] لوجال-بندا

[والهي انكي، السيد] نوديمود

م 135: كيف يمكن أن أتصرف [برعب] وأنا بحضن الإلهة [ننسون]، الأم التي

أنجبتني؟

..... جبلاً عظيماً

فتار الذي لا أيدي له ولا أقدام، الذي [لا يعرف كيف] يستثني بشراً

..... [رأيت جلماً]

في ذلك الحلم فتح الإله نوديمود عيني'

م 140: 'في المجمع، موضع شعائر الآلهة

السيد جلعامش اقترب

قالوا له، للسيد جلعامش، عن قضيته:

" هذه قضيتك يا من سافرت على كل درب وعلى الطرق جميعها

وأحضرت ذلك الأرز الفريد من جبله

م 145: وضربت خواوا في غابته

يا من أقمت [النُصْب] (شواهد) لأيام المستقبل

وأسست المعابد للآلهة

بلغت [زيوسدرا في مقامه]

[طقوس البلاد]، المنسية منذ الأيام الخوالي

م 150: [الشعائر والتقاليد، أنت] أعدتها [للبلاء]

طقوس غسل اليد وغسل القدم أنت الذي نظمتها
[بعد] الطوفان أنت الذي علمت جميع واجبات البلاد وعادت معروفة..

* * *

م 156: "[الآن] يا جلعامش [أنت جلبت إلى هنا من أجل ...]"

[ابلغوا رغبة الإله انليل إلى الإله انكي

رد [الإله انكي على الإلهين آنو وانليل]:

"في تلك الأيام، [في تلك] الأيام الخوالي

م 160: في تلك الليالي، [في تلك] الليالي البعيدة

في تلك السنين، [في تلك] السنين السحيقة

[بعد] أن قرر اجمع إحداث الطوفان

لندمر نسل البشرية

بقي في وسطنا إنسان واحد حياً

م 165: زيوسدرا، أحد البشر، بقي حياً

في ذلك الحين أقسمنا بالسموات والأرض

في ذلك الحين أقسمنا بأن لا ينال البشر الخلود

والآن نحن ننظر إلى جلعامش هكذا:

على الرغم من (مكانة) أمه لا نستطيع أن نعامله بعطف

م 170: (لكن) جلعامش، ممثلاً بروحه، حين يكون ميتاً في العالم السفلي

سيصبح [حاكماً في العالم السفلي]، زعيماً للأرواح

[سيصدر الأحكام] ويقرر القرارات

[ما سيقوله سيكون بثقل كلمة] ننجشزيذا ودموزي"

م 174: ثم إن السيد الفتي، السيد جليجامش ...

* * *

(م180): إله الأحلام سِسْج، ابن الإله اوتو

ن¹ ع⁵: سيوفر له النور في العالم السفلي، موضع الظلمة

البشر، بعدد من حملوا أسماء منهم

حين تنصب تماثيلهم (الجنائزية) في قابل الأيام

حين يشكل المقاتلون الشبان والمتفرجون نصف دائرة حول المدخل

لتقام أمامها مباريات المصارعة واختباراتها

ن¹ ع⁵ 10: في شهر المشاعل، عيد الأرواح

سوف لن يضاء النور أمامهم بدون حضوره"

الجليل العظيم انليل، أبو الآلهة

تحدث في الرؤيا مع السيد جليجامش:

"يا جليجامش لقد جعلت قدرك قدر الملكية ولكنني لم أجعله [قدر]

الحياة الخالدة

ن¹ ع⁵ 15: وللشعر، أي حياة يمكن أن تكون (مرغوبة) إلا حياة مع مرض في

القلب

فلا يمكن أن يكون يأس، أو فؤاد كسير (مع الحياة)

فهكذا يحل هلاك البشر وها أنا قد أبلغتك

هكذا يحل ما (تقرر) حين قطع حبلك السري وها أنا قد أبلغتك

وها أن اليوم الأشد ظلاماً على البشر الفانين قد أدركك

ن¹ ع⁵ 20: إن منفي البشر الفانين قد أدركك

موجة الفيضان التي لا تقاوم قد أدركتك

الواقعة التي لا مناص منها قد أدركتك

النزال الذي لا يبارى فيه قد أدركك

القتال الذي لا رحمة فيه قد أدركك

م 190: ولكن لا تنزل إلى "المدينة العظيمة" بقلب حائق

دعه يكون منبسطاً أمام الإله اوتو

دعه ينحلّ مثل لحاء النخلة ويتقشر مثل البصل

ن¹ ع⁵ 28: حينما يجلس آلهة انوناكي العظام إلى الوليمة الجنائزية امضِ أنت

إلى حيث يرقد كهنة اين، وحيث [يرقد كهنة- لاجار]

م 195: إلى حيث يرقد كهنة لوماخ وكاهنات نن-دنجر

إلى حيث يرقد كهنة جودا، حيث يرقد الكهنة متلففون بالكتان

إلى حيث يرقدن كاهنات نن-دنجر، حيث يرقد "الشخص الحق"

إلى حيث يوجد أبوك وأجدادك،

أمك، أخواتك، أقاربك

م 200: صديقك الغالي، أخوك الصغير

ن⁴ القفا 2: صديقك أنكيدو الفتي، [رفيقك]

(هناك) في "المدينة العظيمة" يقطن الحكام والملوك

هناك يقطن قادة الجيوش فرادى

م 205: حينما رجل في "المدينة العظيمة" ارلّي

الرجل ... لن

من بيت الأخت ستأتي إليك
من بيت القريب سيأتي القريب إليك
ن⁴ القفا 10: معارفك سيأتون إليك، الغالي عليك سيأتي إليك
م 210: شبيهة مدينتك سيأتون إليك

.... سيأتي إليك

.... سيأتي إليك

.... سيأتي إليك

لا تكن قانطاً، لا تكن كسير الفؤاد
والآن [ستُحسب] مع آلهة انوناكي
[ستُحسب] واحداً من الآلهة الصغار
[ستصبح حاكماً في العالم السفلي]
م 215: [ستصدر أحكاماً، ستقرر قرارات]
ن¹ ع⁶ 1: [ما ستقوله] سيكون له ثقل [كلمة ننجشزيذا ودموزي]"'
ثم إن [السيد] الفتي، السيد جليجامش
[سيد كلاب] روى [ذلك الحلم]
[المستشارون] الذين رواه لهم
ن¹ ع⁶ 5: أجابوا [جليجامش]:

'[أيها السيد جليجامش ما] سبب دموعك؟
ما السبب وراء....؟

إن [موت البشر لا] يتوقف، فالإلهة-الأم لا تزال تعمل على إنقاذهم
[ومنذ أن ابتدأ تناسل البشر] [أولاً]

ن¹ ع⁶ 10: لا يوجد ...

حتى المصارع يمكن أن يُمسك بشبكة تُرمى عليه
وطائر السماء متى ما أحيط بشبكة لا يفلت من قبضة أحد
وسمكة البحار العميقة تُرمى فلا تزوغ أبداً
وعندما يرمي صائد السمك الفتي شبكة فإنها تعلق فيها
ن¹ ع⁶ 15: لا إنسان، مهما كان، يمكن أن يصعد من قلب العالم السفلي
فمن رأى شيئاً كهذا منذ أقدم الأيام ؟
لا ملك آخر سيكون له، في المستقبل مصير مثل مصيرك
والرجال، بعدد من يحملون أسماء
أين هو الرجل الذي مصيره [مثل] مصيرك؟
إن إدارة العالم السفلي [ستكون لك]
ن¹ ع⁶ 20: أنت، روحك، [ستحسب من بين آلهة أنوناكي]
ستصدر أحكاماً، [ستقرر قرارات]
[ما ستقوله سيكون له ثقل كلمة ننجشزيذا ودموزي]'

* * *

م 235: معماره صمم ضريحه مثل ...

أصابه دوار، الهه انكي
أوحى إليه بالموضع الذي يمكن أن يفسر به الحلم
تلك الرؤيا فسرهما كلب الملك، لم يفسرها إنسان
السيد حشد قوة العمل في مدينته
م 240: النادي صاح ببوقه في البلدان:

'يا أوروك انهضي! سدّي نهر الفرات
يا كلاب انهضي أفرغي نهر الفرات من الماء!
حشود أوروك كانت طوفاناً
حشود كلاب كانت ضباباً كثيفاً

م 245: لم يكن قد مر نصف شهر

ولم تكن خمسة أيام، ولم تكن عشرة أيام
حتى سدوا نهر الفرات، وأفرغوه من الماء
حصاه (في القاع) رمق الشمس بتعجب
وفي قاع الفرات تفتطرت الأرض من جفافها

م 250: ثم بنى ضريحه بالحجر

وبنى جدرانته بالحجر
عمل الأبواب الحجرية لمدخله
كان الرتاج والعتبة من حجر الديورايت الصلب
وكانت المزاليج من حجر الديورايت الصلب
م 255: كانت العوارض مغلقة بالذهب

إلى حركت كتلة ثقيلة من الحجر

..... نشر تراباً أسود من كل نوع

[وذلك حتى] في الأيام المقبلة

..... [حتى لا] يكتشف

م 260: من يبحث لا يكتشف مطلقاً موضعه

[هكذا السيد الفقي، السيد] جليجامش

أقام في وسط أوروك صومعة محكمة

ن³ 1: زوجته الحبيبة، ابنه الحبيب

زوجه الحبيبة الكبرى وزوجه الحبيبة الصغرى

مغنيه، نادله و المحبوبون

(م 265): حلاقه الحبيب، الحبيب

ن³ 5: أتباعه وخدمه المحبوبون

..... أغراضه المحبوبة

وضعوا في أماكنهم كما لو كانوا [يحضرون] استعراضاً للقصر في وسط

أوروك

جلجامش، ابن الآلهة ننسون

عرض قرابينهم لايرش-كيجال

ن³ 10: عرض قرابينهم لنمتار

(م 270): عرض تقدماتهم لدملكج Dimpikug⁽⁴⁴⁾

عرض هداياهم لبتي Bitti

عرض هداياهم لننحشزيذا ودموزي

لانكي ونكي، لاينمول وننمول

ن³ 15: لايندوكجا Endukuga وندوكجا Nindukuga

(م 275): لاينداشرما Endashurimma وندشرما Nindashurimma

لاينوتلا Enutilla واينميشرا Enmesharra

أمهات وآباء الإله انليل

للإله شلبايه، سيد المائدة

ن³ 20: لشكّان و نخرسانجا

(م 280): لآلهة أنوناكي "الجليل الطاهر"

لآلهة ايجيجي⁽⁴⁵⁾ "الجليل الطاهر"

لكهنة اين المتوفين، لكهنة لاجار المتوفين

ن³ 25: لكهنة جودا المتوفين، الكهنة المتلفين بالكثان و.....

(م 285): القرايين

..... الفاخر

عرض هداياهم إلى

تعدد هو نفسه مغشى بـ.....

ن³ 30: جلجامش بن الآلهة ننسون

حيث سكب (قربان) الماء

* * *

أخذوا في داخل (الضريح)، [ختموا] مدخله

ن¹ ع⁸ 3: فتحوا نهر الفرات

تدفقت مياهه

وأخفت المياه [موضع راحته]

ن¹ ع⁸ 5: [ثم على السيد] الفتي، السيد جلجامش

صرّ [الناس] أسنانهم

..... نتفوا [شعرهم]

أهل مدينته.....

لم يضعوا

م 295: لطنخوا بالوخل

وعلى [السيد] الفقي، السيد جلجامش
جزعت النفس، انكسر الفؤاد

الرجال، بعدد ما حملوا أسماءً منهم
الذين نحت تماثيلهم (الجنائزية) منذ أقدم الأيام
م 300: ونصبت في المصليات في معابد الآلهة:

سوف لن ينسى أبداً كيف تذكر أسماءهم
الإلهة أرورو، الأخت الكبرى لانييل
إكراماً لاسمه وهبت نسلًا (للشعر):

تماثيلهم نحت منذ أقدم الأيام ، و(أسماءهم لم تزل) تذكر في البلاد
م 305: يا إيرش-كيجال، أم الإله ننازو، عذب تمجيدك

"وعلى أحد ألواح نقر توجد الخاتمة الآتية للنص":

.... بلا انقطاع في عناية الإله انليل....

يا جلجامش بن الإله ننسون

ن³ 40: نسل.....ملك يضارعه..... لم يولد مطلقاً

..... لا يمكن أن يوجد..... لا يوجد

يا جلجامش، سيد كلاب، عذب تمجيدك"

المراسم والشعائر الجنائزية

يمكن تقسيم المراسم والشعائر الجنائزية، بحسب مواعيد إقامتها، إلى نوعين يتضمن الأول منهما ما كان يُقام بعد حدوث الوفاة مباشرة، ويشمل الثاني الشعائر التي كانت تُؤدى في أوقات معينة مختلفة لمدة طويلة بعد موت الشخص. إن مراسم النوع الأول وشعائره كانت تختلف بحسب اختلاف مكانة الشخص ومنزلته الاجتماعية، كأن تكون قصيرة وبسيطة للفقراء وذوي المكانة الدنيا في المجتمع، ولكنها كانت أكثر فخامة وتستغرق وقتاً أطول للميسورين. ولا يوجد دليل يؤيد ما افترض من قبل بعض الباحثين حول إلقاء جثث العبيد والمنبوذين في البراري لتلتهمها العقبان والكواسر أو رميها في الأنهار⁽⁴⁶⁾. وهو افتراض ساذج استند على ما يُملّس في بعض أجزاء العالم المعاصر ولا علاقة له بأية ممارسات جنائزية من بلاد الرافدين القديمة من ما كشفت عنه التنقيبات الآثارية أو وصفته النصوص المسمارية القديمة. وكانت القرابين الجنائزية إما تدفن مع جثث الأموات في داخل القبور، كما لاحظنا في الفصل السابق، أو توزع على الناس بعد الانتهاء من عملية دفن المتوفى. وفي كلتا الحالتين كانت كميات الطعام المقدمة كقرابين جنائزية تختلف باختلاف مكانة المتوفى ومقدرة عائلته الاقتصادية. ويدل النص البابلي المدون على شاهد قبر أدد-جبي، أم الملك البابلي الأخير نبونائيد، وهو النص الذي أوردنا ترجمته الكاملة في الفصل الأول من هذا الكتاب، على كثرة الذبائح والأطعمة التي وزعت على الناس حين وفاة أم الملك. ويبدو أن الشخصيات المهمة لم تكن تدفن بعد الوفاة مباشرة وإنما كانت أجسادها تمدد في قصورها لفترة من الزمن فيما يستمر العمل في إقامة الشعائر. وبهذا الصدد يصف لنا نص من العصر الآشوري الحديث المراسم والشعائر التي أقيمت عند وفاة أحد الملوك الآشوريين على لسان ابنه وخليفته على العرش، وذلك على النحو الآتي:

"لقد مسحته بالزيت الملكي ليستقر جيداً، وختمت فتحة الناووس (الذي هو موضع راحته بالبرونز القوي وتلوت عليه رقية فعالة (ضد اللصوص والشياطين). وعرضت أمام الإله شمش أواني الذهب والفضة وكل مستلزمات القبر وأوسمته الملكية التي يجبها ثم وضعتها في القبر مع أبي الذي أنجبني⁽⁴⁷⁾. وقدمت القرابين إلى الحكام السماويين، آلهة انوناكي، وإلى الآلهة التي تسكن في الأرض (العالم السفلي). لقد نذبتة الأقنية وأجابتها السواقي. اتشحت الأشجار بالسواد عليه وبكته البساتين⁽⁴⁸⁾....".

وقبل أن نأتي على وصف النوع الثاني من المراسم والشعائر الجنائزية لا بد من التطرق إلى "ملحمة جلجامش" الشهيرة، وعلى وجه التحديد اللوح الثامن منها لصلته الوثيقة بموضوع هذا الفصل. ذلك أن هذا اللوح يحمل نصاً يدور موضوعه حول مراسم الحداد على أنكيبدو ورثاء جلجامش له ثم الشعائر التي أقامها جلجامش لجنائزة صديقه. ومما يضيف أهمية خاصة على هذا النص أن الدراسات الحديثة استطاعت أن تضيف أجزاءً منه كانت مفقودة من قبل⁽⁴⁹⁾. إن السطور 1-64 من اللوح الثامن تصف حزن جلجامش وحداده على أنكيبدو ونذبه له، وهي السطور التي سنعود إليها لاحقاً في هذا الفصل. أما ما يهمنا هنا فهو وصف المراسم الجنائزية التي أُقيمت لأنكيبدو، وهذا الوصف يبدأ من السطر الخامس والستين ويستمر إلى نهاية اللوح، ولكن الجزء الأخير منه، الذي يبدأ من السطر التاسع عشر بعد المائتين، لم يزل مفقوداً. يتلخص ما نستطيع أن نعرفه من السطور 65-218 في أن جسد أنكيبدو يُسجى على سرير فيما يدخل جلجامش وأهل مدينة أوروك في حداد عام، ثم يتم جمع التجهيزات الجنائزية لتُدفن مع جسد أنكيبدو ومن ضمنها المجوهرات والمواد النفيسة وكذلك ذبائح من الثيران والأغنام لتصطحبها روحه معها إلى آلهة

العالم السفلي لنيل رضاهم وضمنان حسن معاملتهم لها. وتشمل الشعائر إقامة وليمة كبرى من قبل جلدجامش وفيها طبق من العقيق ممتلئ بالعسل وطبق من اللازورد ممتلئ بالزبدة. وفيما يأتي ترجمة لهذه السطور:

15- "عندما لاح أول خيط من الفجر

أطلق جلدجامش نداءً للبلاد:

'أيها الحداد! قاطع الأحجار الكريمة! النحاس! الصائغ! الجواهري!

صوروا صديقي!'

... لقد صنع تمثالاً لصديقه:

70- 'أطراف صديقي تكون من

حاجيك يكونان من اللازورد، صدرك من الذهب،

جسمك يكون من!'

.....

84- سأسجيك على سرير فخم

85- سأسجيك على سرير المجد

و.....أضعك على يساري، على كرسي الراحة

وسيقبل حكام الأرض قدميك

لأجعلن أهل أوروك يحزنون عليك ويندبونك

لأجعلن أهل النعيم يمتثلون أسيّ عليك

90- وبعد أن تكون قد رحلت سيكون شعري متلبداً بالحداد

سأجول البرية متسربلاً بجلد أسد'

عندما لاح أول خيط من الفجر

فحص جلعامش ودخل خزائنه

فحص الأختام وتفحص الجواهر:

95- الأحجار السوداء الشفافة، العقيق، اللازورد.....الرخام

.... عملت بإتقان

.... جهز من أجل صديقه

.... جهز من أجل صديقه

.... من عشرة أمان إضافية من الذهب جهز من أجل صديقه

100- من أمان من الذهب جهز من أجل صديقه

.... من أمان من الذهب جهز من أجل صديقه

.... من أمان من الذهب جهز من أجل صديقه

....

.... بينها، متوجة بثلاثين مناً من الذهب

105- كانت جهز من أجل صديقه

.... كانت جهز من أجل صديقه

.... كان سمكها

.... كان جهز من أجل صديقه

.... كبيراً

110- جهز من أجل صديقه

.... لوسطه

.... جهز من أجل صديقه

.... جهز من أجل صديقه

.... جهاز من أجل صديقه

115- جهاز من أجل صديقه

....

.... جهاز من أجل صديقه

.... لتقديمه، جهاز من أجل صديقه

.... زنة من العاج ...

120- بمقبض زنة من الذهب جهاز من أجل صديقه

.... قوية لذراعها جهاز من أجل صديقه

.... بجعبة ... وبمقبض بوزنة ذهب جهاز من أجل صديقه

.... من ذراعه كان عاجاً

... لها مقبض بزنة أربعين من الذهب جهاز من أجل صديقه

125- ثلاثة أذرع كان طولها

.... كان سمكها، جهاز من أجل صديقه

.... من الذهب الخالص

.... من العقيق، قضيباً من الحديد

.... ثوراً وحشياً

130- من أجل صديقه

نحر ثيراناً وأغناماً مسمنة وكدسها من أجل صديقه

.... الإله شمش

.... حملوا كل اللحم إلى حكام العالم السفلي

.... الملكة العظيمة عشتار

135- عصا الرماية من الخشب اللامع

من أجل الملكة العظيمة عشتار عرض أمام الإله-الشمس (قائلاً):

'عسى الملكة العظيمة عشتار.... أن تقبل هذا

عساها أن ترحب بصديقي وتسير بجانبه!'

.....

140- من أجل نامر-صيت⁽⁵⁰⁾ عرض أمام الإله-الشمس (قائلاً):

'عسى نامر-صيت أن يقبل هذا

عساها أن يرحب بصديقي ويسير بجانبه!'

قربة من اللازورد

.....

145- من أجل إيرش-كيجال، ملكة العالم السفلي، عرض أمام الإله-الشمس

(قائلاً):

'عسى إيرش-كيجال، ملكة العالم السفلي الفسيح، أن تقبل هذا

عساها أن ترحب بصديقي وتسير بجانبه!'

ناياً من العقيق

من أجل دموزي، الراعي محبوب عشتار، عرض أمام الإله-الشمس

(قائلاً):

150- 'عسى دموزي، الراعي محبوب عشتار، أن يقبل هذا

عساها أن يرحب بصديقي ويسير بجانبه!'

كرسياً من اللازورد

صولجاناً من اللازورد

نمتار، وزير العالم السفلي، عرض أمام الإله-الشمس (قائلاً):

155- 'عسى نمتار، وزير العالم السفلي الفسيح، أن يقبل هذا

عساه أن يرحب بصديقي ويسير بجانبه!'

....

من أجل خشيشا⁽⁵¹⁾، قهرمانه العالم السفلي، عرض أمام الإله-الشمس
(قائلاً):

160- عسى خشيشا، قهرمانه العالم السفلي، أن تقبل هذا

عساها أن ترحب بصديقي وتسير بجانبه!'

صنع

مشبكاً من الفضة، سواراً من

من أجل قسو-طابة⁽⁵²⁾، كناس إيرش-كيجال، عرض أمام الإله-
الشمس (قائلاً):

165- 'عسى قسو-طابة، كناس إيرش-كيجال، أن يقبل هذا

عساه أن يرحب بصديقي ويسير بجانبه!

عسى صديقي أن لا ولا يمرض بالقلب!'

.... من الرخام، في الداخل مطعم باللازورد والعقيق

ممثلاً صورة غابة الأرز

170- مطعم بالعقيق

من أجل نشولوخا Nin uluhha، منظفة البيت، عرض أمام الإله-
الشمس قائلاً:

عسى نشولوخا منظفة البيت أن تقبل هذا

عساها أن ترحب بصديقي وتسير بجانبه!

عساها أن أمام صديقي

175- عسى صديقي أن لا ولا يمرض بالقلب!

خنجرًا مزدوج النصل بمقبض من اللازورد مزيناً بصورة الفرات الطاهر

.... من أجل بيو Bibbu، قصاب العالم السفلي، عرض أمام الإله-

الشمس (قائلاً):

'عسى بيو، قصاب العالم السفلي الفسيح، أن يقبل هذا

عساه أن يرحب بصديقي ويسير بجانبه!'

180- بظهر من الرخام

من أجل دموزي-آبسو، ضحية العالم السفلي، عرض أمام الإله-

الشمس

(قائلاً):

'عسى دموزي-آبسو، ضحية العالم السفلي الفسيح أن يقبل هذا

عساه أن يرحب بصديقي ويسير بجانبه!'

.... قمته من اللازورد

185- مطعمًا بالعقيق

من أجل، عرض أمام الإله-الشمس (قائلاً):

'عسى، أن يقبل هذا

188- عساه أن يرحب بصديقي ويسير بجانبه!'

"يوجد خرم في النص، يشمل 11 سطرًا، في السطور التي تلي الخرم يبدو

المتحدث شخصاً آخر غير جلعامش"

208- ' الذي نحن

.... أسماؤهم

210- قاضي الأنوناكي'

أصغى جلجامش هذه الكلمات

واستلهم فكرة سد النهر

وعندما لاح أول خيط من الفجر

فتح جلجامش بوابته

215- نصب منضدة عظيمة من خشب ايلماك

وملاً بالعسل صحناً من العقيق

ملاً بالزبدة صحناً من اللازورد

زين وعرضها أمام الإله - الشمس

.... وعرضها أمام الإله - الشمس

"بقية اللوح مخرومة وتتضمن حوالي ثلاثين سطراً لم يزل محتواها مجهولاً ولكنها تصف، على وجه التأكيد، مراسم دفن أنكي دو. ولعل الاكتشافات الأثرية تمّدنا في المستقبل بنسخة سليمة لهذا الجزء من اللوح الثامن".

إن هذه السطور من اللوح الثامن من "ملحمة جلجامش" تدل بشكل واضح على أن الغاية من التجهيزات الجنائزية التي كانت تدفن في القبور مع الأموات لم تكن لاستعمالها من قبل روح المتوفى في العالم السفلي، كما يفترض بعض الباحثين، ولم تكن مقتصرة على الحاجيات الشخصية التي كان المتوفى قد استعملها في أثناء حياته، وإنما تشمل أثاثاً ومواد جديدة هيئت خصيصاً لتُدفن في القبر مع

جسد المتوفى لتنزل مع روحه إلى العالم السفلي حيث يقوم هناك بتقديمها إلى آلهة ذلك العالم بُغية نيل رضاهم وكسب شفاعتهم وحسن معاملتهم للروح ذاتها طوال إقامتها الأبدية في عالم الأرواح.

أما النوع الثاني من الشعائر الجنائزية فيشمل الشعائر التي كانت تقام في أوقات معينة من أجل الأموات الذين مرّت على وفاتهم ودفنهم مددٌ مختلفة، وقد يكون أولئك الأموات من أجيال سابقة. وهناك إشارة واضحة لهذا النوع من الشعائر الجنائزية وردت في أحد نصوص الملك الآشوري آشور-بانيبال (627-668 ق.م) الذي يذكر فيه:

"لقد قمت باستئناف الشعائر التي تشمل تقديم الطعام والشراب إلى أرواح الملوك السالفين بعد أن كانت مهملة، وأنجزت كل ما هو حسن للإله والإنسان، للميت والحي"⁽⁵³⁾

ويرد في النصوص الآشورية ذكر شخص اسمه "قردي-آشور-لامر" كان يمتلك أرضاً قرب العاصمة الآشورية القديمة آشور (قلعة الشرقاط حالياً) وتوارثتها عائلته. وتروي تلك النصوص أن هذا الشخص وعائلته كانوا ملتزمين بإقامة الشعائر الجنائزية لأرواح الملوك المدفونين في مدينة آشور وكذلك لأرواح الذين كانوا يُقتلون في الحروب من الآشوريين، وأن هذا الالتزام استمر حتى بعد انتقال مقر العاصمة الآشورية بشكل نهائي من آشور⁽⁵⁴⁾. ومن النصوص المهمة المتعلقة بهذا النوع من الشعائر الجنائزية نذكر إحدى الرسائل الموجهة إلى زمري-لم (1778-1761 ق.م)، ملك ماري (تل الحريري حالياً)، من قبل كربي-دجان، حاكم مدينة تيرقا (تل عشارة في سورية حالياً). ففي هذه الرسالة يبلغ كربي-دجان الملك أن الإله دجان

طلب بواسطة كاهن-مُحَوّ مواصلة الشعائر الجنائزية لروح يخذون-لم أبي زمري-لم، وهي الشعائر التي يبدو أن الأخير كان قد انقطع عن أدائها في تيرقا لابتعاده عن المدينة⁽⁵⁵⁾.

وكان هناك موعدان لإقامة هذا النوع من الشعائر الجنائزية أحدهما شهري والآخر سنوي. والموعد الشهري كان في اليوم التاسع والعشرين من الشهر حين يكون القمر في المحاق، ويطلق عليه في اللغة الأكديّة بِلُّ (bibbulu)، وكان يعتقد أنه يومٌ تجتمع فيه أرواح الموتى في العالم السفلي ويتوجب فيه على الأحياء أن يقدموا لأجلها القرابين وقيموا الشعائر الجنائزية⁽⁵⁶⁾. وقد وُصف هذا اليوم في أحد النصوص الأكديّة أنه:

"يوم القرابين الجنائزية، يوم سكب الماء (إلى أرواح الموتى)"⁽⁵⁷⁾

وأطلقت عليه نعوتٌ مقترنة بالشعائر الجنائزية التي كانت تقام فيه، ومن تلك النعوت "يوم وليمة الموتى"، "يوم الكدر"، و"يوم الندب"⁽⁵⁸⁾.

أما الموعد السنوي لإقامة الشعائر الجنائزية فكان في شهر آب، وهو الشهر الخامس في السنة البابلية التي كانت تبدأ في شهر نيسان. وكانت القرابين تُقدّم لأرواح الموتى في ذلك الشهر وتُرفع المشاعل من أجلها⁽⁵⁹⁾. وقد اعتُبر اليوم التاسع من شهر آب يوماً خاصاً فيما له علاقة بالشعائر الجنائزية إذ يشار إليه في النصوص المسمارية بأنه اليوم الذي تنعتق فيه أرواح الموتى في العالم السفلي⁽⁶⁰⁾. وهناك عدّة إشارات في الرسائل الملكية القديمة حول الشعائر الجنائزية وتجهيزاتها والتحضير لإقامتها في شهر آب. ومن بين هذه الرسائل رسالة من "عمي-ديتانا" (1683-1647 ق.م)، الملك التاسع من السلالة البابلية الأولى، إلى أحد أتباعه من حكام الولايات يأمره فيها بتوفير الحليب والزبدة اللازمين للقرابين الجنائزية الخاصة بشهر آب. ويرد في نص هذه الرسالة على لسان الملك:

"يجب تجهيز كميات الحليب والزبدة الخاصة بالقرايين الجنائزية لشهر آب. حالما تقرأ لوحى هذا مرّ أحد أتباعك أن يجمع ثلاثين بقرة ومكيال 'بي' واحد من الزبدة ويأتي بها إلى بابل حيث يبقى حتى الانتهاء من الشعائر الجنائزية. دعه يجهز الحليب من دون إبطاء وليأت على عجل"⁽⁶¹⁾.

وقد اكتشفت رسالة أخرى من عصر سلالة بابل الأولى أيضاً، ومرسالتها سمسو-ديتانا (1595-1692 ق.م) آخر ملوك السلالة، يطلب فيها تجهيز كمية من السلاحف لتقديمها في القرايين الجنائزية لشهر آب⁽⁶²⁾، ويذكر أيضاً بعض الأصناف من الأطعمة ومواد فضيَّة وجلدية فضلاً على قدور وسلال⁽⁶³⁾. ومن الجدير بالذكر أن السلحفاة كانت تُعتبر أحد رموز نرجال، إله الموت وحاكم العالم السفلي، وتُستعمل في صناعة بعض الأدوية فضلاً على استعمالها في طقوس طرد الأرواح الشريرة⁽⁶⁴⁾. وفضلاً على شهر آب وردت إشارة في أحد النصوص الآشورية إلى شعائر جنائزية كانت تقام سنوياً في شهر شباط لأرواح الموتى⁽⁶⁵⁾. وشهر شباط كان الشهر الحادي عشر من السنة في التقويم القديم لبلاد الرافدين.

لقد كانت الغاية الرئيسة من إقامة الشعائر الجنائزية، كما سبقت الإشارة، إرضاء الآلهة عموماً سواء من كان منهم في العالم السفلي أم من كان من آلهة العالم العلوي. أي أن العمل على إرضاء الآلهة، من خلال تقديم القرايين الجنائزية، لم يكن مقتصرًا على آلهة العالم السفلي. وكذلك لم يكن تقديم تلك القرايين لصالح أرواح الأموات فقط وإنما لصالح الأحياء أيضاً. وبهذا الصدد نقرأ في أحد النصوص المسمارية: "قدّم القرايين الجنائزية فيحقق الإله انليل لك رغباتك"⁽⁶⁶⁾. وفضلاً على القرايين المقدمة في المراسم الجنائزية كانت هناك ولائم خاصة بآلهة الموت تقام في أوقات معينة لنيل بركتها ورضاها على الأحياء وتجنب غضبها عليهم. وهذا ما

يتضح من إحدى الترانيم السومرية لشلجي (2094-2047 ق.م)، ثاني ملوك سلالة أور الثالثة، ويرد فيها على لسان ذلك الملك: "أنا الذي أقام الولائم الجنائزية للآلهة وعرف كيف يشبع آلهة انوناكي"⁽⁶⁷⁾. ونظر إلى القرابين الجنائزية أيضاً على أنها مدعاة لجلب الخير والبركة في عالم الأحياء، إذ يرد في أحد النصوص الأكديّة: "إنك تقدم القرابين الجنائزية من أجل الحقل الذي لا ينتج، وتقدم القرابين الجنائزية من أجل الأقيّة التي لا تجلب الماء. إنك تقدم القرابين الجنائزية إلى آلهة العالم السفلي"⁽⁶⁸⁾.

والغاية الأخرى من إقامة الشعائر وتقديم القرابين الجنائزية، إطعام أرواح الموتى وإرواء أرواحهم الظمأى في العالم السفلي. فالميت الذي لم يكن له من يُعنى بإقامة الشعائر الجنائزية من أجله كانت روحه تعاني معاناة قاسية في العالم السفلي، وهذا ما نعرفه من نص اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش. ففي هذا النص يجيب شبح أنكيذو، القادم من العالم السفلي، على سؤال جلجامش له عن حالة روح من ليس له أحد في عالم الأحياء يتابع إقامة الشعائر الجنائزية وتقديم القرابين من أجله. ويكون جواب أنكيذو أن تلك الروح لا تحصل سوى على فضلة القدر وفتات الخبز الملقاة على الدرب. وترجمة هذا المقطع من النص كما يأتي:

"هل رأيت روح من ليس له أحد يقدم القرابين الجنائزية؟"

"لقد رأيته"

"كيف هي حاله؟"

"إنه يأكل فضلات القدر وفتات الخبز الملقاة في الدرب"⁽⁶⁹⁾.

وقد بلغت أهمية التقريب من أجل الموتى درجة كبيرة بحيث اعتُبرت معها حاجة الميت للطعام والشراب موازية لحاجته إليهما في حياته. وهذا يتضح من

نصوص عدد من وثائق التَّبْي المدونة باللغة الأكديّة التي تجعل من تقدّم القرابين الجنائزية شرطاً لازماً من المُتَبّي على المُتَبّي. ومن هذه الوثائق واحدة تتضمن شرطاً من امرأة على الفتاة التي تَبْتّها ينصّ على ما يأتي: "في حياتي تقومين بإطعامي، وحين أموت عليك أن تقدمي من أجلي القرابين الجنائزية"⁽⁷⁰⁾.

إن الشعائر الجنائزية، ومن ضمنها القرابين، التي كان هناك اهتمام كبير وتأكيد في معتقدات سكان بلاد الرافدين القدماء على ضرورة استمرارها، شملت تقدّم الطعام والماء وإحياء الذكر. وهذه الممارسات الثلاث في الشعائر الجنائزية ذُكرت في النصوص المسمارية تحت ثلاثة مصطلحات، وهي:

1- "كسبَ كَسَابُ" (Kispa Kasāpu): يعني هذا المصطلح باللغة الأكديّة "تقدّم القرابين الجنائزية" ويرادفه بالسومرية ك-س³- كَا (KI.S.GA)⁽⁷¹⁾. والفعل ك س ب (Kasāpu) في اللغة الأكديّة يعني "قدّم القرابين الجنائزية"⁽⁷²⁾. وكان هذا المصطلح يُطلق على الشعائر التي تُقدّم فيها الأطعمة المختلفة من أجل أرواح الموتى وتُحَرّ فيها الخراف⁽⁷³⁾ ويُقدّم النيذ الأبيض والجمعة وجميع أنواع الفاكهة⁽⁷⁴⁾. والطريقة التي كانت مُتَّبَعَة في إقامة الولائم الجنائزية هي أن تُصَفّ المقاعد للناس حول الأطعمة المقرّبة ويترك مقعد فارغ لروح المتوفى الذي أقيمت الوليمة من أجله. ويطلق على هذا المقعد باللغة الأكديّة كُسُّ ايطيم (Kussu eṭemmi) أي "كرسي الروح" ويرادفه بالسومرية ش-و-زا-؟-يدم (GU.ZA.GIDIM)⁽⁷⁵⁾.

وكانت القرابين الجنائزية تقدّم إلى الأموات أيضاً بوضعها أمام تماثيلهم. وقد حفظت لنا النصوص المسمارية إشارات عن هذه الممارسات إزاء تماثيل الملوك المتوفين. فأحد النصوص التي تعود إلى عهد سرجون الأكدي (2334-2279 ق.م) يتضمن قائمة من الأطعمة، من بينها حَمَل، قدّمت أمام تمثال لأمير لجش المتوفى

أُتْمِنَا (من عصر فجر السلالات الثالث)، وعلى الأرجح أن قراييناً مماثلة قُدمت إلى تمثال جوديا، أمير لجش، بعد وفاته⁽⁷⁶⁾. وتذكر نصوص عصر سلالة أور الثالثة، وكذلك نصوص أخرى من عصور لاحقة مختلفة، أن تماثيل ملوك متوفين كانت تتلقى حصصاً من القرايين في المعابد⁽⁷⁷⁾. وكانت تلك الشعائر تستمر لعصور طويلة بعد الوفاة، إذ يشير أحد نصوص العصر البابلي الحديث إلى إقامة مثل هذه الشعائر أمام تمثال للملك سرجون الأكدي⁽⁷⁸⁾، وهذا يعني أنها أقيمت بعد وفاة سرجون بحوالي 1500 سنة.

2- "نق مبي" (naq m): ومعنى هذا المصطلح الأكدي "سكب الماء (لأرواح الموتى)" ويكتب بالسومرية -بال (A.BAL)، والفعل ن ق ي (naq) في اللغة الأكديّة يُضاهي الفعل العربي نقى ومعناه "سكب". وكان يُطلق على مقيم شعائر سكب الماء لأرواح الموتى في اللغة الأكديّة "ناق مبي" (nāq m)⁽⁷⁹⁾. ومما يدل على أهمية شعائر سكب الماء، التي تضمن وصول الماء إلى روح الميت في العالم السفلي، ما كان يرد في الأدعية مثل الدعاء المدوّن على إحدى أحجار الكودورّو البابلية (وهي الأحجار التي تحمل نصوص تثبيت ملكية الأراضي وتضمن عدم انتهاكها) ونصه: "في العلى عسى أن يطيب اسمه وفي العالم السفلي عسى أن تشرب روحه الماء المسكوب"⁽⁸⁰⁾. وكانت الطريقة الأساسية لتوصيل الماء المسكوب في الشعائر الجنائزية إلى أرواح الموتى في العالم السفلي عبر أنبوب فخاري ينزل عمودياً في الأرض، ويطلق على هذا الأنبوب في اللغة الأكديّة اسم اروة أو ايروة (arūtu, erūtu)⁽⁸¹⁾. وورد ذكر هذا الأنبوب في أحد الابتهالات للإله شمش ونصه: "عساه (الإله شمش) أن لا يدع أنبوبه لسكب الماء يسقط في (العالم) السفلي"⁽⁸²⁾.

لقد كشفت التنقيبات الآثارية عن بعض الأنابيب المخصصة لسكب الماء في الشعائر الجنائزية. ومن هذه الأمثلة المكتشفة الأنابيب الفخارية التي اكتُشفت تحت أرضية إحدى البنايات في موقع مدينة أور القديمة، وتعود إلى عهد شلجي، الملك الثاني في سلالة أور الثالثة. وهذه الأنابيب مُكوّنة من عدة حلقات فخارية متصلة ببعضها، ويبلغ ارتفاع كل قطعة ثلاثة أقدام وقطرها حوالي خمسة أقدام. أما طول الأنبوب الكلي فقد يصل إلى ثلاثين أو أربعين قدماً، وكانت فتحته العليا، في أرضية الغرفة تُعطى بغطاء فخاري مُثَقَّب، ووُجدت بعض الأنابيب بدون غطاء علوي، وفي جوانب الأنبوب توجد ثقوب. ومن الواضح أن هذه الأنابيب قد استعملت لمدة طويلة⁽⁸³⁾. وأما لم تكن مخصصة لتصريف المياه وإنما لشعائر سكب الماء، ذلك أنها كانت متعددة في البناية نفسها بما يفوق الحاجة لتصريف المياه من البناية. وفي إحدى الغرف الصغيرة وجد اثنان من هذه الأنابيب يتزلان تحت الأرضية بعمق يصل إلى حوالي خمسة عشر قدماً ويبلغ قطر كل منهما ثلاثة أقدام، ولم يكن البيت أو المعبد يحتاجان لمثل هذا العدد من الأنابيب لتصريف مياههما. ومما يؤيد الوظيفة الشعائرية لهذه الأنابيب أنه عُثر في أسفلها على آنية فخارية من النوع الذي كان مستعملاً في تقديم القرابين. ومن الواضح أن تلك الآنية لم تسقط بالصدفة في الأنابيب المعنية، إذ أنه وُجد في أسفل أحدها ما يقرب من أربعين إناءً مرة واحدة⁽⁸⁴⁾. ومما يجدر ذكره هنا أن الآنية الفخارية التي كانت تستعمل في سكب الماء في الشعائر الجنائزية تسمى في اللغة الأكديّة "مَقِيَّة" (maqqītu)، "مَقَّو" (maqq)، و"مُنَقِّيَّة" (munnaqqītu)⁽⁸⁶⁾.

وقد عُثر في عدد من الأضرحة في "المقبرة الملكية" في أور، التي سبق الحديث عنها في هذا الفصل، على منافذ خاصة لسكب الماء إلى العالم السفلي. إذ عُثر في القبر رقم (1054) على منفذٍ خاص لهذا الغرض، ووُجد ثقب في أرضية المدخل

المنحدر لكل من القبرين رقمي (789) و(800)، ويبدو أنها استُعملت للغرض نفسه. وعند كل من القبرين رقمي (337) و(1237) اكتشفت دكة خاصة بالقرايين الجنائزية كان الماء المسكوب من كل منهما ينزل إلى القبر الذي خصصت له الدكة⁽⁸⁷⁾. وقد سبقت الإشارة، في الفصل الثاني من هذا الكتاب، إلى الفتحة الموجودة في القبر رقم (7) في تل السيب (موقع مدينة ميتورناة القديمة في منطقة ديالى في العراق) الذي اكتشفه المؤلف وكان الماء يُسكب من خلال هذه الفتحة إلى فوهة وعاء فخاري بشكل الزمزية (انظر الصورتان 2- و-3-).

3- "شُم زَكَارُ" (šuma zakāru): مصطلح أكدي يعني "ذكر الاسم". وربما لم يكن هذا المصطلح يدل على شعائر محددة ولكنه يشير، بشكل عام، إلى كل ممارسة من شأنها أن تبقى الذكر الحسن للمتوفى في عالم الأحياء. فمن جهة كان استمرار ذكر المتوفى يمثل نوعاً من الخلود الذي قد تصح تسميته "الخلود الممكن" (من قبيل "والذكر للإنسان عمر ثان"). فهذا الفهم للخلود كان ماثلاً في فكر حضارة بلاد الرافدين القديمة واعتُبر بديلاً عن الخلود المادي المستحيل على الإنسان. فحتى جلعامش كان، قبل أزمته مع الموت حين شاهد صديقه أنكيكو يفارق الحياة، يُؤمن بأن خلود الذكر ينبغي أن يكون هدفاً سامياً للإنسان في حياته. ويظهر ذلك جلياً في خطاب جلعامش إلى أنكيكو حين يحذّره الأخير من مغبة السفر إلى غابة الأرز ومواجهة خطر القتال مع حارسها الوحش خمبابا، إذ يقول جلعامش:

"من يا صديقي علا (حتى) السماوات؟

الآلهة هم مع الشمس للأبد يمكنون

البشر معدودة أيامهم

وكل ما يفعلونه باستمرار مجرد هواء

وأنت هنا تخاف الموت؟

لماذا بطولتك الصلبة؟

لأذهبن أمامك

ليصبح فمك: 'اقتحم لا تخف'

فإذا سقطت سأعزز اسماً لي (كلما يقولون):

'جلجامش مع خواوا الوحش

خاض نزالاً' ⁽⁸⁸⁾

ومن جهة أخرى كان استمرار النسل وإنجاب الأبناء يمثل استمراراً، بشكل أو بآخر، للإنسان في الحياة وخير وسيلة لاستمرار ذكره. وبحسب المعتقدات القديمة كان لاستمرار ذكر الاسم، عن طريق وجود الأبناء، أثر كبير في تحسين حالة روح الأب المتوفى في العالم السفلي. وكان يعتقد أن حالة تلك الروح كانت تنتقل إلى حال أفضل كلما كان عدد الأبناء في عالم الأحياء أكبر. ويرد أوضح تعبير عن هذا المعتقد في "ملحمة جلجامش" أيضاً حين يجيب شبح أنكيكو القادم من العالم السفلي على أسئلة جلجامش عن حالة أرواح الموتى بحسب إنجازهم أو عدم إنجازهم للأبناء في حياتهم. وفيما يأتي ترجمة نص أسئلة جلجامش عن ذلك وأجوبة شبح أنكيكو عليها:

255- "هل رأيت الرجل الذي له ابن واحد؟"

'رأيت'

'كيف حاله؟'

'يبكي بحرقة على الوتد الموجود في جداره'

'هل رأيت الرجل الذي له ابنان؟'

'رأيته'

'كيف حاله؟'

'جالساً على آجرتين يأكل خبزاً'

'هل رأيت الرجل الذي له ثلاثة أبناء؟'

'رأيته'

'كيف حاله؟'

260- 'إنه يشرب ماءً من قربة معلقة على مسند'

'وهل رأيت الرجل الذي له أربعة أبناء؟'

'رأيته'

'كيف حاله؟'

'مثل رجل له زوجان من الحمير، إنه سعيد القلب'

'وهل رأيت الرجل الذي له خمسة أبناء؟'

'رأيته'

'كيف حاله؟'

'مثل كاتب حذق ماهر اليد يدخل القصر بيسر'

265- 'وهل رأيت الرجل الذي له ستة أبناء؟'

'رأيته'

'كيف حاله؟'

'مثل حارث عنده زوج من الحيوانات، إنه سعيد القلب'

'وهل رأيت الرجل الذي له سبعة أبناء؟'

'رأيته'

'كيف حاله؟'

'في وسط الآلهة الصغار يجلس على عرش ويستمتع للوقائع'

'وهل رأيت الرجل الذي ليس له وريث؟'

'رأيت'

'[كيف] حاله؟'

270- 'إنه يأكل خبزاً مثل آجرة مشوية في أتون' (89)

ولعله يمكننا اعتبار كل ما يؤدي إلى استمرار ذكر المتوفى في عالم الأحياء جزءاً من ممارسة "ذكر الاسم" بما في ذلك شعائر الحداد أو إحياء ذكرى الوفاة أو حرق البخور. وكان في انقطاع ذكر المتوفى خطر جسيم يتمثل في احتمال صعود روحه من العالم السفلي بشكل شبح مؤذ يسعى للانتقام من الأحياء مثلما كان يحدث للأرواح التي تنقطع عنها شعائر تقديم القرابين وسكب الماء. ويرد في النص المسماري لإحدى التعاويذ تحديد للأشباح التي يُعتقد باحتمال صعودها لمطاردة الأحياء، وهم: "شبح المنسي وشبح الذي لا يُذكر اسمه وشبح الذي ليس له أحد" (90). وبسبب هذه الأهمية التي اكتسبتها الشعائر الجنائزية بالنسبة لأرواح الموتى فقد أصبح إهمالها وقطعها وسيلة من أشد وسائل الانتقام من الأموات ومن ذويهم الأحياء. وكان الدعاء بانقطاع الذكر والحرمان من الشعائر الجنائزية من الفقرات المتكررة في نصوص الاتفاقيات والمعاهدات والعقود وعلى المسلات. ونورد هنا من خاتمة "شريعة حمورابي" الشهيرة بعض الدعوات التي سطرها حمورابي على كل من يُسيء لشريعته أو يُحرّفها أو يُسيء لنصّها مثل "عسى (الإله أنليل) أن ينطق بفمه المبجل هلاك مدينته، تفسخ ناسه، تبدل ملوكيته، انعدام اسمه وذكره في البلاد" (91)، "لتغلب الكلمة الناقمة للإله شمش سريعاً. في العلى لينسخه من الحيلة.

في الدنيا، في (باطن) الأرض، ليجعل روحه تظماً للماء"⁽⁹²⁾، و"الإلهة نتو، السيدة السامية للبلدان، الأم، خالقتي، عسى أن تحرمه من الوريث، وعسى أن لا تهبه اسماً، عسى أن لا تبني، في وسط ناسه، ذرية الإنسانية"⁽⁹³⁾.

ونقرأ في نصوص الملك الآشوري آشور-بانيبال أنه قد انتقم شر الانتقام من العيلاميين بنبش قبور ملوكهم السابقين ومنع إقامة الشعائر الجنائزية لهم ويذكر بالنص: "أقلقت راحة أرواحهم إذ حرمتهم من القرايين الجنائزية وسكب الماء"⁽⁹⁴⁾.

لقد كانت الشعائر الجنائزية تقام إما من قبل عائلة المتوفى أو بواسطة بعض الأشخاص المحترفين والكهنة المختصين بهذا النوع من الشعائر. ويحدد نص إحدى التعاويذ، الخاصة بطرد الأشباح، الأقارب الذين يتحملون مسؤولية إقامة الشعائر الجنائزية وهم الأخ والأخت والابن والابنة والوريث والأقارب الوثيقو الصلة بالمتوفى⁽⁹⁵⁾. ويبدو أنه كان معتاداً أن تشترك نساء العائلة في الشعائر الجنائزية وذلك بدلالة ما وثق عن الأسر الحاكمة حين تقام الشعائر الجنائزية لأعضائها المتوفين، وتشير النصوص الآشورية إلى مشاركة زوجة الملك المتوفى وابنته وزوجة ولي العهد بدورٍ مهمٍ في المأتم الملكي⁽⁹⁶⁾. وقد سبق أن اطلعنا في الفصل الأول من هذا الكتاب على نص شاهد قبر أدد-جي، أم الملك البابلي الأخير نبونائيد، الذي تذكر فيه، عن مشاركتها في الشعائر الجنائزية المقامة للملوك السابقين، ما يأتي: "جعلت نبونائيد، الابن الذي أنجبته، يخدم نبوخذ نصر (الثاني)، ابن نبو بولاصر، ورجلسر، ملك بابل، فأدى واجبه تجاههما صباحاً ومساءً وكان يعمل كل ما يرضيهما. وهو قد جعل لي اسماً حسناً أمامهما فمتحاني مركزاً سامياً كما لو كنت ابنتهما الحقيقية وأنا واصلت تقديم القرايين الجنائزية لهما وهيئة نذور البخور الوافر الزكي الرائحة وتقديمه لهما على الدوام"⁽⁹⁷⁾. وكان للوريث الدور الرئيس في إقامة

الشعائر الجنائزية حتى أنه كان من أقسى الدعوات التي توجه للشخص المسيء الحرمان من الوريث. ويرد في أحد النصوص المسمارية، بهذا الصدد، ما يأتي: "عسى أن يحرمه الإله ننورتا من الوريث الذي يسكب له الماء"⁽⁹⁸⁾. وسنأتي في موضوع الحداد والأثر الاجتماعي للموت على ذكر الكهنة الذين كانوا يُكلفون بنبذ الموتى وإقامة الشعائر الجنائزية لهم.

الحداد والمراثي

إن الحداد على المتوفين والمراثي التي يندبهم بها الأحياء يعبران عن المشاعر التي كان الموت يثيرها عند سكان بلاد الرافدين القدماء مثلما يعبران عن العاطفة التي كانوا يكتونها لأقربائهم ومعارفهم المتوفين. وفي الوقت نفسه يمثل الحداد والمراثي تعبيراً، بشكل أو بآخر، عن مفهوم الموت والنظرة إليه في ظل العقائد الدينية القديمة. وفي المآتم الرسمية يمكن لمراسم الحداد والمراثي أن تعطينا صورة عن الحالة التي يكون عليها المجتمع والبلاد حين يموت الملك أو إحدى الشخصيات المهمة في الدولة.

ويمكن تلخيص أهمية هذا الموضوع في دراسة عقائد ما بعد الموت باعتباره يوضح لنا جانباً مهماً من فهم الفرد أو المجتمع للموت من خلال التعبير عن المشاعر نحو المتوفى، إذ أن هذا التعبير كان بحسب تلك العقائد عاملاً مؤثراً على كلا الطرفين، الأحياء الذين فقدوا أحد أقاربهم أو معارفهم من جهة، والمتوفى من جهة أخرى. فبالنسبة للأحياء من عائلة المتوفى وأقاربه وأصدقائه والمجتمع الذي عاش فيه كان الحداد عاملاً مساعداً على تخفيف الحزن والقلق والإحساس بالتوتر الذي يغمرهم. وبالنسبة للمتوفى اعتُبر الحداد والحزن الحاصل بعد وفاته بمثابة ضمان بعدم انقطاع ذكره بين الأحياء بعد موته، وبالتالي يُصبح أمراً موحياً بالطمأنينة للفرد إزاء الموت. وقد ظهر هذا الاتجاه بأشكال متعددة منها إقامة الطقوس والشعائر الجنائزية،

التي سبق الحديث عنها، ونخص بالذكر منها هنا شعائر "ذكر الاسم".
وكان هناك اعتقاد عند سكان بلاد الرافدين القديمة أن دموع الأحياء
ومراثيهم يمكن أن توفر للموتى بعض الراحة. ذلك أنه يمكننا تلمس أثر الحداد في
التخفيف من وقع تذكر الموت في نفس الإنسان من خلال ما يرد في "ملحمة
جلجامش" في خطاب الإله شمش الموجه إلى أنكيديو وهو يهدئ من روعه حين كان
يُحتَضَر، إذ يرد في هذا الخطاب :

"ثم إن جلجامش، صديقك، وأخيك،

140- سيسجيك على سرير فخم

سيسجيك على سرير المجد

سيضعك على يساره، على كرسي الراحة

وسيقبل حكام الأرض قدميك

سيجعل أهل أوروك يحزنون عليك ويندبونك

145- سيجعل أهل النعيم يمتثلون أسيّ عليك

ويعد أن تكون قد رحلت سيكون شعره متليداً بالحداد

سيجوب البرية متسربلاً بجلد أسد'

سمع أنكيديو كلمات شمش البطل

وبقدر ما كان قلبه غاضباً هداً

150- بقدر ما كان قلبه مهتاجاً هداً⁽⁹⁹⁾

وهنا نلاحظ أن أنكيديو يطمئن ويخف جزعه من الموت على الرغم من أن
الإله شمش لم يعده بتخليصه من الموت وإنما اكتفى بإبلاغه بما سيحدثه موته من
حزن وحداد.

ومن النصوص المسمارية المهمة فيما يخص موضوعنا هنا النص الذي سبقت الإشارة إليه، وهو نص "موت أور-نمو"، مؤسس سلالة أور الثالثة. لقد اكتشف اللوح الذي يحمل هذا النص المدون بالسومرية بحالة سيئة جداً، واللوحة محفوظة حالياً في متحف جامعة فيلادلفيا في أميركا تحت الرقم CBS 4560. وبسبب حالة النص يتعذر تقديم ترجمة كاملة له ولكن يمكن إيجاز محتواه هنا⁽¹⁰⁰⁾. إن العمود الأول من النص مفقود بسبب وجود خرم كبير في اللوح، ومن المرجح أنه كان يتضمن وصفاً أدبياً لمنجزات أور-نمو في الحرب والسلام مع عرض للحوادث التي أدت إلى سقوطه قتيلاً في ساحة المعارك. وهذا ما يتجلى حينما يكون النص واضحاً في العمود الثاني حيث يرد وصف لمقتل أور-نمو وسقوطه في ميدان المعركة مُثخناً بالجراح وجسده "مثل إناء الفخار المهشم" على حد تعبير النص، ثم ترد إشارة إلى جثمان هذا الملك وهو ممدد على محفة في القصر الملكي والناس يندبونه. بعد ذلك يُبين النص أن أور-نمو نزل إلى العالم السفلي (عالم الأرواح) وقدم الهدايا إلى "الآلهة السبعة" في ذلك العالم ثم ذبح الثيران والأغنام ليقدمها إلى أرواح الموتى المهمين المقيمة هناك. ويرد في النص أيضاً كيف أن أور-نمو يقدم الهدايا التي تتضمن الأسلحة، الحقائق الجلدية، الآنية، الملابس، الحلي المجوهرات وبقية التجهيزات إلى آلهة العالم السفلي. وهؤلاء الآلهة الذين يتسلمون هدايا أور-نمو هم، كما يذكرهم النص: نرجال، جلجامش، إيرش-كيجال، دموزي، نمتار، خشيشاج، وننجشزيدا، كل في قصره الخاص به. ويضيف النص إلى أسماء الآلهة الذين يتسلمون الهدايا أيضاً كلاً من دمبيكج (Dimpimekug) و"كاتبة العالم السفلي" التي يقصد بها "بيلة-صيري" شقيقة دموزي التي تُعرف أيضاً بالصيغة السومرية لاسمها "جشن-أنا".

ولا يخبرنا النص عن الكيفية التي نزل بها أور-نمو، وتلك الهدايا التي اصطحبها معه، من القبر إلى العالم السفلي، وربما كان ذلك بواسطة العربات التي

أشير إليها في أسطر غامضة تتقدم عبارة تذكر "عمر العالم السفلي". ويروي النص أن أور-نمو وصل بعد ذلك إلى الموضع الذي خُصَّص لإقامته في العالم السفلي حيث التحق به بعض الموتى، أو بالأحرى أرواحهم، ليكونوا في خدمته على ما يرجَّح. وهنا يقوم جلجامش، "أخوه الحبيب" على حد تعبير النص، بشرح قواعد العالم السفلي وأحكامه له. ويستمر النص ليطلعنا على أن أور-نمو "بعد أن مرت سبعة أيام وعشرة أيام" يسمع عويل البلاد. ثم إنه يتذكر أسوار مدينة أور التي تركها غير مكتملة البناء وقصره الجديد الذي لم ينجز مراسم التطهير الخاصة بافتتاحه، ويتذكر زوجته التي لم يعد قادراً على ضمها وابنه الذي لم يعد قادراً على احتضانه فيسبيل الدمع من عينيه ويجهش بالبكاء ويطلق مراثية طويلة. ويُفهم مما تبقى من النص أن هذه المراثية تتخللها لازمة متكررة هي بمثابة صرخة احتجاج مريرة تعبّر عن أنه على الرغم من تعبد أور-نمو بإخلاص لآلهته في حياته فإن أولئك الآلهة لم يقفوا إلى جانبه في ساعة الخطر وأن الأمر انتهى به ميئاً وزوجته وأتباعه يذرفون الدمع ناديين إياه. ولم تزل خاتمة النص غير معروفة بسبب انخراط العمود الأخير منه.

لقد وردت في النصوص المسمارية إشارات متفرقة تصف الطريقة التي كان سكان بلاد الرافدين القدماء يعبرون بها عن أحزانهم على الأموات ويُظهرون علامات الحداد. فكما لاحظنا من خلال عرض مضمون نص موت أور-نمو أن ندب الملك المتوفى والبكاء عليه استمر لعدة أيام بعد وفاته. ويخبرنا نص شاهد قبر أدد-جبي، أم الملك البابلي الأخير نبو-نائيد، الذي أوردنا ترجمته في الفصل السابق، أن الحداد قد أُعلن في البلاد كلها لمدة سبعة أيام عبّر الناس خلالها عن حزنهم على موت الملكة-الأم بالمآتم ونثر الطين على الرؤوس. ويُفهم من إحدى الرسائل الموجهة إلى الملك الآشوري سرجون الثاني (721-705 ق.م) أن جثمتان سلفه الملك المتوفى، الذي يُفترض أن يكون شلمنصر الخامس (726-722 ق.م)، قد سُجِّي لإلقاء النظرة

الأخيرة عليه لمدة ثلاثة أيام ثم نقل إلى مدينته اربائيل (أربيل حالياً) حتى يعرض ليومٍ آخر فيها⁽¹⁰¹⁾.

وفي رسالة آشورية تعود إلى عهد سلالة سرجون الثاني في العصر الآشوري الحديث معلومات تخصُّ إجراءات الحداد الرسمي حين وفاة الملك. وتنصُّ هذه الرسالة على ما يأتي:

"في اليوم الذي نسمع فيه 'أن الملك قد توفي' يعلن أهل آشور الحداد. المحافظ يجعل زوجته تخرج من القصر، وتقوم بإحراق جدي، ويوجه قائد (العسكر) ليسيّط على مبنى حاكمية المدينة. يصطف ضباطه، وهم مرتدون بدلات الحداد وواضعون أطواقاً ذهبية، أمام حاكم المدينة. قيسايا (Qisaya)، المرتل، سوية مع بناته، ينشدون أمامهم"⁽¹⁰²⁾.

ومما يلاحظ في هذا النص أن الكاتب استعمل الزمن المضارع للأفعال التي تخبر عن إجراءات الحداد⁽¹⁰³⁾. وتفسيرنا لهذا أن النص لا يتحدث عن واقعة موت ملك معين بقدر ما يورد الإجراءات التي يتوجب اتخاذها في مراسم الحداد الرسمي عندما يموت الملك أياً كان ذلك الملك. ونضيف إلى ما يتضمنه هذا النص إشارة تخص الحداد الرسمي في البلاط الآشوري ترد في أحد النصوص المكتشفة في مكتبة الملك الآشوري آشور-بانيبال، ويبدو أن موضوع هذا النص يدور حول أحد المآتم الملكية، وهذه الإشارة تدل على اشتراك الرجال والنساء في ندب المتوفى بمجوقتين إحداهما من النساء والثانية من الرجال، إذ يرد في النص "وكانت النساء يندبن، والأقربان يجيبون"⁽¹⁰⁴⁾.

وهناك ثلاثة من النصوص الأسطورية أو الملحمية المسمارية تتضمن إشارات عن الحداد وطريقة التعبير عن الحزن على فقد الأموات. وعلى الرغم من أن هذه

الإشارات ترد في سياقات أسطورية فإنها تعبر عن ما كان يُمارس في عالم البشر في الظروف المشابهة. ذلك أنه كان في النصوص الأسطورية انعكاسٌ للكثير من تصرفات البشر ومشاعرهم، وفي أحيان كثيرة تكون تلك التصرفات والمشاعر مما لا يمكن التعبير عنه في نصوص أدبية تدور مواضيعها حول البشر أنفسهم. أما تلك النصوص الثلاثة فهي "أسطورة ادايا"، "نزول إنانا (عشتار) إلى العالم السفلي" بروايتها السومرية والآكديّة، و"ملحمة جلجامش".

ففي "أسطورة ادايا" المدونة باللغة الآكديّة إشارة إلى لبس ثوب الحداد على الأموات. ويرد ذلك حين ينصح الإله ايا ادايا أن يلبس ثوب الحداد حتى يكسب رضى تموز ونجشزيّدا بتظاهره أنه في حداد حزناً على انتقالهما من العالم العلوي إلى العالم السفلي للانضمام إلى مجمع آلهته، وذلك في معرض تشبيه انتقالهما ذاك بموت البشر ونزول أرواحهم إلى العالم السفلي. وحين ينفذ ادايا وصية ايا ينجح في إثارة فرح تموز ونجشزيّدا لاطلاعهما على أن هناك من حزن على غيابهما ولبس ثوب الحداد اعتقاداً بموتهما. وفيما يأتي قراءة الأسطر التي تتضمن نصيحة ايا باللغة الآكديّة وترجمتها بالعربية:

"إنّ باب ان [دموزي وجشزيّدا]: عند باب آنو، [دموزي ونجشزيّدا]

أَزَزُو إِمْرُوكَ إِتْسَالُوكَ اِيْطَلُ : واقفان، يريانك، 'يا فتى

أَنْ مَنْ كَأَ اِيْمَاةَ اِدَايَا أَنْ مَنْ : لماذا أنت هكذا، يا ادايا لماذا

كَرَّ لِبَشَّةَ اِنْ مَاتِنِ اِلْ شَيْنَ خَلَقَمَ: لابسٌ ثوب الحداد؟' (فتحييهما):

'من بلادي هناك إلهان مخفيان' (105)

وفي أسطورة "نزول إنانا (عشتار) إلى العالم السفلي" يرد وصف حزن نشوب، رسول إنانا في الرواية السومرية، على غياب الإلهة في العالم السفلي. فبعد

مضي ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ على غياب إنانا ملاً نشوبر السماء ندباً عليها ونلح في
مجمع الآلهة وفي "بيت الآلهة" وهو يلطم عينيه وفمه من شدة الحزن ويرتدي ثوباً رثلاً
مثل ثوب المتسول ويهيم وحيداً⁽¹⁰⁶⁾. أما في الرواية الأكديّة فإنّ من يعلن الحداد
على غياب عشتار في العالم السفلي هو باب-سُكّال، ويرد في النص بخصوص ذلك:

"باب-سُكّال سُكّال إيلان رُبوت قُدُد أبشُ پانوشُ:

كُرُ لَبش مَلي نَ

إلّك أنخَش إن پان سين أبشُ إِبكُ:

إن پان ايا شَرَّ إلّك دماشُ:

إشتار أن ايرصية أُرِد أُل إل:

باب-سُكّال، وزير الآلهة العظام، طأطأ رأسه

لابسُ ثوب الحداد متنزِع

ذهب ذليلاً، أمام الإله سين، أبيه، يبكي

في حضرة الإله ايا، الملك، تسيل دموعه

'عشتار إلى (باطن) الأرض نزلت (و) لم تصعد'⁽¹⁰⁷⁾

والآن نأتي على صورة الحزن المرير والحداد والرثاء التي تقدمها "ملحمة

جلجامش" حين تصف حالة جلجامش عند وفاة صديقه أنكيدو في اللوح الثامن من

الملحمة. وفيما يأتي ترجمة للمقطع الذي يتضمن ذلك الوصف:

1- "عند أول نور من الفجر

بدأ جلجامش ندبه لصديقه

"أواه يا أنكيدو، يا من أملك ظبية

وأبوك، حمار الوحش، وهما قد ربياك

5- يا من أرضعته الحمر الوحشية الحليب

يا من علمته وحوش البرية على كل المراعي

أواه يا أنكيدو عسى مسالك غابة الأرز

أن تندبك بلا انقطاع صباحاً ومساءً

عسى شبية أوروك-الحظيرة الولود أن يندبونك

10- عسى المجمع الذي باركنا أن يندبك

عسى الذرى الشامخة للتلال والجبال أن تندبك

..... الطاهر

عسى المروج أن تنوح مثل أم لك

عسى أن تندبك أشجار البقس، السرو والأرز ،

15- تلك التي زحفنا من بينها في عنفوان غضبنا

ليندبك الدب، الضبع، النمر، الفهد، الأيل والثعلب

الأسد، الثور الوحشي، الریم، الوعل، كل وحوش البرية

عسى أن يندبك نهر الكارون المقدس

ذاك الذي مشينا على ضفافه في اندفاعنا

20- ليندبك نهر الفرات الطاهر الذي صببنا ماءه في (شعائر) السكب من

القرب

عسى فتية أوروك ذات الأسوار أن يندبونك

وهم الذين شهدوا نزالنا حين قتلنا ثور السماء

ليندبك الحارث في أخاديد حقله

حين يطري اسمك بمواله الشجي
25- عسى أن يندبك.... أوروك-الحظيرة الولود

حين يطلق اسمك مع أول

ليندبك الراعي في حظيرته

وهو الذي جلب لفمك الحليب والزبد

ليندبك الصبي الراعي

30- الذي جهز السمن لشفتيك

ليندبك الحمّار

وهو الذي وفر الجعة لفمك

عسى بنت الهوى أن تندبك

وهي التي ضمختك بالزيت العطر

35- عسى.... في بيت الأعراس أن يندبك

وهو الذي زوجة.....

عسى أن يندبك

عسى أن يندبنك ندب الأخوات

لتسدل ضفائرهن على ظهورهن مثل الأخوات

40- على أنكيدو، أمك وأبوك

وفي هذا اليوم سأندبك أنا

السمعوني أيها الفتية، السمعوني

السمعوني يا شبية أوروك الولود، السمعوني

سأبكي على أنكيدو، صاحبي

45- مثل نذابة سأنوح بأسى

يا فأساً بجني وعليها اتكأت ذراعي

يا خنجراً في وسطي ودرعاً بمطلعي

يا كسوة عيدي وطوق بهجتي

أي ريح شريرة هبت واستلبتني؟

50- آه يا صديقي، حمار الوحش الجامح، حمار الجبل، نمر البراري

صديقي أنكيدو، حمار الوحش الجامح، حمار الجبل، نمر البراري

بتأزرنا ارتقيننا الجبال

أمسكنا ثور السماء وقتلناه

حطمنا حبابا الساكن في غابة الأرز

55- والآن أي نوم هذا الذي غلبك

فأصبحت غائبا عن الوعي لا تسمعني'

ولكنه (أنكيدو) لم يرفع رأسه

تحسس قلبه، ولكن ما من نبض

فبرقع، كالعروس، صديقه

60- وصاح كالنسر

ومثل لبوة مبعدة عن أشبالها

أخذ يخطو ذهاباً وإياباً

ينتف وينثر شعره الأجدد

يخلع ويرمي الحلي التي (تزين) جسمه⁽¹⁰⁸⁾

وهكذا نلاحظ أن الحداد على أنكيديو بدأ بمرثية أطلقها عليه جلعامش الذي راح بعد ذلك، بحسب ما جاء في نص اللوح الثامن من الملحمة، يهني لمراسم الدفن والحداد على صديقه بالطريقة التي استشهدنا بها على الصفحات السابقة. ويبدو أن مدة الحداد الرسمي كانت سبعة أيام يخلع بعدها ثوب الحداد ويخلق الشعر وتوضع الزينة كما يتضح من نص شاهد قبر أدد-جبي.

ومن وثيق الصلة بالموضوع أن نذكر هنا أن مفردة "الحداد" باللغة الأكديّة هي "نِسّة" (nissatu) ويرادفها بالسومرية سا.با. لا.ك.اب (SAG.PA.LAGAB). وكان يطلق على الشخص الذي في حداد باللغة الأكديّة المصطلح "شَ نِسّة" (a nissati) أي "ذو حداد" بالمعنى الحرفي العربي⁽¹⁰⁹⁾. أما الكاهن المسؤول عن المراسم الجنائزية والمراثي فكان من الصنف المسمى "كلو" (kal) باللغة الأكديّة ويسمى بالسومرية لو² كالا (GALA) أو لو² شو² (لو²)⁽¹¹⁰⁾. ويدعى رئيس هذا الصنف من الكهنة في اللغة الأكديّة "جلَمَاخُ" (galamāhu)، وذو المرتبة الصغيرة من الصنف نفسه "جلُتُرُ" (galaturru). ويتبعهم صنف كان يدعى "جلُتُسُو" (galauss)⁽¹¹¹⁾. وتوجد في اللغة الأكديّة أسماء مختلفة للمراثي، وهذا يدل على أنه كانت هناك أنواع مختلفة منها. ويبدو أن أهم تلك الأنواع من المراثي هو الذي كان يسمى "للّراة" (lallarātu). ويلاحظ أن كلمة "للّرُ" استعملت في اللغة الأكديّة نعتاً لطائر البوم⁽¹¹²⁾. ومن أنواع المراثي الأخرى نذكر هنا ما كان يطلق عليه في الأكديّة اسم "صيرخ" (serhu)، وهو اسم مشتق من المصدر ص ر خ المطابق لفظاً ومعنىً للفعل صرخ في اللغة العربية ويرادفه بالسومرية بالالا.د (BALAG.DI). وكان يطلق على منشد المراثي "ايش صيرخ" (epi serhi)⁽¹¹³⁾. بمعنى "مطلق مرثية صيرخ". ومن المصدر نفسه اشتق اسم "صيرخة" (sirihu) لنوع آخر من المراثي⁽¹¹⁴⁾. وهناك مرثية تدعى بالأكديّة "تَسْسَة" (tassistu) واسمها مشتق من

الفعل ن س س (nasāsu)⁽¹¹⁵⁾ بمعنى "ناح، ندب"، ومرتبة أخرى تدعى "زِمَّة" (zimmatu) وقد يستبدل حرف الزاي في أول الكلمة بحرف الدال فتصبح "دِمَّة" (dimmatu)⁽¹¹⁶⁾ وفي هذه الحالة يكون الاسم المشتق من الفعل الأكدي د م م (damāmu) بمعنى "نشج"⁽¹¹⁷⁾. ونختتم هذا الفصل بإيراد الترجمة الكاملة لثلاث مرثي دُونت بالخط المسماري، اثنتان منها بالسومرية وواحدة باللغة الأكديّة. وهذه النصوص الثلاثة تُلقَى مزيداً من الضوء على مراسم الحداد والشعائر الجنائزية فضلاً على ما تفصح عنه من عواطف القدماء ومشاعرهم إزاء الموت وفقدان الأحبة.

لقد جاءت المرثيتان السومريتان من مدينة نفر ويعود تاريخهما إلى حوالي 1700 قبل الميلاد. واللوحان اللذان دُونت عليهما هاتان المرثيتان محفوظان حالياً في متحف بوشكين في روسيا. والمرثيتان من تأليف أديب قديم يدعى لو-دنجراً يرثي في الأولى أباه نانا وفي الثانية يرثي زوجته ناورتم.

المرثية الأولى: فيما يأتي ترجمة النص السومري لهذه المرثية التي تتألف من (112) سطراً⁽¹¹⁸⁾:

"بعث الأب ابنه إلى موضع بعيد

والابن الذي ذهب إلى الموضع البعيد لم يهمل وصايا 'تلك الأيام'

ولكن الأب الذي بقي في المدينة مرض، مرض المتألق الذي لا مثيل

له سوى في أقاصي الدنيا

عذب اللسان، ساحره، أضحى مريضاً

لقد مرض ولم يأكل، وكان في ضنى

لم يذق طعاماً بفمه المطبق وتمدد خاوياً

مثل لوح من الطين

البطل، ذو الريادة لم يحرك رجله
من مرضه ذوى من البكاء على أبنائه
إنه كسير القواد هذه النحيب
لقد مات النابغة في مدينة نفر، إنه صريع الجراح
وصل الخبر إلى ابنه وهو في السفر البعيد
كابن ما انفصل عن أبيه
عاد مرتدياً ثوب (الحداد) الذي أرسل له
ذرف الدموع ورمى نفسه في الوحل وأنشد عليه شعراً
ومن قلبه المتأجج كتب لو-دنجراً مراثية (تقول):
'يا أبتى الصريع، يا ناثاً يا راحلاً إلى العالم السفلي ضحية للمكائد
زوجتك-ويا للعجب! كانت زوجة فأصبحت أرملة
إنها تدور حولك كالزوبعة
وهبت نحوك فاقدة صوابها
أطلقت صرخة ألم كما لو كانت في المخاض
مزقت ثوبها وهي تنن كالبقرة
وناحت وهي تذرف الدمع السخي
وغطت ما يصح
..... بالسواد الذي يجمع
يمسك القلب مغموراً بالهم
على من كان ينهض مبكراً
من بين المقيمات، كاهنة لوكر للإله ننورتا ألفت بنفسها في الوحل

وكالآله الحزين
صيحاحها المتألّمة الشر
في وسط الرواق جعلت الناس ينثرون حبوباً وماءً
في وسط القوضي، كاهنة اينتو للإله نسكو مزقت (ردائها) عليك
(لمست) طرف ثوبك
أبناءؤك الذين كانوا يعاملون مثل أبناء ملك يأكلون
كلما يشربون
العسل والزبدة⁽¹¹⁹⁾
لقد ملأوا المائدة بالسمن من أجلك
والدموع التي ذرفوها عليك تستدر العطف
وحدادهم عليك هو حداد القلب الصافي
مثل القمح الذابل هم
عودة الطيور (التي) ترفع
زوجات أبنائك اللواتي كن يرددن: 'ياويلتاه! أين هو الآن؟'
وقع عليهن الصمت من أجلك
بأحضان
.... الأصوات العذبة نام مثل
.... مريثة لك لا تنقطع
'آه يا أبتّي، عسى أن يرتاح قلبك'
يا نائاً، عسى أن تسر روحك
إن كاهن اين

عسى أولئك الذين نجوا من قبضة الموت
إن قبضة الموت في
فالموت هو فضل الآلهة، وإن الموضع الذي يتقرر فيه المصير ...
عسى ذريتك ركبتك
إن بناتك لأجلك في
لقد حزن عليك أكابر مدينتك
ونبيات مدينتك عليك
إن الأمة، وهي على الرحي، تذرف الدمع عليك
والمنزل، حيث وضع
اكتسب فضةً وقمحاً وزادت فيه المقتنيات
عسى الابن البكر أن يقيم لك أسساً راسخة
والرجل الذي قتلك مثل الذي القلب
ذاك الذي هجم عليك بعنف قاس
والثأر الأكيد منه يعود للملك، الراعي، إلهك الحامي
وللمشورة الصادقة للإله-الشمس اوتو
وعسى أن يكون ذلك الرجل ملعوناً وليكن الموت نصيبه
ولتترك عظامه دون أن يدفنها أحد
وعسى ذريته وعسى أن يحى اسمه
ولتكن أملاكه مثل طائر العصافير
وعسى (آلهة) البلاد أن تعطف عليك كلمات، وعساهم أن
يطمئنوك

يا نانا عسى أن تسر روحك ويهدأ قلبك
عسى الإله اوتو، سيد العالم السفلي العظيم،
بعد أن ينور الأماكن المظلمة، أن يحكم قضيتك (بعطف)
عسى الإله ننا أن يقرر مصيرك (برحمة) في يوم المحاق
عسى الإله نرجال، الذي هو أنليل العالم السفلي
عسى الموكلون بالطعام أن ينادوا باسمك

....

عسى السقاة أن يرووا ظمأك بالماء العذب

....

عسى جلبامش أن قلبك بالقوة
عسى نيدرو وايتانا أن يكونا شفيعين
عسى آلهة العالم السفلي أن يوصلوا الدعوات من أجلك
عسى أن يقول إلهك (الحامي) كفى! عسى أن يقرر مصيرك (برحمة)
عسى إله مدينتك

عساه أن يمحي عهودك وديونك
عساه أن يغفر إثم العائلة من الحساب

....

عسى الأرواح الصالحة أن تحميك
عسى الأبناء الذين أنجبتهم أن يتصدروا المواقع
عسى كل بناتك أن يحظين بالزواج
عسى أن يمحي الشر المخطط ضدك

عسى أن يكون الذين تركتهم وراءك سعداء
عسى أن ترتاح زوجتك ويتكاثر أقاربك
عسى أن يحظوا بالثروة والنعم يوماً بعد يوم
عسى أن لا تنقطع الجعة والشراب وكل الأشياء الطيبة عنك
عسى أن يتواصل دعاء عائلتك مع دعاء إلهك".

المرثية الثانية:

يعود لو-دنجرا، الشاعر الذي عاش في مدينة نفر قبل حوالي ثلاثة آلاف
وسبع مئة سنة، في اللوح الثاني ليسطر عليه قصيدة في رثاء زوجته ناورتم التي ماتت
ميتة طبيعية بحسب ما يفهم من نص المرثية. وتتألف هذه المرثية من ستة وستين
سطراً. ومن المهم هنا أن ننبه إلى أن صيغة اسم لو-دنجرا سومرية، وكذلك اسم أبيه
نأنا، أما اسم زوجته ناورتم فهو اسم أكدي. وفيما يأتي الترجمة الكاملة لهذه
المرثية⁽¹²⁰⁾:

"يوم الشؤم على الزوجة
على السيدة الجميلة، الزوجة العطوف، وقعت العين الشريرة
على العصفور وعلى عشه وقعت الشبكة
الأم الولود، أم الأبناء الكثر، وقعت بالفخ على حين غفلة
البقرة الصغيرة الزاهية، البقرة الوحشية المخصبة، سقطت محطمة مثل
إناء جاكول

وهي التي لم تقل يوماً 'إني مريضة' ولم تقلق
وهي التي لم تطأ يوماً على موضع مقدس

كأنه موضع راحتهم اندفعوا ولم تكن
لقد عم الظلام مدينة نفر، وفي المدينة
وأطلق الناس جميعاً صرخة حزن

....

وأغرقوا في الأسى على نهايتها المؤلمة
واعتصرهم الألم لتمددتها كتمثال ذهبي
فمن هو الذي ينظر إليها ولا يملكه الحزن؟
النساء النادبات (رددن) أروع ترانيم الشعراء ذات الكلمات العذبة
التي أطلقت في كل مكان ندباً ورثاءً
لأن عاد، أنشدوها حزناً عليها
لأن التي (لم تزل) صغيرة

.... حجر

لأن أيامها في حضن زوجها لم تطل، لم ينقطع البكاء
لأن من لم يرجع الإله ننورتا صيحة البهجة
محبوبتها كاهنة اينتو لم تدخل إلى الدير
لم يقبل الحمار الذي اختار الحمارة زوجة له قرباناً
لأن جلب إلى النهاية بجانبه
بسمو وعطف أطلق مراثية عليها، لأمها التي أنجبتها.... عليها
حصصهم يجعلها من أجلها في
وجاءت أرواحهم قدامها، وتمزقت أجسادهم الشريرة
.... العاملون والأقارب

لأن من الركبة

لم يقفوا

كل حسناهم كانت

....

مثل رجال غاضبين، الأحجار مرض

النور في مدينتها من العلى لم يزد

وحينها كان زوجها الحبيب وحيداً في مدينته نفر

لو-دنجرًا، زوجها الحبيب، كان وحيداً

في مدينته، في نفر

دنا منها بقلب كسير في موضع 'السكن العظيم'

أخذوا يده وقلوبهم مفعمة بالحزن

.... انقطع عن الأكل ونفسه مكظوم

وانتحب كالبقرة ولم يرتد ثياباً (زاهية)

إنه يتألم ويندبها: 'ياويلتاه! أين أنت الآن؟ إنني أبكيك

أين الإلهة ميمي الآن والروح الفاتنة؟ إنني أبكيك

أين ساحي البهي الآن، الكنانة الزاهية؟ إنني أبكيك

أين أنت الآن، إشرافتي البهية؟ إنني أبكيك

أين الأغاني العذبة التي تبهج القلب؟ إنني أبكيك

أين ساحي البهي الآن، الكنانة الذهبية التي تنير الروح؟ إنني أبكيك

أين رقصي، رقصة 'اليد المرفوعة' والمرح؟ إنني أبكيك

عسى أن لا يحى ذكرك في الحياة، وعسى أن يذكر اسمك في الأيام

المقبلة وعسى أن تمحي خطايا عائلتك، وعسى أن توفي ديونك
عسى أن يحفظ زوجك، وعساه أن يفعل الخير مثل باقي الرجال
عسى أن ييشر أبنائك بمصيرهم السعيد، وعسى أن يكتب لهم المستقبل
السعيد

عسى أن تتقدم عائلتك، وعسى أن يكون مستقبلها مزدهراً
عسى الإله اوتو أن يجلب عليك النور في العالم السفلي وهو الذي
يرعاك

عسى الإلهة ننكرا أن تنطق لصالحك، عساها أن تعلي من شأنك
لأن الريح العاتية هبت ضدك عسى أن يرجعها الأفق
وعسى أن تطلق لعنة قاسية على الشيطان الذي مديده ضدك
ولأنك، الزوجة العطوف، قد رقدت مشرقة كالنور،
فهذي مرثية حزينة عليك".

المرثية الثالثة:

هذه المرثية مدونة باللغة الأكديّة/الآشورية على رقيم طيني عُثر عليه في تل
قوينحق في نينوى. ويحمل الرقيم، المحفوظ حالياً في المتحف البريطاني تحت الرقم
(K890)، نصاً آشورياً مدوناً على وجهيه وموضوعه رثاء امرأة لم يُذكر اسمها كما
لم يُذكر اسم الشاعر الذي ألّف النص. ويتألف النص من 23 سطراً دونّ منها 14
سطراً على وجه الرقيم و9 أسطر على قفاه⁽¹²¹⁾. ونورد هنا قراءة النص باللغة
الأكديّة وترجمته العربيّة:

وجه الرقيم:

- 1- أَنْ مِينَ كِي ايليِّي إِنْ قَبْلَ نَارِي نَدَاكَ
لماذا غدوت منطرحة مثل زورق في وسط النهر؟
- 2- شَبْرُ خَوْقِكِ بَتَّقْ أَشْلِكَ مَكْسُورَةٌ عَارِضَتِكَ مَقْطُوعَ حَبْلِكَ
3- كَلُولُ بَنِيكَ نَارَ لَبِّ أَلِ تَبِيرِ مَبْرَقَ وَجْهِكَ (وَأَنْتِ) تَعْبِرِينَ نَهْرَ مَدِينَةِ آشُورِ
- 4- أَكِي لَا نَدَاكَ لَا بَتَّقْ أَشْلِي كَيْفَ لَمْ أَغْدُو أَنَا مَنْطَرِحاً (و) لَيْسَ حَبْلِي هُوَ الْمَقْطُوعُ؟
- 5- إِنْ أُمِّي إِنْ بْ أَشُونِ أَكِي خَدَّكَ إِنْ أَنَاكَ سَعِيداً
في اليوم الذي حملت الأعناب فيه كم كنت سعيداً
- 6- خَدَّكَ إِنْ أَنَاكَ خَدَّ خَابِرِي 'سَعِيدَةٌ أَنَا، سَعِيدَةٌ يَا زَوْجِي
- 7- إِنْ أُمِّي وَلَادِي خِيلُويَ ايتَرَبْ فِي يَوْمِ طَلَقَاتِ مَخَاضِي أَزْرَقَ وَجْهِي بَنِي
- 8- إِنْ أُمِّي وَلَادِي ائْتَكْرَمَ ايني فِي يَوْمِ وَلَادِي غَشِيَتْ عَيْنِي
- 9- پَتَانِ اُنْبَايَ أَنْ بِيلِيَّة-إِلِي أَصَلِّي مَفْتُوحَةٌ أَصَابِعِي كَانَتْ (و) إِلَى الإلهة بعلقة- ايلي أصلي
- 10- أُمُّ آلِدَاتِ أَتْ ايطِرِ نِطْلِي أُمُّ الْوَالِدَاتِ أَنْتِ، أَنْقِذِي حَيَاتِي
- 11- بِيلِيَّة-إِلِي كِي تَشْمُونِي تُكْتَلِّلْ الإلهة بعلة-ايلي حَالَمَا سَمِعْتَنِي بَرَقَعْتَ وَجْهَهَا
- 12- أَتْ أَنْ مِينَ تُصَنِّلَنِي '..... أَنْتِ لِمَاذَا تَوَاصِلِينَ الصَّلَاةَ لِي؟'
- 13- مُنِي ائْتَدِي رَجَشُ '..... زَوْجِي أَطْلُقْ صَرِخَةً:

- 14-..... أَشَّةٌ لِّلِي زوجتي الجذابة'
- قفا الرقيم:
- 15-..... شَ دُورَشَنَاتِي الذي على مر السنين
- 16-..... كَفَّرَ خِبَلَاتِي الأرض (ملأى) بالخبال
- 17-..... لِبِّ-أَلِ تَلُّكَ تَسِسِّي بُو تذهب إلى مدينة آشور ترغم بمروثة
- 18-....اومي أُنْتِي إِسَّ خَابِرِي تلك الأيام (و) أنا مع زوجي
- أناكُ
- 19-إِسَّشُ اشْبَكُ رَمْنِي مقيمة معه، حبيبي
- 20-موتُ إِن بَيْت مَيَّالِي إِخْلُلَ الموت إلى بيت سريري تسلل خلصة
- خِلَّةُ
- 21-إِسُّ بَيْتِي أُسَيصَاتِي يَاشِي من بيتي أخرجني أنا
- 22-إِسُّ بِن خَابِرِي إِيْتَرَسَن يَاشِي من أمام زوجي فصلني أنا
- 23-شِيبي إِسْكَنَ إِن كَفَّرَ لَا تَارِي وضع قدمي في أرض لا عودة لي (منها)''.

- (1) A. Leo. *Ancient Mesopotamia*, (Chicago, 1964), p.79.
- (2) S.N.Kramer, *The Sumerians*, p. 164.
- (3) C.L.Woolley, *Ur of the Chaldees*, p.35.
- (4) *Ibid.*, pp.70 f.
- (5) *Ibid.*, pp.75 f.
- (6) *The Archaeologists at work*, p.6
- (7) C.L.Woolley, *The Sumerians*, pp.38f.
- (8) C.L.Woolley, *Ur of the Chaldees*, pp.75-7
- (9) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ط1، ص 278.
- (10) C.L.Woolley, *Ur of the Chaldees*, p.43.
- (11) *Ibid.*, p.57.
- (12) *Loc. Cit.*
- (13) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ط1، ص 278.
- (14) C.L. Woolley, in *The Archaeologists at work*, p.5.
- (15) C.L.Woolley, *Ur of the Chaldees*, pp.52f.
- (16) C.L.Woolley, *The Sumerians*, p.40.
- (17) *Loc.Cit.*
- (18) C.L.Woolley, *Ur of the Chaldees*, p. 57.
- (19) M.E.L.Mallowan, in *The Cambridge Ancient History*, 3rd ed., vol. I, 2 (chicago, 1971), pp.284f.
- (20) Erich Zehren, *The Crescent and the Bull*, (London, 1962), p. 125.
- (21) S.N. Kramer, *The Sumerians*, p.67.
- (22) Roger Matthews, in *Dictionary of the Ancient Near East*, ed. By Piotr Bienkowski and Alan Millard, (London, 2000), p.310.

- (23) C. L. Woolley, *Ur of the Chaldees*, pp. 64 f.
 (24) Ibid., pp. 60 ff.
 (25) H. W. F. Saggs, *The Greatness that was Babylon*, pp. 378-9.
 (26) تراجع النصوص الآشورية للمؤلف:
 1- تال حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة،
 (الطبعة الثانية/بغداد، 1986م)
 2- "شخصية الآلهة الآلام ودور الآلهة إنا/عشتار في النصوص السومرية
 39-22 ص ص، (1978) 34 سومرية"، والآشورية
 3- "هل كان تيزر في عقائد السومريين والآشوريين؟"،
 52-39 ص ص، (1980) 36 سومرية
 4- "موت الآلهة ديموزي (تيزر) ومسألة قيامه في عقائد حضارة
 38-17 ص ص، (1981) 35-33 سومرية"، بين النهرين
 184-165.
 5- "قيامه الآلهة في أساطير الحضارات القديمة"، المرفق الثاني 28
 20-13 ص ص، (2000)
 6- عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة،
 (بيروت، 2002).
 (27) C. L. Woolley, *Ur of the Chaldees*, p. 52.
 (28) Ibid., pp. 56ff.
 (29) L. Ch. Watelin and S. Langdon, *Excavations at Kish*, 4, p. 19.
 268 ص ص، 1، القديمة، الحضارات القديمة،
 (30) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،
 (31) V. G. Childe, *New Light on the Most Ancient East*, p. 149.
 (32) Ibid., p. 215.
 (33) تال حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة،

في السفلي العالم وزير بنار، ووجه بنار: زوجه بنار: Hu أو حيشيشا (51) حيشيشا

(50) نامرا-صت Namra-sit: من القاب الآلهة-القمم سين.

Andrew George, *The Epic of Gilgamesh* (London, 1999)

اعتماداً هنا، هي المنشورة في المرجع الآتي:

(49) إن أحدث وأكمل الترجمات للحمة جلجامش، هي الآتي، وهي الترجمة التي pp. 244f.

(48) H. Frankfort, *Kingship and the Gods*, (Chicago, 1958),

p.139.

(47) A. Heidel, *The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels*,

(London, 1925), p. 181.

(46) E.A. Wallis Budge, *Babylonian Life and History*,

السفلي فقط

كلهم. ومنذ العصر البابلي الوسيط أصبح اسم إختيحي يدل على آله العالم

الآلهة الإجماع على إختيحي يدل على إختيحي، أما ابوناكي فيدل على إختيحي

لاسم ابوناكي الذي شرح في الماشي (44). والاختلاف بين الاسمين يمثل

اختلاف في معتقدات بلاد الرافدين القديمة مغاير

نفسه بصيغة نبحر ساجا.

السطر (ن 203) بصيغة شكان، وورد اسم الآلهة-الأم نبحر ساجا في السطر

لكسب رضاهم وشفاعتهم للأموات. ويلاحظ أن اسم الآلهة سموقان ورد في

الناس في بلاد الرافدين القديمة يقدمون لهم القرابين والقدسات الختارية

كان عدد الأصنام آلهة مختلفة، وبعضهم من آلهة العالم السفلي، الذين كان

آلهة العالم السفلي القيمين فيه باستمرار.

النصوص السامرية، وبعضها نص "موت جلجامش"، تثبت أنه كان أحد

الخصب الذي يقوم من الوت سنوياً لضمان خصب الطبيعة، ولكن

- (70) in Iraq, 35,2, (1937), p.120.
(71) Jeremy Black, A. George, and N. Postgate, *A Concise Dictionary of Akkadian*, (Wiesbaden, 1999), p. 161: kispnu.
- (69) ملحة جلمشي، اللوح الثاني عشر، السطران 293-294.
- (68) *Chicago Assyrian Dictionary* 8, kispnu. pp. 56 f.
- (67) G.R. Castellino, *Two ulgi Hymns (B&C)*, (Roma, 1972),
- (66) *Chicago Assyrian Dictionary* 8, kispnu.
- (65) G. Van Driel, *The Cult of Assur*, (Leiden, 1969), pp. 168f. (Philadelphia, 915), p. 417.
- (64) M. Jastrow, *The civilization of Babylonia and Assyria*,
- (63) *Chicago Assyrian Dictionary* 8, kispnu.
- (62) Ibid., p.152.
- (61) A. Heidel, , pp.151-2.
- (60) Ibid., p.22.
- verschiedenen Inhalts, 218, p.119.
- Calenders, p.20; ref. O. Schroder, *Keilschrifttext aus assur*
- (59) S. Langdon, *Babylonian Metnologies and the semitic* (London, 1902), p. 14.
- (58) A.Jeremias, *The Babylonian Conception of Heaven and Hell*, Calenders, p. 148: 21-22.
- (57) S. Langdon, *Babylonian Metnologies and the semitic* p. 398: etemnu.
- (56) *Chicago Assyrian Dictionary* 2, p. 299: bubbulu; and 4, pp. 44 ff.
- (55) Jorgen Lassoe, *People of Aneint Assyria*, (London, 1963), (London, 1967), pp.100f.
- (54) H.W.F. Saggas, *Everyday Life in Babylonia and Assyria*, (A.Heidel, , p.152.
- (53) A.Heidel,
- صوري. آخرى.
- (52) قسيو - طاية Qassu-tabat: من أتيح إلهة إنيح أتيح إلهة إنيح في معتقات بلاد الرافدين القديمة.

(72) Ibid., p.150: kasāpu.

(73)

Journal of

Cuneiform Studies 11 (1957), p. 27.

(74) Chicago Assyrian Dictionary 8, kispu.

(75) Miranda Bayliss, in *Iraq*, 35,2, (1937), p. 119.

(76) S.Langdon, in *Encyclopaedia of Religion and Ethics*, 4, (New York, 1958-9), p.445.

(77) A. Leo Oppenheim, *Ancient Mesopotamia, Portrait of a Dead Civilization*, (Chicago, 1977), p. 98.

(78) Ibid., p. 358; n.19.

(79) Jeremy Black, A. George, and N. Postgate, *A Concise Dictionary of Akkadian*, p. 241: naq.

(80) Miranda Bayliss, in *Iraq*, 35,2, (1937), p. 116.

(81) Jeremy Black, et.al., *A Concise Dictionary of Akkadian*, p.25: arūtu.

(82) Chicago Assyrian Dictionary 1: arūtu.

(83) C.L. Woolley, *Excavation at Ur*, p.108.

(84) Ibid., p.108f.

(85) Jeremy Black, et.al., *A Concise Dictionary of Akkadian*, p.196: maqqu, maqq.

(86) Ibid., p.217:munnaqqu.

(87) C.L.Woolley, in *The Archaeologists at Work*, p.6.

(88) ملحة خلخاشي، ألواح التاليف، العدد الرابع: 3-15؛ وقد ترجمت هذه

السطور من النص السامري النابلي النسخ المخطوط في جامعة بيل في أمريكا.

(89) Andrew George, *The Epic of Gilgamesh*, pp.187f.: 255-270

(90) A. Heidel, pp.297.

(91) تأمل جنون، شريعة خوراني: ترجمة النص السامري مع الشروحات اللغوية

.80-73: 165 ص (مستقى 2005)، ص 5، والتاريخية،

(92) الصدر نفسه، ص 166: 40-31.

(93) الصدر نفسه، ص 167: 49-40.

(94) Miranda Bayliss, in *Iraq*, 35,2, (1937), p.117.

- (95) Ibid., pp. 118f.
 (96) Ibid., p. 123; No. 46.
 (97) Loc.Cit.
 (98) Ibid., p. 120.
 (99) Andrew George, *The Epic of Gilgamesh*, p. 59: 139-50.
 (100) Sumerian World according to the
Iraq 22, (1960), pp. 59-68.
 (101) G. Contenau, *Everyday Life in Babylonia and Assyria*, (New York, 1966), pp. 296 f.
 (102) A. Heidel, , pp. 153f.
 (103) Ibid., p. 153; n. 51.
 (104) A. Jeremias, *The Babylonian Conception of Heaven and Hell*, (London, 1902), p. 11.
 (105) قراءة السطور 20-23 الترجمة هنا من النص السامري على الكسرة B من الأسطورة التي اكتشفت في تل العمارنة في مصر والجوطة حاليًا في برلين (VAT 348).
 (106) تل حير، عقدة ما بعد الموت في جنزة بلاد وادي الرافدين القديمة، 179-170: 315-314 ص ص.
 (107) قراءة السطور 1-5 من نص اللوح الذي يحمل الرواية الآرامية/الآشورية الجديدة لنص أسطورة "تيول أباتا (عشتار) إلى العالم السفلي" وترجمتها هنا. نقلاً عن النص السامري.
 (108) Andrew George, *The Epic of Gilgamesh*, pp. 63-5; VIII:1-64.
 (109) Jeremy Black, et.al., *A Concise Dictionary of Akkadian*, p. 255: nissatu.
 (110) Ibid., p. 143: kal
 (111) Ibid., p. 88: galamāhu, galaturnu, galauss.
 (112) Ibid., p. 176: lallartu, lallartu.
 (113) Ibid., p. 336: serhu I.
 (114) Ibid., p. 339: sirihitu.

- (115) Ibid, p. 401: tassistu.
 (116) Ibid, p.447: zimmatu
 (117) Ibid, p.54: damamu.
 (118) S.N. Karmner, *The Sumerians*, pp. 211-4.
 يتكرر ذكر تقديم المسل والزبد في التآيم والشعار الخناترية، فقد مر بنا في
 الفلح الذي أورده آناه في هذا الفصل، من ملحة حلةمش/الروح
 انما من أن حلةمش قدم المسل بصحن من العقيق والربدة بصحن من
 الالوزود في مائم صديقه أنكيدو. وكذلك يرد ذكر تجهيز كميات من
 الزبد والحب للبرائين الخناترية في رسالة عمي -ديتانا حول التخصير
 للشعار الخناترية لشهر آب، وهي الرسالة التي أوردها ترجمة بصها في هذا
 الفصل أيضا.
- (120) S.N. Karmner, *The Sumerians*, pp. 214-7.
 (=STATE ARCHIVES OF ASSYRIA III), (Helsinki, 1989),
 pp. 37-9: No.15.